



بقلم

الدكتور القس لبيب مشرقي

صدر عن لجنة النشر المسيحي
ص. ب ٤٣ الفجالة . مصر
ت ٤٥٩٩٥

طبعة اولى ١٩٣٩
طبعة ثانية ١٩٦١

مطبعة التقدم
٤٤ شارع الموازيني ت ٢٦٠٢١

عشر دقائق مع الأحداث

هذا الكتاب

للقصة أثر بالغ فى نفوس السامعين ، ومكان ممتاز فى تكوين الموعظة .. فالقصة للموعظة بمثابة النافذة للبيت، تلقى ضوءا ، وترسل حياة وحرارة ...

ويسر لجنة النشر المسيحى أن تقدم لقرائها الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذى حوى مائة قصة بقلم كاتب تعرفه المنابر وتسرع إلى سماع عظاته الجماهير ... ولم يصل إلى هذه الدرجة الممتازة بعنايته بالعبارة فى رنينها الموسيقى، بل بتأثيرها الساحر القوى . ورنين العبارة يتلاشى مع الزمن ولكن سحر التأثير يبقى خالداً مع النفس .

وقد ظهرت الطبعة الأولى بعنوان : « عشر دقائق مع الأحداث » وأن عدداً كبيراً من الشباب والرجال والكهول والشيوخ ليتمنون أن يكونوا أحداثاً تلقى عليهم أمثال هذه العظات ، فيزاحمون فى الأحداث فى التمتع بهذا اللقب !!

وإننا نقدم هذا الكتاب للأحداث ... وللآباء والأمهات ليقصوا قصصه على أولادهم .. وللوعاظ ليلقوا الضوء من نوافذه على مواعظهم .

لجنة النشر المسيحى

فهرست

الصفحة	الموضوع
١	العام القديم والعام الجديد
٦	الكلب الذى رفض أن يشرب الخمر
١٢	شيء زهيد
١٤	الزنان الصغير
٢١	الديك شانسلير وزوجته بيرتيلوت
٢٩	خناقة بين كبريتتين
٣٤	الضيف الطريد
٤٢	بالقرب من النور
٤٧	الفستان الجديد
٥٤	حظ حنه
٥٨	الناس والكاس
٦٣	سهم أصاب الهدف
٦٥	الصفقة الخاسرة
٧١	اعترافات مسمار
٧٥	الطيارة
٨٠	دكتور فى الفلسفة
٨٤	صلاة مؤثرة
٨٧	الأمراء الثلاثة
٩٢	من أنا
٩٧	الحجر فى الطريق
١٠١	مكيدة
١٠٤	معرض الأبطال
١١٠	أديسون
١١٥	بوليكاربوس

الصفحة	الموضوع
١١٨	يوحنا فم الذهب
	روبرت موفات
١٢٣	(١) أم موفات
١٢٦	(٢) عظتى الاولى للوثنيين
١٢٨	(٣) شفقة امرأة وثنية
١٣٠	(٤) الملك الافريقى
١٣٣	(٥) افريكانر
١٣٨	البحث عن الله
١٤٠	كأس ماء بارد
١٤٢	رد الجميل
١٤٥	العطية المرفوضه
١٤٧	الكلمات اللينة
١٤٨	الطاعة الحرفية
١٥٠	اليقظة المخيفة
١٥٢	سيتمومون
١٥٥	والدان
١٥٧	آراء عن الصلاة
١٦٠	صرخت فاستجاب لى
١٦٣	اخى
١٦٥	لماذا تأسفوا
١٦٧	لم يصدقوه
١٧٠	انتبه لشغلك
١٧٣	يطلب الراحة
١٧٥	صلوات والدين

الصفحة	الموضوع
١٧٧	موت المؤمنين
١٨٠	يثق فى أبيه
١٨٢	لماذا ؟
١٨٤	يظهر المسيح فى حياته
١٨٧	حماس
١٩٠	ملائكة من فضلك وشكراً لك
١٩٦	خيبانة
٢٠٠	طريق أكيد...
٢٠٤	الزراير الثلاثة
٢٠٩	العفو عن روبين جونسون
٢١٢	الملوك الثلاثة
٢١٧	المبشر الهارب
١٢٢	وانغ يسامح
٢٢٧	صندوق العساكر
٢٣٤	كنيسة فى حانة
٢٣٨	الرجل الذى حمل المسيح
٢٤٥	زهرة الثلج والكندش
٢٥٠	ساعة جيب
٢٥٦	مودى والكتاب
٢٦٠	مودى ومدرسة الاحد
٢٦٤	مودى فى الخدمة
٢٦٨	مودى يكرس حياته
٢٧٢	مودى فقط
٢٨٠	كلارا بارتون
٢٨٥	فرنسيس قديس الفرح
٢٩٠	صغيرة جداً وحكيمة جداً
٢٩٢	سانتا كلوز

الصفحة	الموضوع
٢٩٥	آداب السلوك فى الكنيسة
٢٩٨	الطفلة المتروكة على عتبة الباب
٣٠٣	ولكن
٣٠٧	نعمان
٣١٤	كاك
٣١٧	حريق الحانة
٣٢٠	الولد الذى لم يكن جباناً
٣٢٣	كيف تخلص من خطاياه
٣٢٨	كنيسة قدح ماء
٣٣٧	حصاد سريع
٣٤١	معلهش
٣٤٤	علبة البلح
٣٤٧	الحصان والايل
٣٤٩	عندما تخاصم السمان
٣٥٣	حصان ينضم الى الكنيسة
٣٥٧	كبرياء النوة
٣٦١	قرد يعلم ملكا
٣٦٣	الخدم الصغيرة
٣٦٧	استيقظ
٣٦٩	الولد الذى كان بطلا
٣٧١	هانس والجبابرة الأربعة
٣٧٩	الكلب والتمساح
٣٨١	الأصل والتقليد
٣٨٤	اعلان ثمين
٣٨٧	ستة اقدام
٣٩٣	مطلوب اغنية جديدة

وظل يعلو ويعلو وهو يحس أنه يستطيع أن يصل إلى الشمس . وقال فى نفسه . هذه هى الحياة حقيقة .. لا واجبات ثقيلة . لا مدرسة ولا حفظ .. ولا خــد بالك من «النونو» .. ولا مشاوير رايح جاى وقد أحس بحريته وسعادته حتى فتح فمه وبدأ يغنى ...

وفى تلك اللحظة سقط ظل عليه ، فرفع عينيه إلى فوق ، وأبصر طائراً آخر يحوم فوقه وقد حجب جناحاه الكبيران نور الشمس عن الطائر الصغير الذى هو والتر !!

وكانت نظرة واحدة كافية . فقد سبق لغلامنا كثيراً أن رأى الصقر وعرف ماذا سيكون نصيبه إذا قبض عليه ، فبدأ قلبه الصغير ينبض بنبضات قوية ، واضطرب ذهنه اضطراباً شديداً من الخوف . وعلى قدر سرعة طيرانه إلى الأرض كان الظل يزداد إلى أن ... أوه...لو أن ذلك العصفور الذى هو والتر . لم يصل إلى قمة الشجرة بسرعة ما نجا . وفى اللحظة التى وصل الصقر إليه واستعد لالتقامه ، وجد العصفور المفزوع شقاً صغيراً فى جذع شجرة فدخله بسرعة ونجا !؟!

— ٤ —

فلما استراح « والتر » من طيرانه . . . ونفض عنه خوفه قال : « لا . لا .. ده كلام ما ينفعش . . لا يمكن أن أعيش كعصفور !! يا ترى أين « الجنية » ؟؟ .



وبكل احتراس اخرج رأسه من مخبئه فأبصر « الجنية » على العشب تحته . فوثب من مكانه وجثم عند قدمها ثم قال :

« أيتها « الجنية » لست ابغى أن ابقى عصفورا اكثر مما بقيت — ماذا تستطيعين أن تغيريني أيضاً ؟ » .

فأجابت : « لقد اخبرتك

أغير الناس إلى طيور

إلى وحوش أو الى زهور !! »

وقال والتر : « لست أظن انى أرغب أن أكون وحشاً ... ولكن هل يعتبر الأرنب من فصيلة الوحوش ؟ ؟ »

وقالت « الجنية » : « يجوز » .

— « اذن صيريني أرنبا !! »

وفى اللحظة التى لمسه فيها قضيب « الجنية » منحت له رغبته . فوجد نفسه أرنبا صغيرا ، جالسا بفرائه الجميل الناعم على العشب . ولما أحس بالجوع جعل يقضم عودا من الحشيش ... ولما رفع رأسه الى فوق ، أبصر الصقر لايزال يحوم مكانه . فقال له : « أنا لا أخافك الآن ! هنا المكان الذى كان يجب أن أكون فيه أولا !! » ... لكن ما هـذا الصوت ؟ دار الأرنب برأسه قلقا نحو الغابة القريبة ، وفى الحال ادرك الأمر . لم يكن هناك أى خطأ بعد اذ رأى « الأرنب » ذلك الرأس الأشعث بلسانه المدلى وأسنانه البيضاء . ما أسرع ما جرى « والتر » ...وكنت تراه يركض واذناه

الى الوراء ، وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما ، وكفوفه تندفع بجنون في الهواء . وعلى قدر ما كان مسرعا لم تكن سرعته كافية . وفي اللحظة التي وثب فيها الى الوجار ، تمكن الكلب من عضه...ولم ينج الأرنب الا بعد أن ترك في فم الكلب جزءا من فرائه !!

— ٥ —

وقد ظل يرتعش طول الليل فى ذلك الوجار الضيق . غير أنه عند ما اقترب الفجر أحس بصوت الخطوات الفضية ، فخرج ليقابل « الجنية » !!

فلما رأته ابتسمت ، ولما أخبرها أنه لا يرغب أن يبقى وحشا ، وأنه يريد أن يكون زهرة ابتسمت مرة أخرى . ثم مدت قضيبها الفضى ولمسته به بكل خفة ، فتحول الى زهرة ... زهرة حمراء طويلة فى حديقة جميلة قديمة .

فتلفت حوله بحالة عصبية ، ولكن كل شيء حوله كان ساكنا وجميلا بدرجة جعلت « والتر » يقول : « ها قد وجدت أخيرا البقعة التي يمكنني أن أعيش فيها سعيدا آمنا » . ومن شدة تعبه وجودة النسيم بالطبع ، أغلق « بتلاته » (أوراق الزهر) واستغرق فى سبات عميق ... ولكنه استيقظ وهو يحس بشيء يأكله ، فالتفت الى الاسفل ، ورأى دودة خضراء تزحف على ساقه . نفض والتر الذى هو وردة . نفسه ... ولكن الدودة ظلت ممسكة به . وبعد نصف دقيقه وصلت الدودة الى الورق وابتدأت تتناول فطورها بكل هدوء !!!

وهنا صرخ والتر : « انزلى ، هل تعرفين ماذا تعملين ، انت تأكلينى!! »

وبعد قليل عند ما كانت « الجنية » تمر بجانب الحديقة ، سمعت صوت نواح . وابصرت وجه الوردة مبتلا بالدموع ...

وصاح والتر : « رديني إلى ما كنت ايتها « الجنية » .. رديني من فضلك! أنني لم أعرف ما كنت متمتعا به عند ما كنت ولدا صغيرا !! »

فمدت « الجنية » قضيبها ولكنه قبل أن يمسه سمع صوتا عاليا :

« استيقظ يا والتر »

— « حاضر ياماما ... اشكرك »

وقالت أم والتر لنفسها :

« عجبا . . . هذه نغمة جديدة . . . هذه أول مرة اسمع فيها هذا الولد يقول شكرا لك عندما ايقظه » ... ! ؟ !

وفى وقت الافطار كان والتر بادى التفكير على خلاف المعتاد !

وأخيرا قال : « ماما ... فى الأزمان القديمة عندما كان الله يريد أن يعلم الناس شيئا . الم يفعل ذلك احيانا عن طريق الأحلام » ؟ ! ؟

وقالت الأم « نعم ... لكن لماذا تسأل ؟ »

فأجاب : « لا شيء ... لا شيء يا ماما » وقبلها على غير انتظار . ثم اخذ حقيبة كتبه ، وسار لأول مرة فى حياته إلى المدرسة وهو يصفر بسرور وابتهاج ! ؟

شكرا لله ... لقد فهم الدرس !

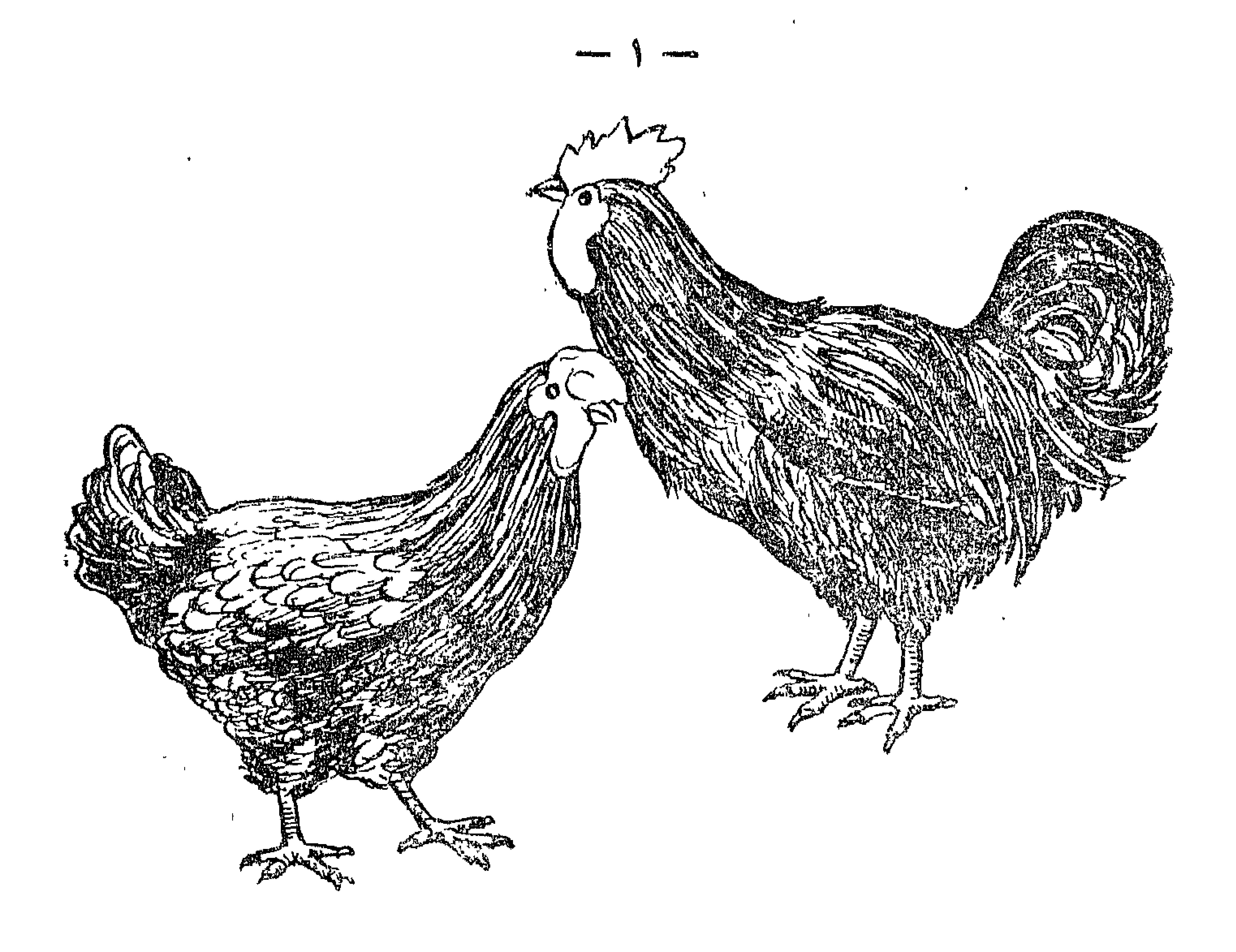
(٥)

الديك شانسلير

وزوجته بيرتيلوت

« من يحفظ فمه يحفظ نفسه » (ام ١٣ : ٣)
« قلب الحكيم يرشد فمه » (ام ١٦ : ٢٣)

— ١ —



الزوجات :

كان ياما كان — هكذا تقول القصة — كان فى قديم العصر والأوان ، كوخ صغير تقيم فيه امرأة مسكينة مع ولديها الصغيرين بجانب الغابة. ومنذ أن مات رجلها كانت تعيش عيشة فى غاية البساطه إذ لم يكن لها إلا قطعة أرض صغيرة وعدد قليل من البقر وبعض الفراخ

كانت العشة صغيرة . وكان الطعام بسيطاً — لبن وخبز ، وفى بعض الأوقات بيضة أو بيضتان . ولكنها كانت هى وولداها فى غاية السعادة ولم يمرضوا قط ... فإن الأكل الكثير مع الشغل القليل هو الذى يسبب المرض

أما هذه المرأة العجوز فلم يكن لها قط طعام كثير ، وكان عندها دائما عمل كثير !!

وكان لها خلف عشتها قطعة أرض أحاطتها المرأة بسياج من العصى ، ووضعت هناك ديكها واسمه شانسلير . لم يكن فى كل البلاد من يحسن الغناء مثله لم يكن يسمع صوت أحلى من صوته ولا فى الكنيسة!! وكانت مواعيده مضبوطة جداً . لم تكن ساعة أحد آخر فى دقة وقته . كان وجهه أحمر جداً ، أكثر احمراراً من العقيق ، وقدماه كانا فى زرقة السماء ، وريشه كان ذوب الذهب !!

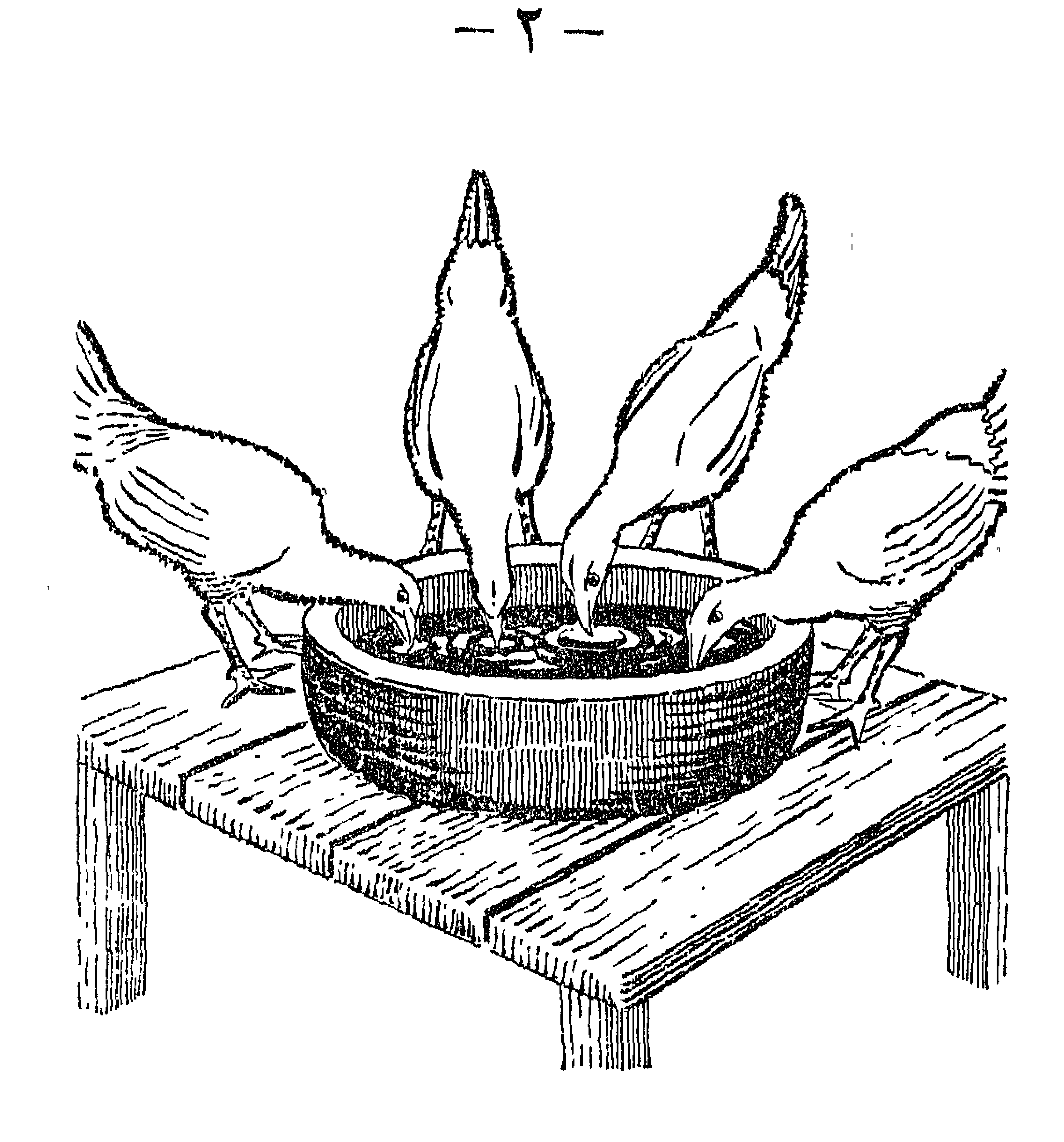
وكان له سبع فرخات زوجات له كن كلهن نظيره فى لونه . ولكن أجمل زوجاته كانت الفرخة « بيرتيلوت » . كانت رقيقة ولطيفة وحكيمة وذات

سن باسم دائماً . كانت جميلة جداً فأحبها « شانسلير » منذ كان عمرها سبعة أيام . كان قلبه عندها هى ، فلم يكن يحس بسعادة إلا وهو بالقرب منها وكان من أجمل المناظر أن نراهما كل صباح والظلام باق يغنيان معاً .

أنا جى حبيبى حبيبى البعيد !! .

ملحوظة : نسيت أن أقول أن الوحوش والطيور فى تلك الأيام كانت تستطيع الكلام !! .

— ٢ —



الحلم :

وفى صباح أحد الأيام ، كان « شانسلير » جالساً وسط زوجاته السبع، وعن يمينه جلست « بيرتيلوت الجميلة ـــ وكانوا جميعاً نعسانين . ولـكن فجأة وثب شانسلير صارخا ، وعلى وجهه تتجلى كل علامات الرعب إثر حلم مزعج ...

واستيقظت بيرتيلوت وقالت «ما الخبر يا حبيب القلب ؟ ما لك تصرخ هكذا ؟» فأجابها : «لقد رأيت يازوجتى الجميله حلماً مخيفاً أرجو ألا يتحقق!! رأيت وحشاً يشبه الكلب يحاول أن يلتهمنى . كان لونه أحمر مائلا إلى الصفرة . وكانت علامات سوداء على أذنيه . وكان له أنف صغير وعينان كجمرتين ملتهبتين ... ولما رأيته خفت كثيراً ... »

فصاحت «بيرتيلوت» «يا للعار ! لقد ضيعت محبتك من قلبى. نحن النساء لا نحب من الرجال إلا الأقوياء الشجعان . انزع عنك خوفك و تشـدد ، أما حلمك فيظهر أنه نتيجة أكلة « جامدة » ولذلك أنصحك أن تأخـذ « شربة » فهذه ستفيدك كثيراً !! »

وأجاب « شانسلير» «شكراً لك أيتها الزوجة . ولـكنى لا أزال أومن بالأحلام ! ألم تقرأى عن أحلام يوسف ، وأحلام ملك مصر ، وأحلام غيرهما. نعم أنا أومن ان الله يحدثنا أحياناً بالأحلام أما من جهة الشربة فانا لست فى حاجة إليها . لـكن دعينا من هذا الـكلام ولنتمتع ببهجتنا. أنى كلما أنظر وجهك الجميل يزول كل خوفى . لقد جاء فى المثل اللاتينى « موليراست هو مينبس كونفيو شيو ومعنى ذلك بالعربى المرأة هى سعادة الإنسان العظمى وبالحق أنا أظن أن هذه الكلمات الجميله حقيقة جداً جداً »

ملحوظة (كانت الترجمة الحقيقية للمثل اللاتينى هى : المرأة هى الخراب،

الأعظم للانسان » ... ولكن يظهر أن شانسلير كان قد نسى اللاتينى منذ ترك المدرسة !!!

— ٣ —

الثعلب

ووثب شانسلير من مكانه ثم دعا زوجاته .. كلاك .. كلاك .. كلاك ..
وجاءت زوجاته خلفه ، وخرج « شانسلير» إلى الحقل مع زوجاته ، وجعلوا يركضون .. ويثبون .. ويغنون . كانوا فى غاية السعادة

والتفت الديك إلى ناحية سمع منها حساً ، فابصر الثعلب مختبئاً هناك . فكف عن غنائه وحاول أن يهرب لحياته .. ولكن الثعلب وقف فى طريقه وقال : « أيها السيد الجميل .. إلى أين أنت ذاهب ؟ أنا صديق لك فلماذا تهرب منى؟ انى لم أفكر قط فى أذيتك . إنما جئت إلى هذا المكان «فقط» لأسمع صوت غنائك . فانك تملك صوتاً ذهبياً ساحراً . كان أبوك - وهو سيد فاضل — وأمك — وقد كانت أميرة — من أصدقائى ، وقد دخلا بيتى . لم أسمع أحداً يغنى غناء شجياً نظيرك إلا أباك .. آه . لقد كان أبوك يغنى من عمق قلبه . كان عند ما ينوى الغناء يقف كملك ، ويغمض عينيه ، ويرسل فى الجو أناشيده العذبة .. يا لها من أناشيد !! أعجب ما اذا كنت تحسن النشيد نظيره ! »

وسر «شانسلير» الغبي من هذا الاطراء والتمليق — آه كم ينخدع الامراء

والملوك العظام بالكلمات الناعمة ويسرون منها أكثر مما يسرون من كلام الحق !!

انتصب « شانسلير » وأغمض عينيه ، وجعل يغنى أغنية منتصف النهار وفى لحظة وثب عليه « ثعلب أفندى » وقبض على عنقه بأسنانه ، وحمله على ظهره وجرى !!

— ٤ —

مطاردة

ورأت زوجات « شانسلير » ما حدث فأعولن على رجلهن بدموع لم تسكبها امرأة على زوجها المائت وبكت الاميرة «بير تيلوت» ملكها «شانسلير» وناحت بقية الفراخ كما تنوح النساء إذا ما احترقت المدينة ، أو كما تنوح الأمهات إذا ما قتل أبناؤهن فى الحرب .

وسمعت المرأة العجوز وولداها بكاء الفراخ، فركضوا إلى الباب وأبصروا « ثعلب أفندى » قابضاً على « شانسلير » وهو يركض فى الغابة — فصرخوا إلحقوا الثعلب .. وجروا خلفه ، وجرى كذلك الرجال بعصيهم ، والكلب « كولى » و«تاليوت» و«جارلاند» كذلك أطلقوا سيقانهم خلفه . و«ملكين» العجوز خرجت وهى تحمل فى يدها قماشها وإبرتها . وكذلك ركضت الخيل والبقرات قطعت قيودها وركضت . وركضت القطط خائفات من صوت الكلاب . صاحت البقرات : مو . مو

والكلاب قالت : باو .. واو .. باو .. واو..

والرجال نادوا : ثعلب. ثعلب
والبط قال : كواك .. كواك
ولم يسمع قط . صوت نظير هذه الأصوات !.!

— ٥ —

دروس

كان الديك على ظهر الثعلب فى غاية الاضطراب . وفى خوفه قال للثعلب :

«يا ثعلب أفندى .. لو كنت مكانك لالتفت إلى المطاردين وقلت لهم : عودوا من خلفى أيها الأغبياء . . هـــل تظنون أنكم تقدرون أن تقبضوا علىّ . ها أنا بجانب الغابة أضحك عليكم ... وسيبقى هنا الديك لآكله متى وأين أريد !!»

وأجاب الثعلب :

« هذا ما سأقوله ... »

وإذ فتح فمه انفلت منه الديك وركض وطار إلى شجرة عالية !!!

فلما رأى الثعلب ذلك قال :

« يا عزيزى « مستر شانسليز » . لقد كنت بالحق قاسياً من نحوك . ولا شك أنك غاضب علىّ . ولكنى بالحق لم أقصد أذيتك . انزل وأنا أقول لك ما كنت أقصد .. سأقول لك .. صدقنى .. الحق كله »

وأجاب الديك :

« لقد كنت غاضباً عليك ، والان أنا غضبان على نفسى ، وسأغضب على نفسى أكثر إذا سمحت لنفسى أن أصدقك مرة أخرى . لن يمكنك مرة أخرى أن تجعلنى أغنى بعيون مغلقة . فإن المثل يقول :

« لن يكون حكيماً ..
ولن يكون فى أمان
من يغمض عينيه ...
فى وقت يجب أن يبصر فيه»
ومن المناسب أن أعلمك درساً أيضاً :
«أن الأحمق من يفتح فمه
حين يجب أن يضمه » .

* * *

ربما تظنون أن هذه قصة سخيفة عن ديك وفرخة !! .. ولكنها قصة نتعلم منها درسين :

ا — أن لانصدق الناس الذين يكلموننا كلمات حلوة ناعمة !!

ب— وألا نتكلم حين يحسن عدم الكلام !!

والان يارب نصلى إليك أن تجعلنا كلنا رجالا صالحين ، وعندما نموت نطلب أن تدخلنا إلى سعادتك العظمى .. أمين

(٦)

خناقة

« لا نكن مخاصمة بيني وبينك ... لأننا نحن اخوان » (تك ١٣ : ٨)

— ١ —

تراشو

كان القسيس يسـير مسرعاً فى طريقه ولكنه وقف فجأة ، وهمس بصوت خافت كما لو كان يحدث نفسه : «لابد أنى سمعت صوتاً !! » ..

ولكن كل شيء حوله كان ساكناً ساكتاً فاستمر فى طريقه كما كان . غير أنه وقف بعد فترة وقال :

«أنا متيقن أن هناك خناقة حامية على مسافة قريبة منى ... ولو أنى أشك كثيراً فى أن الأصوات أصوات بشر !! ثم هز رأسه هزات متوالية وقال : علمت ما هى . أنه الكبريت !! وكان رأيه صـواباً . إذ يظهر أنه ترك كبريتتين فى جيب صدريته ، كبريتة حمراء وكبريتة مسوكرة . ويظهر أنهما عرفتا بوجودهما معاً ...

بدأت الكبريتة الحمراء بالكلام :

« هالو يا « مسوكرة » من أين أتيت ؟ ترى هل أنت ضائعة أم مسروقة أم تائهة ؟ وما فائدة وجودك بعيدة عن صندوقك ؟ عندما يتناولك السيد ويحاول أن يشطك سيطرحك بسرعة جانبا قائلا : لاعجب أن كانت لاتشتعل ... أنها مسوكرة لعينة !! ولكن عند ما يمسكني —

وقالت الكبريتة المسوكرة مكملة : « أنه يجد أن رأسك قد ضاع ... بل هو الان سايب .

وأجابت الكبريتة الحمراء : بس شاطرة فى « الغلبة » . أنت تعرفين جيداً أنى أمهر منك كثيراً أيتها « المسوكرة » ، أن مكانك هو فى غرفة الأولاد بينما أنا أحس أنى ولدت لاصنع شيئاً عظيماً . ربما لاشعل الإشارة فى زمن الحرب ، وربما ... »

وصاحت المسوكرة : « كفى ... كفى ... أن من يسمعك يظن أنك ستشعلين « بحر النيل » بالنار !! »

وعند هذا شعر القسيس أنه قد جاء الوقت ليتداخل . ولذلك مد يده إلى جيبه ، وأخرج الكبرتتين . وقدم لهما خطاباً نفيساً قال :

« أنا مندهش منكما . أنتما عار لصدريتى ... والآن أصغيا إلى : لايجوز أن يكون بينكما خصام فى ما بعد . أن كنتما لاتستطيعان أن تقولا شيئاً صالحاً عن بعضكما فاصمتا ... هل تسمعان ؟؟ »

وأعاد عودى الثقاب إلى صدريته ، وصار سكوت لمدة طويلة !!

- ٣ -

مصالح :

وأخيراً تكلمت الكبريتة « المسوكرة » بصوت خافت فقالت « لوسيفر » « وهو اسم الكبريتة الحمراء » أنا آسفة كثيراً على ما تكلمت معك! أخشى ان سبب كلامى الغيرة والحسد ؟ انتم يا « حمر » مهرة مقتدرون . . . لقد سمعت منذ وقت قريب قصة سفينة غرقت . . . يظهر أنها صدمت الصخور فانفتح جنبها وبدأ الماء يدخلها ، وابتدأت تغوص . وكان على الربان والبحارة أن يتركوا السفينة الغارقة وينزلوا فى قوارب النجاة ليتجهوا إلى جزيرة مجهولة !

وحالما رسوا أعدوا حطباً ليشعلوا ناراً . ولكنهم وجدوا أنهم لم يحضروا معهم كبريتاً ! ! فتش كل واحد جيبه . . . وأخيراً عثر أحدهم على « عود » واحد فاجتمعوا حوله « وحكوه » وأشعلوا النار ، وجهزوا عليها طعامهم . وفى اليوم التالى أبصروا أنوار سفينة فى عرض البحر فأوقدوا ناراً عظيمة كعلامة ومن حسن الحظ رأت السفينة النور .... وجاء قارب منها وأنقذهم ...

فلو كان عود الثقاب الذى وجده البحار فى جيبه من الصنف المسوكر لهلكوا جميعاً لعدم العثور عليهم فى ذلك المكان المجهول . . . وددت لو أنى شاطرة مثلكم ! »

وصار سكوت أيضاً مدة ، ثم تكلمت الكبريتة الحمراء قائلة :

« يا « مسكورة » أرجو أن تغفرى لى حدة طبعى معك : نحن « الحمر » لنا رءوس حامية ، وخصوصاً عندما يحكمنا أحد . على اننى يجب أن أعترف أنكم معشر الكبريت المسوكر أفضل منا فى أشياء كثيرة ! أخشى أن قصتك عن الكبريتة الحمراء « تنفخنى » ، ولو أنها صحيحة بلا جدال ... ولكنها تذكرنى بقصة تختلف عن ذلك تمام الاختلاف سمعتها الأسبوع الماضى فقط !!

حدث أن مصنعاً كبيراً جداً فى لندن ، شبت فيه حريقة دمرته عن آخره وقد نجت الأرواح بمعجزة ... وقد اتضح من التحقيق أن السبب أن ولداً كان يجرى داخل المصنع فداس على كبريتة مطروحة على الأرض فاشتعلت ، وجاءت تلك الكارثة . . . ولو أنها كانت كبريتة مسوكرة — وليست من نوعى — لما حصل شىء !! »

— ٣ —

القسيس يتكلم أيضا

وقد سر القسيس كثيراً لما سمعهما تتحدثان بهذه الكيفية . فأخرجهما مرة أخرى من جيبه وقال :

« احسنتما — لأنكما سلكتما هذا المسلك الصالح فسأعلمكما بعض الاشعار التى يجوز أن تلقياها للاولاد الذين تحت الثانية عشرة :

كبريت أسمنــا فى الكون
بنى أحمر فى اللون

فى الليـــــل   ترقص وتغنى
نخطو للنوم   بلا عون

* * *

الـكبريت الأحمر

أولادنا الصغار   مثل كبريت ينير
لاتعيشوا فى ظـلام   بل أضيئوا وأنيروا
وليكن نوراً نقياً   هيا بالأنوار سيروا

الـكبريت المأمون

يابنـاتى الفضليات   كن دوماً نـــيراتِ
أشرقن فى العين ضحكا   والوجوه الباسماتِ
واجعلن جواً منيراً   سيما بيت الحيـــاة

— ٧ —

الضيف الطريد

فقال له يسوع « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار
وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه (مت ٨ : ٢٠)

— ١ —

ليلة عيد الميلاد

كان فى سالف العصر والأوان . وما مضى من الأحقاب والأزمان .
كان غلام صغير خرج يتجول ليلة عيد الميلاد فى شوارع إحدى المـــدن العظيمة فرأى جماً غفيرا فى الشوارع من الآباء والأمهات ، والأخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، وحتى من الأجداد والجدات كلهم يسيرون مسرعين نحو بيوتهم وفى أيديهم حزم من الهدايا لذويهم وأصحابهم وبالأكثر لأولادهم الصغار . رأى أيضاً عربات صغيرة تسير فى الشوارع بسرعة البرق وعربات بضاعة محملة بطرود البضائع المتنوعة . رأى خدماً يحملون على أكتافهم وبأيديهم ، طروداً ، مربوطة بأشرطة ملونة . أو صناديق جميلة والكل يسرعون فى ســـيرهم وعلامات الفرح والابتهاج تبدو على وجوههم لحلول ليلة عيد الميلاد المجيد

— ٢ —

طريد

تطلع الغلام نحو البيوت فرأى من النوافذ المفتوحة أنواراً باهرة تأخذ الابصار ، تتدفق من تلك النوافذ حتى جعلت الليل كالنهار . ولكن يظهر أنه لم يكن لذلك الغلام بيت يأوى إليه . فكان يجول طائفاً من شارع إلى شارع . ولم يكن أحد يبالى به أو يلتفت إليه ما عدا برد تلك الليلة ، البرد القارص الذى احتضنه فجعل اطراف يديه ورجليه تكاد أن تهرأ من شدة لذعاته التى اخترقت ملابسه الرثة ، فجعلته ينتفض كعصفور بلله القطر !! فصار يمر من بيت إلى بيت ، وهو يتطلع بعينين متلهفتين من النوافذ فيرى الأولاد وهم يمرحون ويفرحون ، ويرقصون ويغنون . ورأى كثيرين منهم يشتغلون فى توضيب شجرة عيد الميلاد استعداداً للغد

فقال فى نفسه ، لاشك أنه حيثما يوجد فرح ومرح عظيم بهذه الدرجة ومتكاثر ، فلا بد أنه يوجد شيء منه ولو زهيد يفيض لى منهم ، فلماذا لا اطرق باباً من هذه الابواب ، وأطلب أن يقبلونى معهم ؟ وهكذا اقترب بخطوات مرتجفة وخائفة نحو بيت كبير وفخم ، فرأى من نوافذه شجرة العيد الجميلة مزينة بالأنوار الباهرة والهدايا الثمينة المعلقة حولها ، وقد رصعت فروعها الخضراء بأنواع الزينة المذهبة والمفضضة . فصعد بكل بطء على درج الباب الكبير ، وبيد مرتعشة قرع الجرس . ففتح الباب بواب طويل القامة ، مهيب الطلعة ، وفى ملابس مزركشة ، وإنما كان له وجه يطفح لطفاً وشفقة . ولو أن صوته كان خشناً وقوياً . فنظر فى وجه الغلام لحظة ثم

هز رأسه بحزن وأسف ، وقال له : « انزل يابنى ، فانه لا يوجد مكان لك فى هذا القصر !! » وإذ عاد الغلام إلى الظلام والبرد ثانية ، قال فى نفسه : « لماذا كلمنى البواب هكذا ؟ إن الأولاد فى داخل القصر يحبون بكل تأكيد أن يكون لهم رفيق جديد يزيد لهم مسرات العيد وأفراحه ! ! » على أن الأولاد فى الحقيقة لم يكن لهم علم بمجيئه ولا بذهابه !! .

وقد ازداد ظلام الشارع وبرده عليه ، وهو يتوغل فيه سيراً على قدميه المرتعشتين . فصار يقول فى نفسه بحزن وألم : ألا يوجد فرد واحد فى كل هذه المدينة العظيمة يقاسمنى أفراحه فى العيد ! ... وهكذا كان يسير خطوة بعد خطوة متجولا فى الشارع ، ومجتازاً بالبيوت الكبيرة والجميلة المزدهرة بالأنوار . والخارجة منها أصوات الفرح والتهليل

ورأى فى أحدى النوافذ حملا صغيراً من صوف أبيض ناعم ، وحول عنقه شريط أحمر ، ولا بد أنه كان معلقاً على الشجرة لأحد الأولاد الصغار . فتقدم نحو هذا الشباك ، وقرع زجاجه على قرعاً خفيفاً وهو يتطلع بلهفة واهتمام شديدين إلى الهدايا المعلقة على الشجرة . ولكن كان الحمل الصوفى الأبيض موضوع اهتمامه والتفاته أكثر من كل هدية أخرى . ثم أنه عاود القرع الخفيف على الزجاج . اقتربت فتاة صغيرة من الشباك ، وتطلعت نحو الشارع المظلم وأبصرت الثلج وقد أخذ يتساقط عليه . فوقع نظرها على الغلام ، وحالا قطبت جبينها وهزت رأسها وقالت له : « اذهب الآن ، وتعال فى فرصة أخرى لأننا اليوم مشغولون . فلا نقدر أن نعنى بأمرك »

فسار المسكين مرة أخرى إلى الشارع البارد المظلم . وكأنى بالريح الصرصر الباردة التى هبت عليه بشدة تقول له : « اسرع ، اسرع ، فليس لك وقت للوقوف ههنا . إنها ليلة عيد الميلاد . وكل إنسان مسرع الليلة للرجوع إلى بيته ! » .

فعاد يسير متثاقلا ، ويقرع من وقت إلى آخر هذا الباب وذلك الشباك . وفى كل مكان كان يقابل بالرفض والطرد . فان هذه الأم مثلا كانت تخاف لئلا يكون عنده مرض معد فيمتد منه إلى أولادها الاعزاء ! والأخرى كانت ترى أن ما أعدته من هدايا وحلوى ومآكل للعيد بالكاد يكفى أولادها وليس فيه مزيد لغريب . وأخرى تقول : « ارجع واذهب إلى بيتك عند أمك ولا تقلق الناس بتسولك على أبوابهم فى مثل هذه الليلة المفرحة » ... وهلم جرآ

— ٣ —

قلوب رحيمة

وهكذا مرت ساعة بعد أخرى من الليل ، واشتدت الرياح الباردة عصفاً وبرودة ، وازدادت الشوارع ظلاما . وهو يسير دون أن يتوقف ، كأنه يقصد إلى مكان معلوم ، مع أنه كان لا يدرى إلى أين يذهب ، حتى أوشك أن ينتهى من الشارع دون أن يترك بابا لم يطرقه ويطرد منه . وآخر الكل رأى شعاعة نور تنبعث من بيت صغير حقير ، فقال فى نفسه : لأذهبن إلى هذا المنزل الذى ينبعث منه هذا النور الضعيف فربما يقبلون أن أقاسمهم أفراح العيد ؟! .

وإذ ذاك سار مسرعا دون أن يقف على بيت من البيوت التى فى طريقه إلى أن وصل إلى آخر الشارع وذهب توا إلى الشباك الذى ظهر له منه النور . وكان البيت صغيرا وقديماً وحقيرا . ولكن هذا لم يهم الغلام كثيرا ، لأن شعاعة النور كانت له بمثابة دعوة للدخول فيه . وهل تعرفون ماذا كان ذلك الضوء ؟ إنه لم يكن إلا ضوء شمعة صغيرة موضوعة فى زجاجة صغيرة على عتبة الشباك كعلامة مفرحة لليلة عيد الميلاد ، ولم يكن على الشباك ستارة غطاء . وإذ تطلع من زجاجه إلى الداخل رأى شجرة صغيرة موضوعة فوق مائدة قديمة عارية من كل زينة وزخرف . والغرفة لا يوجد بها أثاث يذكر وإنما كانت نظيفة وكل ما فيها يدل على الترتيب والاتقان والعناية وبقرب الموقد جلست سيدة بوجه صبوح ، وهى الأم وعلى ركبتها طفلة لا تتجاوز الثانية من عمرها . وبجانبها أخرى أكبر منها وكانت كل منهما تتطلع فى وجه الأم بحنو وتصغى للقصة التى كانت تلقيها عليهما بكل انتباه — وقد كانت القصة قصة الميلاد العجيبة وكان الفحم تتوقد جذواته الملتهبة فى الموقد ، والكل فى دفء وسرور وحبور !!

فاقترب الغلام كثيرا إلى الشباك ، وقد اجتذبه منظر وجه الأم الحنون ومنظر الولدين الفرحين المتهللين حول أمهما ، حتى أنه تشجع وقرع على الشباك قرعته الخفيفة فتوقفت الأم عن الكلام ، وانصتت لصوت القرع ونظر الولدان إلى جهة الشباك ، وتساءلا « ما هذا ياماما ؟ » فقالت : «أظن

أن شخصا يريد الدخول عندنا ، فاسرعى يا بنيتى وافتحى الباب لأن الهواء بارد جدا الليلة ، ويصعب على من فى الخارج أن يقف طويلا أمام هباته المؤلمة !! »

فأجابتها الكبرى: «أظن يا ماما أنه صوت خشخشة أغصان الأشجار فى الشارع بسبب هبوب العاصفة . فكملى لنا القصة » ولكن القرع استمر ثانية فقالت الأم : «إنه شخص يقرع بكل تأكيد . فاذهبى سريعاً وافتحى له الباب ، وأدخليه ، فهذه ليلة عيد ميلاد السيد ، ويجب ألا يترك شخص فى الشارع ، أو يرد سائل عن الباب !! »

فركضت الفتاة وفتحت الباب على مصراعيه . وإذا بالأم ترى على العتبة غلاما فى ثياب رثة ، وقد برح به البرد ، وانهكه التعب ، وهو يرتعش من قمة رأسه العارية إلى أخمص قدميه الحافيتين . فقامت مسرعة وأمسكته بكلتا يديها ، وجذبته نحو الغرفة الداخلية الدافئة بالنيران المتوقدة . وطوقته بذراعيها ، وضمته إلى صدرها وهى تقول : « إنه بردان يا ولدى العزيزين ، بردان جداً ، فيجب أن ندفئه » . فردت عليها ابنتها الكبرى « يجب أن نحبه ونعطيه من أشياء العيد أيضا ! » فقالت الأم : «نعم ، ولكن لندفئه أولا !!»

وحينئذ جلست الأم بجانب الموقد ، ووضعت الغلام فى حجرها ، وأخذت كل فتاة يدا من يديه تفركانها للتدفئة إذ كانتا قد أوشكتا أن تتجمدا من شدة البرد . وصارت الأم تسوى له شعر رأسه المجعد لأن الثلج قد لبده . ثم انحنت على رأسه وقبلت جبينه . وجمعت الثلاثة الصغار حولها

فأضاء عليهم نور الشمعة ونور الموقد، وملأ قلوبهم سروراً وأجسامهم دفئاً !!

وكان سكوت فى الغرفة إلى حين . وكانت الأم تصلى بدون صوت . ثم رفعت رأسها وألقت كلمة فى أذن ابنتها الكبرى ، فركضت نحو الغرفة الأخرى وعادت تحمل فنجانا من اللبن الساخن ، وقطعة من الخبز للغلام الضيف

— ٤ —

الضيف البهى

وبعد أن أكل الغلام قالت الفتاة الصغرى لأمها: « لماذا لا توقدين شموع الشجرة الآن ليرى معنا ويفرح بجمال منظرها ؟ » فابتسمت الأم ارتياحا لهذا الاقتراح ، وأجلست الغلام على كرسى واطىء صغير أمام الموقد ، وذهبت لتحضر الزينة البسيطة القليلة التى كانت تختزنها من سنة إلى أخرى لتعلقها على الشجرة تفريحاً لأولادها وأهل بيتها !!

وصار الثلاثة يشتغلن باهتمام بتزيين الشجرة وإضاءتها ، وكان انشغالهن بذلك عظيما حتى أنهن لم يلاحظن أن الغرفة قد امتلأت نورا غريباً وجميلا . وفجأة الفت هذا أنظارهن وانتباههن فالتفتن إلى الغلام ضيفهن وإذا هو قد قام من مقعده وإذا ثيابه الرثة قد تبدلت بملابس بهية بيضاء وإذا شعره الملبد قد تحول إلى هالة من نور ذهبى تحيط برأسه الجميل

وأجمل الكل وأجمل الكل كان وجهه الذى أضاء بنور باهر مدهش، حتى أنهن لم يقدرن أن ينظرن إليه من شدة لمعانه !!

وبينما هن يتطلعن بدهشة وحيرة إذ بالغرفة تتسع وتتسع حتى صارت عالما متسعاً وإذا سقفها يعلو ويعلو حتى خيل لهم أنه بلغ السماء !

وإذا الغلام العجيب ينظر إليهن لحظة بابتسامة حلوة وجذابة ثم يرتفع فى الهواء ويطير فوق سطوح البيوت وأعالى الشجر وقباب الكنائس وفوق السحاب إلى أن خيل إليهن أنه صار كوكبا مضيئا فى كبد السماء !!

وحينئذ اختفى من أمام أنظارهن فالتفتت الفتاة فى خشوع وخوف وصمت وقالت بصوت خافت: «آه ياماما، إنه كان الطفل المسيح أليس كذلك ؟»

فأجابت الأم بصوت خافت جدا وكله خشوع وورع نعم ياعزيزتى، هو هو الممجد !!

(٨)

بالقرب من النور

« سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى (مز ١١٩ : ١٠٥) »

« انا هو نور العالم ، من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة (يو ٨ : ١٢) »

— ١ —

كانت العربة تسير والصمت والظلام يحيطان بها من كل جانب ... وكان الطريق يخترق أرض المستنقعات . ولم يكن بالعربة إلا شخصان طال بهما الصمت ، وكأنهما يخشيان الكلام ... وأخيراً همس أحدهما : « هل أنت نائم ياجاك ؟ » وأجاب الآخر : « كلا يا أبى لقد غفوت لحظة على ماأظن ، ولكنى فى حالة انفعال نفسانى ، فلم استطع أن أنام ... أين نحن الآن ؟ » أجاب الوالد : « نحن فى طريق المستنقعات ، على بعد أميال كثيرة من العمار ... على انى أظن أنه يوجد حقل أو اثنان بالقرب منا » . وصمت الوالد قليلا ثم قال : « أنا أخشى أن مصباح العربة ينطفى ، فقد بدأ يضعف ؛ يجب أن أقف وأصلحه !! » .

وقال جاك : « وهل يهم كثيراً أذا انطفأ يا ابى ؟ ؟ » .

— « نعم يابني . إنه لن يكون آمناً أن نسير فى الظلام فى طريق كهذا ! إن فى النور أماناً ياجاك . يوجد دائماً أمان بالقرب من « النور » ... « نور العالم » هو ما أعنيه !! » .

وتمتم جاك بهدوء .. نعم. لم يكن جاك مسيحياً ... لقد عرف كثيراً عن الرب يسوع ، ولكنه لم يعرفه كمخلصه ، ولم يكن يدرى أن سفرة تلك الليلة الحالكة الظلام ستنتهى به إلى قبوله النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان .

وأخذ المصباح ينطفئ وبدا الظلام على أشده . فأوقف مستر مورجان العربة ، وفتح بابها . وقال لابنه : «أنا خارج لأرى النور !! ».

— ٢ —

لا يذكر جاك ما حدث تماماً فقد توالت الحوادث بسرعة . لم يكن مستر مورجان يدرى أن حفرة طويلة موجودة على الجانب الأيمن من العربة ، ولذلك هوى فى نزوله من العربة . وسمع جاك صوت سقوطة وصدى أنينه ، فصاح برعب : « أبى ماذا حدث ، هل أصابك سوء ؟؟ » .

أجاب الوالد : « مهلا .. اخرج من الناحية الثانية من العربة . لقد سقطت فى حفرة ، وقد اصيبت قدمى على ما أظن بضرر » . واختفت كلماته فى أنة طويلة .

وثب جاك من مقعده ، ولكنه قبل أن يصل إلى أبيه انطفأ المصباح تماماً ، ولم تفد فيه المعالجة . ولذلك صاح بخوف :

« أبي ماذا نعمل الآن ؟؟ »

« انظر يابني . . أنا أرى على مسافة منا نوراً . ضعيفاً ! لا بد أن هناك عشة . . . نعم أنها على مسافة بعيدة ؛ ولكنها على نفس طريقنا . فهل يمكنك أن تسير إليها وتطلب المعونة ممن فيها ؟؟ »

كان جاك مورجان غلاماً حضرياً ، وكان طريق المستنقعات مخيفاً . ولكن جاك كان يحب أباه كثيراً فقال له : « سأذهب ياأبي » .

وقال الأب : « لتكن عينك على النور يا بني ؛ فالنور يهديك . . يوجد دائماً أمان بالقرب من النور » . وسار الغلام . . وسار . . وطالت سفرته حتى لقد ظن ان لانهاية لها . واخيراوصل الى النور . على أنه لم تكن هناك عشة ! وإنما كان مصباح كبير موضوع على صخر ، وضعه أحدهم لسبب لا يعلمه والتفت جاك هنا وهناك فلم ير اثر الحقول أو بيوت . فجلس بجانب النور مفكرا انه لا يستطيع أن يعود الى الطريق لأنه سيضل إذا حاول . كما أنه لا فائدة من السير الى الأمام أيضاً . ولكن . . . « يوجد أمان بالقرب من النور »

علم جاك أن أحدهم وضع النور هناك وعلم أنه لابدوأن يعود إليه . كانت المستنقعات اقليما متسعاً موحشاً ، ولكن « واحة » النور الصغيرة كانت له جزيرة أمان وتعزية ! !

وقال جاك فى نفسه : « أرجو ألا ينزعج أبي . . وكم اندهش هو من نفسه إذ لم يكن منزعجاً . وإذ جلس الغلام فى سكون الليل أدرك ما لم

يدركه قبلا . كم تكون الليلة المظلمة موحشة ، وكم يكون ليل الحياة مظلماً إذا لم ينره « نور العالم » !!

جالت فى رأسه الكلمات التى سمعها فى الكنيسة يوم الأحد الماضى من الراعى العجوز : « أنا هو نور العالم . من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » .

فقال أيها الرب يسوع « أنا آتى إليك . أنر قلبى .. » .

— ٣ —

« هالو . من هناك ؟ »

وثب جاك قائماً عند ما ابصر يدا امتدت الى النور ورفعته ، وبدا له وجه رجل شيخ يتطلع نحوه باندهال ..

وتكلم جاك .. وقص روايته . وقال الفلاح : « يامسكين . يالها من عناية . لابد أن أحد غلمانى نسى المصباح وهو يبحث عن خروف ضال هنا .. لقد أوشك الفجر ان يجىء ، وبيتى قريب من هنا يابنى .. ولكن تعال معى . أنا أعرف طريق المستنقعات وسيهدينا النور . وسنصل الى أبيك فى الوقت المناسب !! »

— ٤ —

نحن الآن فى عشة الرجل الشيخ صاحب المصباح . وقد جلس هو

وزوجته ومستر مورجان وابنه حول مائدة الإفطار .. وكانت قدم مستر مورجان ملفوفة برباط كبير وهو يسندها على كرسى ..

وقال الشيخ : « لقد فكرت أولا فى أن أوبخ الغلام الذى نسى المصباح .. ولكنى — ثم التفت الى جاك مبتسما — ولكنى عدت وقررت عدم توبيخه » وابتسمت زوجته أيضاً وقالت : « كلا لا توبخه ... لقد ساعد النور المحتاجين ... من يعلم فربما استطاع النور الذى نضعه أن يهدى اقداما الى الأمان .. بل ربما استطاع أن يرد نفساً إلى نور الله ؟! »

ورفع جاك وجهه وتألقت عيناه بضياء وقال : « هذا ماعمله نورك معى يامسز برون . قال أبى أنه يوجد أمان دائماً بالقرب من النور وأنا قد اتيت الى « نور العالم » الليلة الماضية وسابقى فيه إلى منتهى الحياة !!! »

يا كوكب الحب العجيب ... يانور فادى الكريم
من بين اشواك الصليب ... اشرق على قلبى الاثيم
حتى ارى الحياه
يا كوكب الحب الجميل ... ياطالعاً فوق الوجود
انر لنفسى فى السبيل ... وابسم بأنوار الخلود
حتى أرى الحياة

(٩)

الفستان الجديد

« . . . ألبسنى ثياب الخلاص .
كسانى رداء البر » اش ٦١: ١٠ »

فى الكتاب المقدس قصة أخوة مزقوا قميص أخيهم . . القميص الملون . ونحن بالطبع نتأسف بسبب عملهم هذا . . ونتألم . ولكنى اليوم أريد أن أبهجكم فأقص عليكم قصة أخ سعى وتعب لكى يشترى لأخته ثوباً ولما اشتراه كان فى أكمل فرح

— ١ —

كان القارب ينساب على مياه نهر الدانوب متجهاً نحو ڤينا عاصمة الامبراطورية النمسوية . ولم تكن هذه أول مرة له ، فقد اعتاد من يوم أن نزل الماء أن يسافر من سالسبورج إلى ڤينا ، وكان على ظهر القارب هذه المرة رجل اسمه ليوبولد موزار يصحبه ابنه الصغير وابنته . وقد وقفت الابنة فى مقدمة القارب ، ترقب الماء وهو ينساب تحتهم . وكانت تطرح فيه بين حين وآخر حصاة صغيرة . . .

كانت الفتاة فى نحو الثانية عشرة وكانت ممشوقة القد ، وجهها أبيض مستدير ، وعيناها واسعتان تشعان بهاء . وكانت تشبه صورة «الجوكندة»

بالرغم من أن فستانها كان قد بلى بحيث أصبح خيوطاً — وبينما كانت غارقة فى تأملاتها ،كان الابن ، وهو لا يزيد عن العاشرة — واقفاً بجانب أبيه يهمس فى أذنيه : لئن أمكنك أن تحصل على مال فى المدينة فلتشتر فستاناً لماريان ! ! وسمعت ماريان كلمة أخيها ، وعرفت ما ستسببه لأبيها من ألم ، فالتفت إليه وقالت : « لا تكن ثرثاراً ياولفجانج . أنت تعلم أن فستانى لا يزال صالحاً ، ولن أشترى فستاناً آخر حتى ينتهى هذا تماماً .. وعند ذلك سيكون الفستان الجديد فى غاية الجمال لأنه سيأتى فى وقت الحاجة إليه » ..

وقال أخوها : « ولكنى أعلم ياماريان أنك تحتاجين إلى فستان جديد .. بل أعلم أنك تطلبين .. لقدسمعتك — وأنت تصلين — تذكرين فى صلواتك الفستان الجديد » .

— ٢ —

سمع أبوها هذا الحوار بين الأخ واخته ، فكان ألسنة من نار تلهب القلب . وتمشى الحزن والألم فى وجهه .. كان يعلم أن كلمات ابنه صحيحة تماماً ، وكان يرى أن كلمات ابنته إنما هى محاولة منها أن تخفف الألم عن ابيها . وكان يود أن يشترى الثوب لابنته ، ودمعت عيناه لأنه رأى أنه يستحيل عليه ذلك . لم يكن إلا رئيس فرقة موسيقية جوالة ، وكان مرتبه ضئيلا جداً . . جداً . . وياليته كان يبقى له كله فإن الضريبة على قيثارته كانت تتناول أزيد من نصف إيراده . وكان الباقى لا يكاد يكفى أمس

ضروريات الحياة . كلا . لا يمكن أن يشترى الفستان .. يجب أن تنتظر ماريان إلى أن تأتى ظروف أفضل !!

وقرأ الابن ما ارتسم على وجه أبيه كما من كتاب مفتوح وتألم . . تألم لأخته المسكينة التى تحتاج إلى الفستان ، والتى ترغبه بكل جوارحها ، ولكنها — وهى بعد صغيرة — تنكر ذاتها من أجل أبيها ، وتعلن عدم حاجتها . . وتألم لأبيه الذى يود من كل قلبه أن يشترى الفستان ، ولكنه لشدة حاجته لايستطيع . وتألم لنفسه ، لأنه وهو يرغب أن يسر أخته يقف عاجزاً لا يستطيع ...

وغرق الابن فى لجة أفكاره ، وهو يقلب كل الأمور على وجوهها المختلفة ، ويتساءل أما من وسيلة لحل هذه العقدة ؟ لقد سمع من معلمه الشيخ أن كل معضلة فى العالم يمكن أن يوجد حل لها إذا كان التفكير فيها سليما .. وها هو يفكر ويفكر ، ولكنه لايهتدى إلى وسيلة . نظر إلى بدلته التى كانت بعد جديدة ولايزال ببهاء جدتها ، فقد جاءته فقط من أسبوع هدية من عمه بمناسبة عيد ميلاده .. ثم نظر إلى أخته وتحسر . لقد شعر أنه أتعس مخلوق لأنه لايستطيع أن يسرها بشراء فستان جديد ..

— ٣ —

وانساب القارب على مياه الدانوب أمام خرائب القلعة التى قيل أن «ريكاردوس قلب الأسد» ملك الانجليز أعتقل فيها أثناء عودته من الحروب

الصليبية ... وذكر القصص الجميلة التي قصتها له ولاخته أمهما عن الملك الجندي الشجاع وعن حروبه العظيمة ضد صلاح الدين السلطان المسلم الكبير وعن انتصاراته المجيدة .. وذكر أن الغيرة دبت في قلوب المسيحيين من الأمم الأخرى فتربص له بعضهم وأسروه وسجنوه في قلعة حرصوا على لا يعرفها أحد حتى لا يتيسر انقاذه .. ثم ذكر كيف أن الخادم الأمين «بلوندل» طاف كل أراضي العالم يبحث عن سيده ، وكيف فتقت له الحيلة أن يغني أمام كل قلعة وسجن أغنية يعرفانها هما وحدهما ، وكيف أمكنه أن يعرف مكان سجنه بهذه الوسيلة ، إذ سمع «ريكاردوس» أغنية «بلوندل» فغنى المقطع الثاني لها . . وتمكن «بلوندل» بعد ذلك من انقاذه؟!! طافت كل هذه القصص بذهن ولفجانج وقال : «لقد كان بلوندل شجاعاً وحكيماً .. آه لو كان هو نظيره ! إذن لأمكنه أن يعثر على وسيلة تمكنه من شراء فستان لأخته !! »

— ٤ —

وبغتة أشرق وجهه بابتهاج ، فقد مرت بذهنه فكرة عجيبة . . وابتسم ابتسامة حلوة وهو يعيد تقليبها . وقال في نفسه : « إذا نجحت هذه الفكرة — وأرجو أن تنجح — فسيكون لماريان فستان جديد ، إذ سيكون مع أبيه المال الكافي له » ..

واقترب القارب من المدينة ، وبدت من بعيد صورة التمثال الكبير وأعالي القصور ، وظهر الانفعال على وجه الغلام . وظن والده أن ذلك

بسبب رؤيته للمدينة الكبيرة .. وقبل أن يرسو القارب ، طلب ولفجانج من أبيه أن يرفع غطاء القيثارة ، وابتسم موزار الكبير وقال: « كم أنت فخور بها » ولم يتكلم ابنه بل كان يتأمل اباه وهو يحل السيور التي تربط كيس القيثارة وأبصر الآلة الجميلة . وسار القارب ، وذهب المسافرون إلى مكتب الجمرك وجاء كبير الموظفين يفتش ... ووصل إلى « العائلة الموسيقية » وسأل هل عندهم شيء يستحق وضع ضريبة؟ وأجاب الأب : « لا شيء إلا هذه القيثارة » ... وتأملها الموظف وقال . « قيثارة جميلة غالية ! » ثم ذكر رقما كبيراً ضريبة لها، رقماً اكتسح أكثر من نصف مايملكه الرجل، فهبط قلبه واصفر وجه الابن وغمغمت ماريان بأسف. ولكن ماالعمل ؟! وضع ليوبولد يده فى جيبه وأخرج كيسه . على أنه قبل أن يحل سيوره وثب ولفجانج وأمسك القيثارة وأجرى عليها يده ، فأخرج أنغامها السحرية البديعة . ودهش الموظف من تلك الموسيقى الملائكية ، واجتمع معه باقى الموظفين وجميع الركاب ، بل أبوه وأخته أيضاً ، وأصغى جميعهم لعزفه الأخاذ. لم تكن ترى إلا عيوناً واسعة ، وأفواهاً مفتوحة ، وأنفاساً تكاد تكون ساكتة ، ونفوساً خاشعة ... وظل يعزف مدة طويلة .. ثم سكت .. وإذ ذاك استيقظوا كما من حلم وقال أحدهم : « ياللعجب ولد فى هـــذه السن يعزف هكذا؟!» .. وأجاب الأب «نعم: هو ماهر فى العزف » .. وقال موظف الجمرك : « عجيب ! لقد سمعت عازفين كثيرين ولكنى لم أسمع موسيقى ملائكية نظير هذه .. اعزف يابنى أيضاً !! » .. وابتسم ولفجانج فقد شعر أن فكرته قد بدأت تنجح، وأولاه هذا الشعور قوة،فالقى أبدع مقطوعات



سمعتها فينا . وكان الجمع المحيط يحبسون أنفاسهم لئلا تشوه هـــذا السحر الحلال .. كانت يده وهى تقبض على القيثار تقبض على أوتار قلوبهم .. وظلوا هكذا مدة طويلة إلى أن قال الأب : « كفى يابنى يجب أن نذهب لنفتش عن فندق نأوى اليه ! » ثم مدَّ يده بالنقود إلى موظف الجرك وقال « ها هو المبلغ الذى طلبته ياسيدى » ..

ولـكن الرجل هزَّ رأسه وقال : « كلا . أن الولد الذى يستطيع أن يقدم سروراً كالسرور الذى أولانا اياه يستحق أن يكافأ .. خذ هذا المال واشتر له به شيئاً » . وصاح الولد : « أبى .. اشتر به الفستان لماريان !! » ودهش

الموظف وقال وعيناه تدمعان : « ياله من ولد مدهش.. ماهر وطيب »..
وأجاب الوالد بصوت عميق : « نعم لقد كانت رغبة قلبه أن يشترى فستانا لأخته ، وهو أسعد مايكون لأنه استطاع ».

وجاء الفستان ، وكان فستانا أحمر جميلا سرت منه ماريان جـــداً . .
وكان الوالد مسروراً ولا شك ، ولـكن الذى سر أكثر من الـكل كان أخوها ولفجانج

— ٥ —

وقد قامت الجوقة بحفلات كثيرة فى العاصمة .. وتشرفت بالعزف أمام العائلة المـالـكة جملة مرات . وسرت الأمبراطورة مارى تريز من ولفجانج وأخته ، وأغدقت عليهما سيلا من جودها . فكان لهما ثياب جميلة مزركشة ومال كثير .. وكانت تدعو ولفجانج : « الساحر الصغير » .

وعادت العـائلة بعد مدة إلى سالسبورج ، وانشغل الصبي بدراسة الموسيقى ، ونبغ فيهـا .... واشتهر ، بل امتدت شهرته إلى بعيد ، وسمع العالم أجمع اسم الموسيقى الـكبير « موزار » — « ولفجانج موزار » — الذى لا يزال إلى الآن فخر الموسيقى ، وسيد العازفين . وقد كانت حياته مجموعة أعمال مدهشة .. ومرت به أوقات سعيدة كثيرة ، ولـكن أسعـد أيامه كان يوم أن اشترى لأخته الفستان الأحمر الجميل !!

وهنا أرجو أن تخبرونى عن « أخ » اشترى لأخته ثوباً دفع فيه ثمناً هو دمه وحياته ؟!!

(١٠)

حظّ حنة

« ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً
للخير للذين يحبون الله (رو ٨ : ٢٨) »

— ١ —

قرأت « حنة » هذه الآية فى كتابها المقدس ولكنها لم تصدقها أبداً بل تنهدت ، وقالت بحزن شديد: «أن كسر رجلى كان ردياً فى حد ذاته ، فكم بالحرى إذا كان من نتائجه حرمانى من رحلة جميلة فى أحراش كندا ؟ ! ؟» — ثم سالت الدموع على خديها لأنها طالما كانت تحلم بهذه الأمنية . فلما صارت قريبة التحقيق خابت آمالها كلها .

فان جارتها السيدة « هولت » كانت قد سبقت ودعتها لمرافقتها إلى بحيرة يوسف الجميلة مدة الصيف لتعتنى بولديها الصغيرين . ووعدتها نظير ذلك بمكافأة مالية طيبة تكفى لمشترى ملابسها فى كل السنة التالية . لكن من « سوء بختها » كانت نازلة من سلم البيت ، فزلقت قدمها فوقعت وانصدع كاحلها صدعاً شديداً اضطرها لملازمة الفراش ، واضطر جارتها أن تأخذ معها الفتاة « بسى » وهى زميلتها فى المدرسة والآن جاءها منها مكتوب

تصف فيه التنزهات في الاحراش الصنوبرية ، والسباحة فى البحيرة وماأشبه مما جعل الدموع تنحدر من عينيها مدراراً !! .

وكانت أيام الصيف الحارة طويلة جداً على حنة ، وكانت آلامها مزدوجة ، آلام الكسر فى رجلها ، وآلام الخيبة فى آمالها ، لا سيما وقد سافرت صديقاتها جميعاً إلى المصايف — حقاً كانت تجربتها شديدة !!

— ٢ —

مر أسبوع على حنة فى سجنها القاسي وفى آخر الأسبوع كانت تقرأ على ضوء المصباح الضئيل فى جريدة يومية . ووقع نظرها فى آخر الصفحة الثالثة على حكمة اليوم فإذا هى « أن التعود على النظر إلى الجانب المنير لأفضل من ألف ريال فى السنة » !!!

الف ريال ؟ ! أنه مبلغ كبير يسيل له لعاب فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها ، كلها آمال فى الملابس والظهور والنزهة والاسفار. وقالت حنة فى نفسها : كان يمكنني أن أربي فى نفسي هذه العادة الحسنة لو أنى ذهبت الى هذه الرحلة ووفرت شيئاً من المال ! ! على أنها فكرت فى نفسها أن تحاول ذلك بالرغم من ظروفها السيئة !!

وأمطرت السماء فى اليوم التالى فبدأت حنة «تبرطم» وتشكو ولكنها تنبهت لنفسها وقالت: « يجب أن أنظر الى الناحية المنيرة حسبما تقول حكمة اليوم يجب أن أقول: «ياله من يوم طقسه بارد جميل !!»

— ٣ —

وفى ثالث يوم قرأت حكمة أخرى وهى :

« أنا لا أنزل عن محبتى للقراءة ولو أعطيت كنوز الهند النفيسة !! » — فقالت فى نفسها :

أنا أحب القراءة فهل أملك ما هو أغنى من كنوز الهند ؟ — إن كان هذا فلأجعل مدة حبسى هذه فرصة لدرس كتب كثيرة — ومن ثم أخذت قرطاساً وقلماً وكتبت أسماء بعض الكتب التى ترغب فى الإطلاع عليها ولما غلب عليها النوم — رأت فى حلمها أنها تسير على شاطىء بحيرة فى جزيرة فعثرت على كيس كبير ولما فتحته وجدته مملوءاً بالكتب النفيسة المزينة بالصور والألوان البهية !!

ولما نهضت فى الصباح كانت آثار الحلم لاتزال باقية فى ذهنها فذكرت أسماء بعض الكتب التى رأتها فى الكيس وأضافتها إلى قائمتها وكانت « كتاب جغرافية العالم وقصة الجنس البشرى » لفارلون - وكتاب « أليس فى أرض العجائب » وكتاب « قوس قزح الذهبى » و« جزيرة الكنز » و« دافيد كوبرفيلد » وهكذا.

ولما أحضروا لها هـــذه الكتب بدأت بقراءة الأول إذ كانت مغرمة بالجغرافية والتاريخ — وقد أهداها عمها كرة أرضية تطبق عليها درسها الكتابى فكانت بها جد مسرورة !!

وبينما كانت يوماً تدرس كتابها وهى تطبق حقائقه على « كرتها » زارتهم صديقة غنية لأمها . وكانت سيدة من أولئك الذين تمكنهم ثروتهم من الاطلاع الكثير . وقد زارت تقريباً كل أنحاء الكرة الأرضية . ولما تحادثت مع حنة سرت من اطلاعها الجغرافى ولذلك رغبت منها أن تدرس علم الجغرافيا لأبنها الذى رسب فى هذا العلم فى الدور الأول عسى أن ينجح فى الدور الثانى — وعرضت عليها نظير ذلك مبلغاً كبيرا فاق أكبر مبلغ خطر ببالها . فما سمعته من فمها حتى دهشت وقبلت فى الحال !!

وفى اليوم التالى ابتدأت تقوم بالتدريس، فكانت تعلّم وتتعلم — ولما جاء الخريف دخل الصبى الامتحان ونجح بتفوق — وكان كيس حنة مملوءا بالنقود الكافية لتشترى جميع لوازمها وملابسها . وإذ ذاك تلاشت غيرتها من زميلاتها وضاع حقدها على دهرها ، وشكرت إلهها لأنه سمح بكسر رجلها لكى يضطرها إلى البقاء فى البيت فيعطيها فرصة للدرس والتمرن على التدريس وفى نفس الوقت ترتاح من متاعب الانتقال وتنال مكافأة مالية عظيمة — وفوق الكل تعلمت حكمتين صارتا لها قانوناً فى الحياة وهما :

« أن التعود على النظر الى الجانب المنير لأفضل من ألف ريال فى السنة! »

« أنا لا انزل عن محبتى للقراءة ولو أعطيت كل كنوز الهند النفيسة »

* * *

وقد تحقق لديها صدق القول :

« ونحن نعلم ان كل الأشياء تعمل معاً للخير الذين يحبون الله »

١٢

الناس والكاس

« فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ
كالافعوان (ام ٢٣ : ٣٢) »

عظتى هـــذا الصباح من اليابان ، وليست اليابان غريبة عنا وسأضع أمامكم مثلا يابانياً هذه ترجمته

يشرب الناس الكاس

تشرب الكاس الكاس

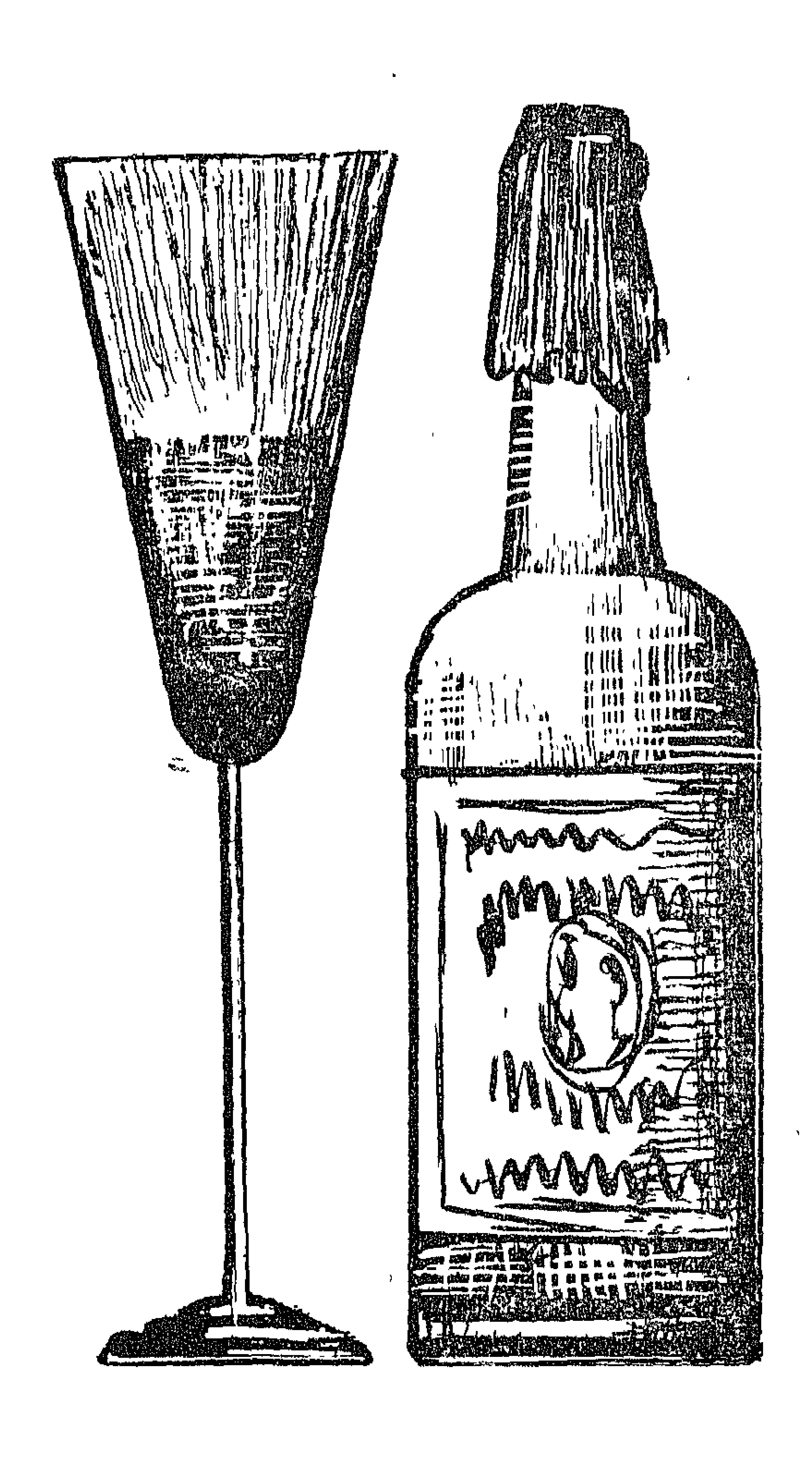
تشرب الكاس الناس

وهو مثل غريب خصوصاً فى السطرين الأخيرين . إذ لا غرابة فى ان « يشرب الناس الكاس » . لكن أليس هناك شيء من السخرية فى القول « تشرب الكاس الكاس » — واغرب من ذلك قولهم : « تشرب الكاس الناس » — ويظهر لأول وهلة أن هذا المثل اليابانى متنافر العبارات ولكن هاكم قصة صغيرة توضح المعنى : —

— ١ —

يشرب الناس الكاس

كان رجل يابانى أسمه «كاجاسان» يملك فى طوكيو دكاناً كبيراً للّعب ،



الناس والكاس

يقع وراء مصنع هاته اللعب — وكان للرجل ولدان هما «شيكو» و«هندو» وقد أغرما جداً بزيارة مصنع ابيهما فكانا يذهبان هناك كل وقت استطاعا. ولم يهتما كثيراً بالعرائس أو اللعب الأخرى لأن جل اهتمامهما كان بالطيارات . وكان عند «كاجاسان» من هذه كميات كثيرة متنوعة مختلفة الألوان ما بين حمراء وخضراء وصفراء وزرقاء وبرتقالية وسوداء ومذهبة ومفضضة ...

وكان في اليابان عيد وطني مرة في السنة للعب بالطيارات ... فكان الكل يتهافتون على «كاجاسان» ويشترون طياراته . وجنى الرجل من ذلك ربحا كبيراً جداً . وكان من نتيجة ذلك أنه كان يقيم في بيت فخيم مؤثث بأغلى الرياش وكان عنده عربات وخدم .. وكل ماتشتهيه النفس . وكان «شيكو» و«وهندو» يلبسان أجمل الثياب وينفقان بسخاء !!.

وكان على مقربة من مصنع اللعب دكان لياباني آخر يبيع الخمور . . في أحد الأيام شعر «كاجاسان» بتعب فذهب إلى الحانة وطلب كاساً شربها . شرب «كاجاسان» الكاس ، ومع أنه لم يستطبها بل تأذى من طعمها وكأنما قد أشعلت النار في حنجرته ، إلا أنه اعتاد ارتياد الحانة يوماً بعد الآخر .

— ٢ —

تشرب الكاس الكاس

وبعد ان ارتاد «كاجاسان» الحانة كثيراً، فكر في نفسه أن الخمر لاتجديه نفعاً . إذ كان يعمل غلطات كثيرة في حساباته فقال : «لا بد ان الخمر هي

التى سببت ارتباك مخى .. أنى لم أرتكب مثل هذا الخطأ قبل ذلك .. أذن لن أشرب الخمر !! ».

ولما ان جاء ميعاد الشرب أحس كأن شيئاً فى معدته يناديه : « عاوز كاس» .. وأجاب « كاجاسان » : « لا أنا مش عايز . خلاص أنا تركت الخمر » — لكن ذلك الشىء بداخله ظل يلح عليه حتى قال : « معلهشى .. سأشرب كاساً واحدة لاسكات هذا الصوت فى ».

هناك سحر فى المشروبات الروحية يجعل الناس يطلبون المزيد باستمرار. ويسميه الاطباء والعلماء : « المخدر المكون العادة » — الشىء الذى لم يعرفه « كاجاسان » . ولم يعلم أن الكاس التى كان يشربها كانت تطلب كاساً آخرى وهكذا صدق المثل أن الكاس تشرب الكاس

تشرب الكاس الناس

كان « كاجاسان » إذا ما شرب يشعر أنه أحسن ولكنه لم يكن يستطيع أن يعد نقوده أو يراجع حساباته .. وكم من تعهدات تعهدها لابطال الخمر ، ولكن الكاس التى كان يشربها كانت تطلب المزيد .. وأذا لم يلب الطلب يشعر كانما نار فى معدته — وبعد قليل ابتدات الكاس التى شربها أن تشربه . تشرب صحته وعقله وماله وبالجملة كلّه !!

اما احد عماله الذى لم يذهب قط للحانة فقد تمكن من عمل الحسابات ،

وارشاد العمال فى عملهم والاشراف على المصنع برمته .. وأمكنه أن يوفر مالا كافيا لشراء المصنع من « كاجاسان » .. واشتراه

ومن ذلك الوقت لم يمكن « لشيكو » و « وهندو » أن يذهبا إلى المصنع إذ أنه أصبح لمالك آخر وأبوهما لم يهتم بهما ادنى اهتمام .. فساءت حالهما وتغير كل شيء معهما ، وبعد حياة التنعم أصبحا يعيشان عيشة الفقر !! .

واسو أما فى القصة إن الخمر التى شربها « كاجاسان » سببت مرضه فامتنع عن الطعام مرغما واصفر وجهه ونحل جسمه — وعقب خروج الطبيب من عنده يوماً نادى « كاجاسان » ولديه وقال :

ها أنا ذاهب بعيداً عنكما لأستريح .. وقبل أن أفارقكما أود أنكما تذكران هذا المثل لصحته :

يشرب الناس الكاس
تشرب الكاس الكاس
تشرب الكاس الناس

لا تضعا المسكر فى فمكما . فالمسكر خارج الانسان لا يمكن أن يجعله سكيراً . لقد تعلمت هذا بعد فوات الفرصة .. فكونا أحكم من أبيكما ، وعيشا أطول منه !! .

أما « شيكون » و « وهندو » فلم ينسيا قول أبيهما ، وعملا به فلم يذهبا مطلقا إلى الحانة !! ؟ .

١٢

سهم أصاب الهدف

« لأن كلمة الله حية وفعالة وامضى من كل سيف ذى حدين ،
وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ
ومميزة أفكار القلب ونياته (عب ٤ : ١٢) »

تألفت منذ سنوات قليلة جمعية لتوزيع النبذ عن طريق البريد . وكان عنوان احدى تلك النبذ « فاستعد لملاقاة الهك » .

وقد وضعت فى غلاف ، وأرسلت إلى رجل كان معروفاً بحياته البعيدة عن التقوى . وكان فى مكتبه لما قرأ هذه الرسالة مع بقية رسائله.. قال فى نفسه :«ماذا تقول؟ استعد لملاقاة الهك !! من هو هذا الأحمق الذى أرسل لى هذه السخافة ؟؟» وبانفعال ضد المرسل المجهول قام ليطرح النبذة فى النار ! !

على أنه عاد وقال لنفسه : « لا لن أفعل ذلك ، لقد عرفت ماينبغى أن أفعل ! ! سأرسل النبذة إلى صديقى «ب» !! ستكون نكتة جميلة أن أعرف ماذا سيقول بخصوصها ! » .

وإذقال هذا وضعها فى غلاف جديد وأرسلها إلى صديقه !!

وكان مستر «ب.» من عينة صاحبنا ، وقابل النبذة كما قابلها صديقه من قبل وقد أرسل فمه لعنات ضد ذلك « الميثودستى » الذى أرسلها !!

وكان أول ما فكر فبه أن يمزقها قطعا . غير أن الكلمة : « فاستعد لملاقاة الهك » استرعت التفاته ، واخترق السهم القلب. . . . وتجدد . .

وكان أول مافكر فيه بعدذلك رفقاءه الأشرار. قال : « هل قبلت النور والحق المبارك إلا لأوصله إلى الآخرين ؟؟؟ » وأعاد تغليف النبذة ، وأرسلها لأحد أصدقائه . ومن عجب — لكن لماذا العجب — أن ذلك السهم الصغير أصاب أيضاً . قرأ صديقه النبذة وتجدد .

وكلاهما يسيران كمفديي الله .

* * *

والآن بعد أن سمعتم هذه القصة هل تسألون عن سبب تخصيص هذا الأسبوع « أسبوع الشهادة » لتوزيع « النبذ » التي تحمل كلمة الله . خذوا ووزعوا والنتيجة انتصار الكلمة من دون جدال .

١٣
الصفقة الخاسرة

« ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم
كله وخسر نفسه » مت ١٦ : ٢٦ »

— ١ —

أمنية ولد

حان ميعاد النوم عند ما كان الطفل روبرت ينظر إلى النار ... وقالت الأم : «أنا أعطى قرشاً ثمن أفكارك ياولدى !»

وقال روبرت : « إن أفكارى الآن تساوى أكثر من القرش بكثير . أنا كنت أفكر فى مئات بل ألوف الجنيهات — كنت أفكر متمنياً أن أصير غنيا فكنت آخذك لنسكن فى بيت كبير ، ويكون عندنا خيول وعربات . وكنا نشترى لعباً كثيرة وحلويات ومكسرات قدر ما نشتهى .. آه ياماما .. أنا مستعد أن أفرط فى أى شىء فى سبيل أن نغتنى !! »

— ٢ —

القنبرة الغبية

وصمتت أم روبرت مدة . ولما طال أمد صمتها قال روبرت : « أنا أعطى قرشاً ثمن أفكارك ياماما العزيزة !! »

وأجابت الأم ببطء : « إننى كنت أفكر ياروبرت فى قصة الطائر الذى باع جناحيه !! »

وسأل روبرت بسرعة : « ومن أى نوع هذا الطائر ؟ ؟ »

وأجابت الأم .. « دعنى أفتكر .. نعم . كان طائر « القنبر » . نعم كانت « قنبرة » — واستمرت الأم تقول : « وكانت تلك القنبرة شغوفة بأكل الدود كثيراً ، وقد اعتادت أن تقول إنها مستعدة أن تبذل أى شىء فى سبيل الحصول على أكبر كمية من الدود » .

وحدث فى أحد الأيام بينما كانت تطير فى الجو أنها نظرت إلى الأسفل فأبصرت شيئاً غريبا يسير على طريق العربات الذى يخترق الغابة .. ونزلت القنبرة لتتفرج على هذا الشىء ، وظلت تنزل وتنزل إلى أن رأت أخيراً .. عربة صغيرة مدهونة باللون الأسود ، ولها نوافذ حمراء ، وعجلات صفراء يجرها طائران كبيران !!

وكان يسير أمام العربة رجل عجوز ضئيل الجسم جداً ، ودميم الشكل جداً ، وهو يلبس سترة سوداء وبنطلونا أحمر وجوارب صفراء ، وكان فى يده جرس يدقه كلما خطا بعض الخطوات ثم ينادى :

« يامن يشرى   يامن يشرى
دود طازه   طعمه يغرى
ثمن الدود   ريش الطير
يامن يشرى   يامن يشرى »

وقال الرجل العجوز للقنبرة حالما رآها :

« صباح الخير ياصديقتى الصغيرة أية خدمة أستطيع أن أقدمها لك ؟ »

وسألت القنبرة : « بكم تبيع الدود ؟ »

— « اثنتان بريشة واحدة . وعربتى مملوءة تقريباً للحافة بالدود !! »

— « وهل هو دود طازة ؟؟ »

— « كله دود صابح جمعته بكور هذا اليوم ياعصفورى الجميل !! »

وجذبت القنبرة بشئ من العنف ريشة من جناحها ، وتألمت من جراء ذلك . ولكنها ألقت الريشة للرجل العجوز . . وقالت : « اثنتين من فضلك !؟ » وبعد ماسارت العربة أحست القنبرة أنها مذنبة ولكنها ، انبسطت ، بالأكلة وسرت بعد ذلك إذ رأت أنه لم يلحظ أحد فقدان الريشة !!

وفى اليوم التالى طارت القنبرة مع أبيها ، وعندما ارتفعا فى الأجواء المترامية فوق رءوس أشجار الغابة العالية قال الأب العجوز :

« أظن يابنتى أن أسعد الطيور لابد وأن تكون القنابر . لها أجنحة قوية جداً . . انظرى كيف استطاعت أن تحملنا إلى الجو الازرق وترفعنا بالقرب من الله !! »

قالت القنبرة الصغيرة : « نعم » — ولكنها كانت كل الوقت تلاحظ نقطة صغيرة تزحف كخنفسة سوداء على طريق الغابة ، وافتكرت فى نفسها « لقد فاتتنى عربة الدود !! »

وفى اليوم الذى بعده جذبت القنبرة ريشة ، فلما وجدت خروجها

سهلا اقتلعت ريشتين أيضاً وانتظرت عند مدخل الغابة ، وبعدفترة سمعت رنين الجرس ونداء الصوت المبحوح :

يا من يشرى   يامن يشرى

دود طازة   طعمه يغرى

ثمن الدود   ريش الطير

يامن يشرى   يامن يشرى

وعندما وقف الرجل العجوز قالت القنبرة : « هاك ثلاث ريشات !؟ »
ـ « حسن جداً يابنتى، حسن جداً . بالحقيقة أن هذه ثمن ست دودات ! » ثم قال مبتسما : « وهاك دودة سابعة على البيعة »

وقالت القنبرة فى نفسها : « إنها صفقة رابحة » ومن ذلك الوقت صارت زبونة مستديمة !!

وقد اكتشفت بمرور الوقت أنها لاتستطيع أن ترتفع فى الطيران ولكنها لم تهتم بذلك كثيراً ـ وبعد ـ أليس معنى ذلك أن عربة الدود لن تخطىء نظرها ؟؟

ـ ٣ ـ

محاولة فاشلة

غير أنه حدث فى أحد الأيام عندما صار جناحا القنبرة رقيقين

ونمزقين — حدث أن أدركت القنبرة أنها ارتكبت حماقة كبرى . حاولت أن تطير فى أشعة الشمس ولكنها سقطت على الأرض!!

وإذ ذاك خطر ببالها خاطر ، فقالت : « ويحى كيف لم يخطر لى هذا على بال قبلا ؟ هذا ما سأعمله » ... وظلت ليلا ونهاراً تبحث وتنقب وتجمع وتخزن . . ثم خبأت نفسها فى الحشيش المرتفع وانتظرت مرور العربة ... وبعد انتظار طويل ظهرت . .

ووقفت القنبرة أمام العربة وقالت :

« هل لك ياسيدى أن تخبرنى كم ريشة يمكنك أن تعطينى بدلا من كل هذا الدود ؟ ؟ »

وضحك الرجل طويلا ، ثم ساق عربته فى الحال وهو يقول : « إن مهنتى يابنيتى هى أن أبيع الدود بالريش وليس الريش بالدود » .

* * *

وسأل روبرت : « وماذا كانت النهاية ياماما ؟ ؟ »

— « كانت النهاية ياعزيزى أن القنبرة المسكينة ماتت ودفنت فى المرج ، ويقولون إنه فى الصيف تأتى الطيور الكبيرة مع صغارها ، وتجلس حزينة عند القبر » ، وعند ما تهم بالانصراف ينادى أحد الطيور :

يا معشر الطير هلموا واسمعوا

عندى حديث شائق وممتع

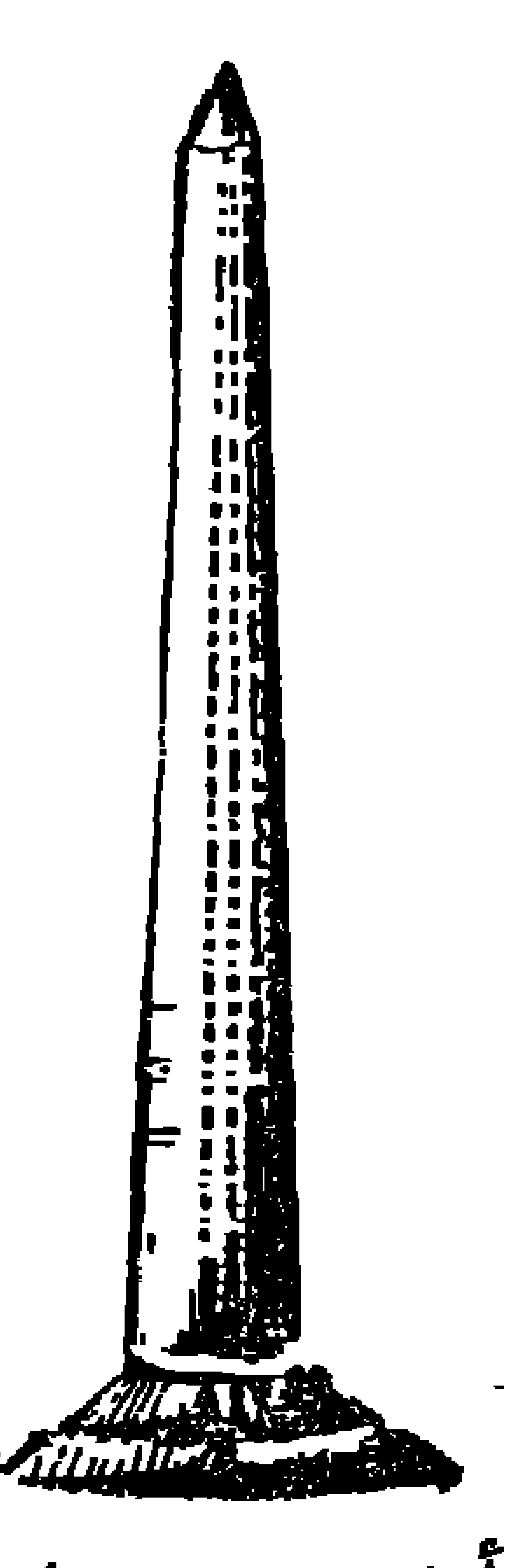
قنبرة بموتها تعلم
من قبرها لطيرنا تكلم
باعت نظير الدود ريشها النضير
فهل رأيتم رفقتى هذا المصير ؟ ؟

٭ ٭ ٭

وصار سكوت طويل فى المطبخ ... وأخيراً رن صوت الولد :
« ماما . . هل قلت إنى مستعد أن أبذل أى شىء فى سبيل أن أغتنى ؟ »

ـــ « نعم قلت ذلك يا روبرت »
ـــ «حسناً يا ماما .. فاسمعى، أنا لست مستعداً ، أنا لست مستعداً ، أنا لست مستعداً » .

وبهذه الكلمات قبلّها وصعد على السلالم الضعيفة إلى سريره الصغير ! !



١٤

اعترافات مسمار

« وهيأ داود حديداً كثيراً للمسامير !! (١ أى ٢٢ : ٧) »

— ١ —

كان فى صندوق المسامير . وقد التقطته وحاولت أن أملقه ليروى لى تاريخ حياته . ولكنى لم أستطع أن أحصل منه على كلمة واحدة !! — فقلت إذن سأضطرك إلى الكلام وهـــذا ما فعلته . فإن المسامير تشبه بعض الأولاد والبنات فى أنهم يدفعون (يدقون) حيث لا يقادون !! فلما « دفعت » المسمار إلى الكلام قال لى :

« بلغت من العمر عشر سنوات . وكانت حياتى شاقة وقاسية !! فكان على من أول الأمر ان أسند غيرى عـــلاوة على نفسى — وبدون حمد وشكران!! فكثيراً ما رأيت أناساً يدخلون الغرفة وسمعتهم يقولون: « يا لها من صورة جميلة ! ولكنى لم أسمعهم قط يقولون : ياله من مسمار نافع !! »

بل فى بعض الأوقات كانوا يقولون : « لماذا لا تخلعون هـذا المسمار الشنيع وتضعون بدله دبابيس الصور ؟؟ »

— « إذن كانت الصور تعلق عليك ؟؟ »

وأجاب المسمار .. «نعم ، نعم .. وفى هذا العمل قد قمت بحمل صورة بل صورتين من ذوات المقام الممتاز . ولكن آخر مرة كنت فيها فى ذلك المركز انتهى الأمر معى إلى نتيجة محزنة — حدث ذلك منذ سنين عدة ، فى الأيام التى كنت فيها أكثر جدة وأكثر حدة . اختارونى فى ذلك الوقت لأحمل صورة زيتية فى غرفة الجلوس . كانت صورة ثقيلة جدا ولم تكن لى لحظة واحدة أستريح فيها لا فى الليل ولا فى النهار ، فى يوم الأحد وبقية أيام الأسبوع كان على أن أكون فى مهمتى !

على أنى بمرور الزمن بدأت أشعر باضطراب وعدم استقرار وقلقلة وفكرت أنه يحسن بى أن أترك مكانى . وفى إحدى الليالى تركت مكانى فجأة بدون إنذار — وكان صوت هائل وجاء كل أفراد العائلة راكضين يسأل أحدهم الآخر ما الخبر وأخيرا قال أحدهم: «إنه ذلك المسمار اللعين ، قد تخلخل ! »

— « ولكن هل كانت الغلطة غلطتك ؟ »

وأحنى المسمار رأسه وقال : « ربما كانت غلطتى » وإذ لاحظ أنى اندهشت من اعترافه قال: « لقد مضى وقت كنت أرفض بتاتاً أن أنسب الخطأ إلى نفسى الى اليوم الذى قابلت فيه مسمارا عجوزا قال لى إنه من الجبن أن يضع المرء اللوم على غيره — وكان هو الذى علمنى أن أقول

« أنا وحدى ليس غيرى
عن مصيرى أســـأل
لا الومن ثقوباً
أو جـداراً يفشل ..»

فقلت له هذا جميل .. وربما تسمح لى أن أضيف أربعة سطور أيضاً وهاك هى :

إذا استند شىء عليك
فستكون نتيجته فشلا
إن كان معدنك سيئاً
لذلك اجعل شعارك « نظيف ومستقيم »

— ٢ —

ثم قلت له : « والآن حدثنى عما آل إليه أمرك عقب كارثة غرفة الجلوس !! »

وقال المسمار : « أوه لقد أرسلونى إلى المطبخ لأحمل فرشة مسح . بالطبع لم يكن هذا من مقامى الذى اعتدت عليه . ولكنى عملت جهدى ، وأنا أعرف أن الفرشة كانت شاكرة !! »

فقلت له : « ولكنى لما عثرت عليك كنت فى صندوق المسامير فكيف وصلت إلى هذا المكان ؟ »

فاجاب المسمار : « حدث انى بدأت اصدأ ، ولو أن ذلك كان بطيئاً — الحقيقة أن المرء إذا ما خلا من العمل أكثر الكلام . بالطبع كان يمكننا أن نقص

على بعضنا قصصاً وحوادث ، وكنا نروى حوادث المسامير الهامة فى التاريخ. ومن ضمن الحكايات المحبوبة الحكاية التى تبين كيف أن ضياع المسمار ضيع الحدوة ، وضياع الحدوة ضيع الحصان ، وضياع الحصان ضيع الراكب، وضياع الراكب ضيع النظام، وضياع النظام ضيع الحرب، وضياع الحرب ضيع المملكة !! »

وصمت المسمار قليلا ليسترد انفاسه . ثم قال فى نغمة حزينة : « وفى أيام الاحاد كنا نتكلم أحياناً عن مسامير الصليب . وقد طالما سمعتهم يقولون إنها مسامير قاسية — والحقيقة أن القسوة لم تكن فى المسامير بل فى الناس . ثم كنا فى أوقات أخرى نتحدث عن قصص البطولة والمخاطرات التى لاقاها رجال الشجاعة منا فى البحر وفى معمعان الحرب عندما كانوا يحملون الرايات على الصوارى !! » ثم قال المسمار : « ألا يكفيك ما سمعت الآن ؟ »

فقلت له : « كفاية .. لكن قبل أن أشغلك شغلانه صغيرة دعنى أرى ماذا كنت حفظت السطور الأربعة التى علمتك إياها !؟! »

فسكت المسمار قليلا ثم قال : —

« اذا عليك شيء استند »

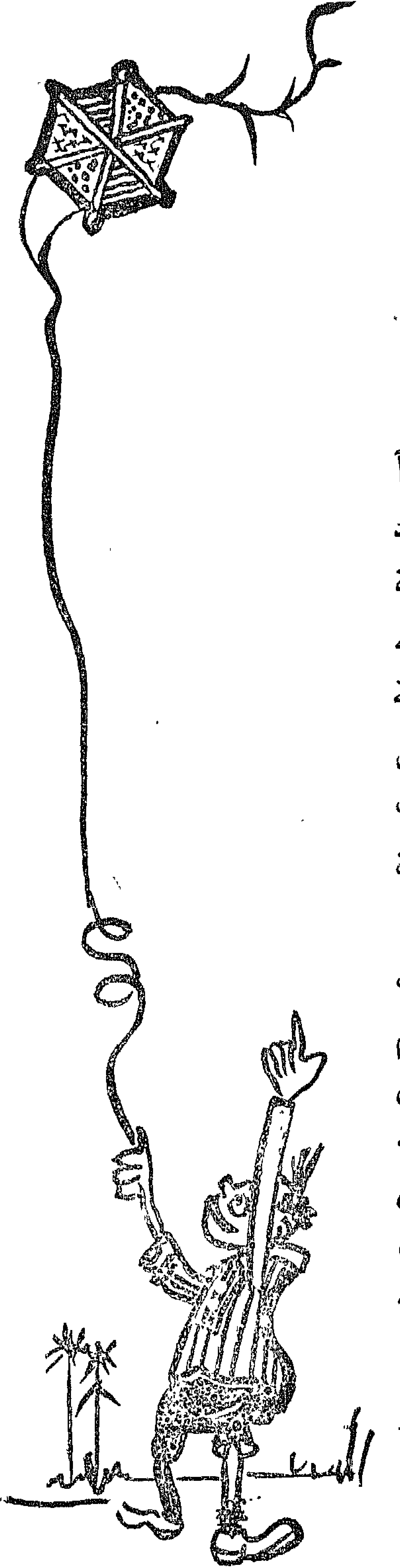
كلا. ان القافية لا تستقيم.. يجب أن أبدأ من الأول

اذا استند شيء عليك

فستكون نتيجته فشلا

إن كان معـــدنك سيئا

لذلك اجعل شعارك « نظيف ومستقيم »



(١٥)

الطيارة

« لن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها
أحد من يدى (يو ١٠ : ٢٨) »

كنت يوماً فى المروج أراقب ولداً يطيّر «طيارته». كانت فى الجو وقتذاك جملة طيارات ، ولكن تلك الطيارة بالذات استرعت التفاتى. كان لها وجه مدهون ، احد تلك الوجوه العظيمة المستديرة السعيدة التى يسر المرء بل يستفيد من لقياها. وحدث أنها اقتربت مرة من الأرض، والتفتت نحوى بنظرة طروبة ، وقد ابتهجت بذلك كثيراً !!

وبعد ذلك بعدة أيام بينما كنت جالساً فى بيتى خيل إلى أنى أسمع أحدهم ينقر على زجاج النافذة. لم أرفع عينى إلى فوق لأنى كنت موقناً أنه لا يوجد أحد هناك . ومع ذلك فإنى رغماً من عينى المغلقتين استطعت أن « أنظر » وجهاً كبيراً ملاصقاً للنافذة عرفت فيه وجه صديقى الطيارة. وأدركت أنها أتت لتتحدث إلىّ . ولكن كلا منا نظر إلى الآخر فى صمت. واخيراً تكلمت أنا .

« ما أطول الذنب الذى تحملينه !! » لم يكن من الذوق أن ابدأ معها بهذه الـكلمات ولـكن كان لا بد منها لدفعها إلى الـكلام !

فأجابت : « نعم . وهل تعلم أنى كنت أبغضه فى أول الأمر وقد عملت « دوشه » كبيرة من أجله فقد اضطر « سيدى » أن يقبض علىّ من مؤخرة عنقى فيما هو يثبت « الذنب » وأنا اتلوى وأتقلب محاولة التخلص . كان يبدو « ذنبا » ثقيلا جداً ، بحيث فكرت أنه يستحيل على أن أعلو فى الجو وهو معلق بى ، ... وابتسمت الطيارة ثم قالت : « ومع ذلك فقد اكتشفت منذ ذلك الوقت أنى ما كنت أستطيع التحليق فى الجو بتاتاً لولاه .. وهنا شىء يمكنك أن تحدث به اصدقاءك الصغار . يمكنك أن تقول لهم إنه يلزم الا يتضايقوا من المدرسة ، فإنهم إذا لم يحصلوا على كمية كافية من المعرفة « ترتبط » بهم ، فانهم لن يستطيعوا أن يرتفعوا فى هذا العالم ! ! »

فقلت لها : « اوه .. إننا نستطيع أن نخبرهم أشياء أحسن من « كده » فنستطيع مثلا أن نخبرهم أنهم إذا ما أرادوا حقا أن يفلحوا .. إذا ما أرادوا أن يسموا فوق الحيل الدنيئة والحقيرة فإنهم ينبغى أن ينالوا لا مجرد معرفة بل أيضا أمانة وصلاة ونقاوة وطاعة وعملا »

فقالت الطيارة : « ياه ... ياله من ذنب !! إنه أطول جداً من ذنبى ! ! »

فأجبت : « لا بأس ... ولـكن اعلمى أنه إذا ما استطعنا مرة أن نصل بين الأولاد وهذه الصفات فسترين كيف يرتفعون وكيف يداومون على الارتفاع !! »

وبعد صمت قصير قلت: «ألم تقومي بمغامرات قط ؟؟»

فأجابت: «لقد قمت بمغامرات كثيرة، وكثيراً ماشكرت الله أني طيارة جامدة من القماش الجيد، لقد مر بي وقت كنت أحسد تلك الطيارات ذات الوجوه المصنوعة من الورق الملون !! ولكني أرى أن المرء يحتاج إلى شيء أكثر من الجمال إذا كان عليه أن يعارك مع الرياح العاصفة !! وأظن أن لك في هذا درساً يمكنك أن تقدمه ...»

فقاطعتها قائلا: «حاضر، حاضر ... ولكنك لم تخبريني شيئاً عن مغامراتك !»

وأجابت الطيارة: «الحق إني خجلانة جداً من بعض هذه المغامرات. كثيراً ما حدث أن النسيم والريح سخرا مني وجعلاني أضحوكتهما فكانت الريح تقول: «يالك من طفلة يستطيع أي كائن أن يسيرك بطرف الحبل. لماذا تسمحين للآخرين أن يسحبوك إلى حيث يريدون ؟ لماذا لا تعملين ما تريدين وتذهبين حيث تشائين ؟ ولا يمكن أن أنسى ذلك اليوم الذي جاءتني الريح فيه، وهمست في اذني :

هلم ورائي هلم ورائي
وسيري اخيـّة دون تنائي
وذوقي انعتاقا فأنت أسيره
حياة القيود حياة مريره»
فقلت: «اتركيني لأعماق يأسي

فخيـــط كبير يقيّـد رأسى
أجابت : « عليك بشدّ الحبـال
أعينك حتما لنيل الآمال
فأصغى إلىّ إذا ما عددت
واحـد اثنان ثلاث أردت
فشدى الحبال بقـوة بأس
تقطع حتما كما لو بفأس »

ثم هجمت الريح : « واحد ، اثنان ، ثلاثة ، وفى اللحظة التالية انقطع الحبل وانطلقت حرة . وكانت حرية جميلة فى أول أمرها فقد حلقنا معاً أنا والريح مخترقين السحب . فقلت فى نفسى ، لاشك أن هذا أفضل من الربط بالحبل ! ولكنى اكتشفت فى الحال أنى كنت مخطئة كل الخطأ . بدأت أحس بالتعب ، ودار رأسى وشعرت أنى أهوى . وفيما أنا كذلك جعلت أدور وأدور فصرخت أطلب معونة الريح ولكنها ضحكت ضحكة ساخرة ومضت فى طريقها . وبعد لحظة سقطت على الأرض بصوت عظيم وأصبت برضوض وجروح — انظر هذا أثرها ... لايزال ذلك الأثر باقياً ! ! »

فقلت : « لاعجب فقد عرفت ولداً أحمق مرة ... هرب من بيته ومن أمه لأنه كان يرغب أن يكون « رجلا » يعمل ما يشاء ... ولم يكن سقوطه هيناً كسقوطك !! »

وواصلت القول : « أظن أنك تعلمت درسك بحيث لم تنسيه بعد ذلك ؟ »

وقالت الطيارة : « لست متأكدة من ذلك فإنى تمر بى أوقات حين ارتفع فى الجو فوق أعلى الاشجار فتأتينى الريح وتحاول أن تبذر أفكاراً خاطئة فى ذهنى ... فتقول لى مثلا ... إن سيدى لا يمكنه أن يرانى لأنى بعيدة جداً عن مدى نظره . . وإننى لذلك يمكننى أن أعمل ما أريد دون أن يدرى أحد . غير أنى كنت — إذا ماحاولت أن انحرف قليلا — أحس فى الحال بجذب الحبال ، فأعرف إذ ذاك أن سيدى يفهم تجاربى وأنه يقبض على بيد حازمة . . . وها هو يرسل إلىّ الإشارة لأن أبقى مخلصة ومستقيمة !! .

فقلت : « ياسلام ! إن أوجه الشبه بيننا وبينك أكثر مما كنت أفكر فإنه حينما نظن أننا وحدنا ، وأننا نستطيع أن نرتكب أخطاء إذ لا يرانا أحد . . نعم فى اللحظة التى نتجرب فيها أن نفعل ذلك نحس بجذب الحبل - ويدعوه البعض بالضمير - فنعرف أن سيدنا يرانا ويمسكنا — وها هو يرسل الإشارة لنا لنكون أمناء له !! »

ورفعت وجهى فجأة ، فلم أر طيارة ولكننى لما قمت وجذبت الستارة امتلأ ذهنى بالفكر عن مراقبة الله لنا ، وخطرت ببالى بعض كلمات يسوع:

« لن تهلك إلى الابد ، ولا يخطفها أحد من يدى »!!

١٦

دكتور فى الفلسفة

« فاعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر
وزنة . كل واحد على قدر طاقته (مت ٢٥ : ١٥) »

— ١ —

هو لا يذكر شيئاً بالمرة عن أبيه ، ويذكر القليل عن أمه — القليل جداً . كل مايذكره تماماً تلك العشة التى كان يجد فيها الجارة الفقيرة التى آوته ، والتى لم يكن لها إلا القلب المتسع .. فقد كان كل شىء آخر ضيقاً ! ولا يذكر صاحبنا أنه نام ليلة واحدة ممتلئاً كما لا يذكر أنه نام فى الشتاء ليلة واحدة دافئاً .. ولا يذكر كيف دخل المدرسة ، ولكنه مذ أفاق لنفسه وجد نفسه يدرس ، ولذ له الدرس فتعمق فيه ، وظل يدرس ويدرس . ولأنه كان ذكياً استطاع أن يحصل على جائزة التلمذة . ودخل الكلية ونال درجة بكالوريوس فى الآداب ... وسنحت له الفرصة فسافر فى القارة ، واكتسب من سياحته الكثير من الاختبـــار . ووالى الدرس إلى أن أحرز درجة الدكتوراه ، وكتبت الجرائد اسمه ، وجاءته التهانى من كل ناحية !

ونحن نراه وهو يتهيأ للسفر. لم يكن له من يودعه إذ لم يكن له أب ولا أم ولا قريب. فهو يحمل حقائبه بسكون، ويسير ليستقل قطار الشرق ليتسلم عمله الجديد فى السلك السياسى، وهو يحتل مقعداً فى مقصورة فى منتصف عربة الدرجة الأولى — جلس يرسل نظرات تائهة إلى الفضاء الممدود أمامه، ويرسم فى ذهنه صورة جميلة لمستقبله، وظل كذلك وقتاً طويلا لم يدر به. وما كان يمكن أن ينتهى من تأملاته لولا أن قطعها عليه صوت دوى هائل اهتز له القطار بجملته هزة عنيفة. وقبل أن يغمى عليه أبصر أشلاء القطار تتطاير وأشلاء القتلى تتناثر. ثم أحس بصدمة عنيفة فى رأسه آلمته، ولكنه لم يدر بعدها بشىء... وقد ذكرت الجرائد فيما بعد أن بعض الفوضويين كانوا قد وضعوا مفرقعاتهم فى طريق القطار !!

بعد أن مرت تلك الحادثة المرعبة كشفوا جسمه المصاب، إذا صح أن ندعو تلك البقية منه جسما. وبعد أن انتهى الجراحون من عملهم كان الباقى حطام إنسان. ضاعت قدماه، وقطع ذراعه الأيسر مع جانب من عظم الترقوة. ومن ذراعه الأيمن ضاعت كل الأصابع إلا واحد والخنصر.. ولكنه بقى يملك رأساً مملوءاً بكنوز علوم الكلية وعلوم الاختبار من كثرة السياحة. ولكن ماذا يعمل رأس غنى مع جسم محطم !؟ ضاع كل شىء نعم ضاع. ضاع ولم يكن له ما يعمله إلا أن يعيش متألما عديم الرجاء فى ملجأ الشيوخ والعجائز. كان هذا ما فكر فيه وهو يطل من النافذة إلى

العالم الخارجي الذى أصبح لاشيء له فيه . كان الكتاب المقدس بجانبه ، وقد انتهى من قراءة مثل الوزنات ، وجلس صامتاً يفكر فى وزناته المدفونة . لقد كان هو نفسه مدفوناً ، وكذلك كانت كل وزناته !

ورأى بجانبه عجوزاً على كرسى بعجل تقرأ خطاباً جاءها من شخص لا تعرفه ، ولكنه كان خطاباً معزياً إذ ملأ قلبها بسرور . وقد اهتم بالأمر وسأل كيف حصلت على المكتوب ، فأجابته أن هناك هيئة أخذت على عاتقها كتابة خطابات للمرضى والمحبوسين وهذا الكاتب الغريب يكتب لها بانتظام مكاتيب تعزية !! وبغتة امتلأ رأسه بفكر جديد ! أنه لن يستفيد كثيراً من قراءة مكاتيب الغير له فلماذا لا يكتب هو للغير . لكن لمن يكتب ؟ هل يوجد من هو أتعس منه ؟ ربما كان المسجونون أكثر منه حاجة إلى العطف ، ولو أنهم أسعد منه لأن عندهم أملا بالخروج من سجنهم أما هو فلا أمل له ... ومع ذلك فقد آلى على نفسه أن يجرب !!

— ٥ —

كتب لسكرتير الهيئة طالبا أسماء بعض المسجونين ليكتب لهم . فأرسل له أسماء البعض ، وقال له إنه لن يتلقى رداً على مكاتيبه . لأن قوانين السجن تحظر الكتابة من جانب المساجين . فأخذ على نفسه أن يكتب كتابة من طرف واحد !!! كانت كتابته مرتين فى الأسبوع ترهقه ، ولكنه سكب فى تلك المكاتيب كل نفسه وكل اختباراته وكل إيمانه ، وكل عقله النير ، وكل تفاؤله المسيحى — من الصعب أن نكتب إذا كانت الكتابة باصبعين

فقط فى ذراع موجوعة، خصوصاً إن كنا لا نتلقى رداً على مكاتيبنا . لذلك لا نندهش إذ نعلم أن صاحبنا كثيراً ما تجرب أن يكف عن الكتابة . ولكنها وزنته الوحيدة الباقية ، وقد صمم على أن يستعملها طالما كانت له .

وبعد مدة جاءه مكتوب — مكتوب قصير جدا — من الموظف الموكل بمكاتيب المسجونين وكان كل ما جاء فيه :

« أرجو أن تكتب مكاتيبك على أمتن ورق تستطيع أن تجده . لأن مكاتيبك تمر من غرفة فى السجن إلى غرفة أخرى . وتظل تنتقل من يد إلى يد ، إلى أن تتناثر أخيراً قطعاً !! »

ونام صاحبنا تلك الليلة وقد علت شفتيه ابتسامة !!

١٧

صلاة مؤثرة

« لا تهتموا بشیء بل فی کل شیء بالصلاة والدعاء
مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله (فى ٤ : ٦)

حدث أحدهم قال :

ذهبت إلى فيلادلفيا فدعانى ذات يوم مدير مصرف مشهور لزيارته . ولما دخلت عليه وجدته جالسا وراء مكتبه ، وأمامه أوراق مكدسة،وبعد أن راجعها التفت إلىّ وقال : « دعوتك لأقص عليك قصة ملذة يهمك سماعها !! »

قلت : « إنى كلى آذان ياحضرة المدير . فإن القصص الملذة الصغيرة لها مقام عظيم فى نفسى . وأفضل سماعها على رنين الريالات وفرز التحاويل وأوراق النقد التى أراكم مشغولين بها طول الوقت ! » .

فابتسم ابتسامة صغيرة ثم قال : « لى صديق حميم له ابنة صغيرة يحبها حبا جما ، وقد أصيبت بمرض فحكم الأطباء بوجوب إجراء عملية خطيرة لإنقاذها من المرض الذى كان يؤلمها جداً . فحملت إلى المستشفى . وفى صباح اليوم المقرر للعملية نقلت على حمالة المستشفى من غرفتها إلى غرفة العمليات الجراحية ، وهناك رأت الأطباء والممرضات مختفين تحت أقنعتهم البيضاء فكانوا فى نظرها جوقة من العفاريت ، فأرعبها منظرهم وصرخت قائلة :ـ

« ماذا تقصدون أن تعملوا ؟؟ »

فأجابها كبير الجراحين بكل لطف وتؤدة : «لاتخافي يا صغيرتي العزيزة فكلنا أصدقاء لك ولأبيك ، ولا نقصد الآن إلا أن ننومك!!»

قالت : « ولماذا تنومونني ؟ وماذا ستعملون لي بعد أن أنام ؟ »

فأجاب متلطفا : « أنت تعرفين الألم الشديد الذي تشكين منه ، وهو يؤذيك ويجعلك تصرخين من شدته . فهذا نريد أن نخلصك منه حالا ، حتى لا يعود يوجعك أو يؤذيك . ولا نقدر أن نبعده عنك إلا وأنت نائمة ، حتى لا تحسي بخروجه من جسمك!!

قالت : «ما هذا يادكتور ألا تعلم أني لم أنم مرة قبل أن أجثو بجانب سريري وأتلو الصلاة التي علمتنيها أمي ؟ »

واندهش الأطباء والممرضات ، لكن لم يسع الجراح إلا أن يأمر بإنزال الفتاة من فوق مائدة العمليات وإذا هي تركع بجانب المائدة في وسط غرفة العمليات الجراحية ، وتغمض عينيها ، وتطوي يديها حول صدرها ، وبكل خشوع وتهيب تقول مخاطبة العزة الإلهية .

« والآن إذ أنام ، أطلب أن تحفظ روحي يارب الانام .

وإن دعوتني قبل اليقظة إليك . فخذ روحي ياربي بين يديك » .

وحينئذ تقدمت الممرضات المدهوشات ، والدموع تجول في عيونهن وراء براقعهن الساترة وجوههن ، وساعدن الفتاة على النهوض والصعود

فوق المائدة . أما هى فبابتسامة حلوة روحية يعلوها الهدوء والسلام استقبلت طاقية الكلوروفورم على أنفها ، وحالا نامت !!

وحينئذ استؤصل المرض الخبيث الذى كان يؤلمها ويقض مضجعها وخرجت حينئذ من المستشفى معافاة سليمة !

وكان تأثير صلاة هذه الفتاة أعظم مما يمكننا أن نتصور . فقد قالوالى عند ما زرتهم : « إن صلاة هذه الفتاة جددتنا كلنا فصرنا لا نقدم على عملية قبل أن نصلى!! » .

(١٨)

الأمراء الثلاثة

« من أراد أن يكون فيكم عظيماً
فليكن لكم خادماً(مت ٢٠:٢٦) »

— ١ —

قصتنا اليوم عن ثلاثة امراء في قصر احد الملوك في بلاد بعيدة ، وفي زمن بعيد عن زمننا هذا . وكانوا لطفاء ذوى أخلاق حسنة ، علاوة على جمال الصورة وحسن التركيب الخلقي . حتى أن الملك كان محتاراً أيهم يختار خلفاً له على عرشه !؟ !

وبعد أن اقلقه هذا الفكر عدة ليال .. توصل اخيراً إلى رأى حاسم به يمتحن أولاده الثلاثة ، ومن جاز منهم الامتحان يكون هو صاحب العرش بعده . وقد قال في نفسه : هذا عمل شاق ، ولكن يجب أن أعمله بكل حكمة وعدل . وهو كان بالحق ملكا حكيما وعادلا ...

أما الأمراء فقد كان ثلاثتهم طوال القامة . معتدلي القوام ، اقوياء الأجسام وحسني المنظر ، وكانوا مخلصين للعرش وأمناء للمملكة ، وكانت أخلاقهم على أحسن ما يكون لطفا ورقة وتواضعا ، وكل هذه كانت تتعب أباهم ، لأنه تعذر عليه ، مع هذه ، أن يفاضل بين الواحد والآخر : وأخيراً قال في نفسه : يجب أن أمتحن أخلاقهم ، فإذا وجدت واحداً منهم ممتازاً

ولو بصفة واحدة لاتوجدفى أخويه ، فهذا أختاره ليخلفنى على العرش .

وكانت أسماؤهم : كارلوس ، وهنرى ، ومرقس . أما الشعب فلقبهم بالأميرالمخلص ، والأمير اللطيف ، والأمير الخادم . وفعلا كان كل واحد منهم جديراً بهذا اللقب !!

ولما كانوا يدخلون على أبيهم الملك ،كان الأمير المخلص يدخل فى أبهى حلة ملكية ، ويقف أمام العرش منتصباً ومصغياً لكل كلمة يقولها وزراء أبيه وحكماؤه المحيطون بعرشه . وكانت عيناه الزرقاوان ، و شعره الجعد الذهبى تلمع عند وقوع أشعة الشمس عليها فى غرفة العرش ، حتى قال كل من رآه : إن هذا هو الجدير أن يجلس على عرش أبيه !!

أما الأمير اللطيف فكان كاسمه ، وكان يرتدى حلته المخملية الحمراء والمزركشة بالذهب . حتى أنه كان موضوع إعجاب الجميع . وكل من رآه أحبه للطفه وأعمال شفقته وحياته التى كان يسعد بها الناس ويريحهم من أتعابهم . بل الملك نفسه قال فى سره عندما رآه داخلا عليه : حقاً هذاهو الجدير بعرش مملكتى .. وهكذا افتكر الحكماء المحيطون بعرشه !!

أما الأمير الخادم وكان أصغر الثلاثة سناً ، فكان يختلف عن أخويه فى أمور كثيرة . فإنه كان — مثلا — لايهتم كثيراً بارتداء الملابس الملكية الفاخرة ، ولو أن ملابسه كانت دائما نظيفة ومرتبة . ولما كان يدخل غرفة العرش لايلبث طويلا ، لأنه كان يستدعى المرة بعد الأخرى لتخفيف

آلام المنكوبين ، ومساعدة المرضى ، وإسعاف المحتاجين . فكان أغلب وقته يصرف فى أعمال المحبة وإغاثة الملهوفين . فأحياناً كنت تجده بجانب حارس الاسطبلات الملكية ليؤنسه فى وحدته . أو بجانب ابن الفلاح ليفرح قلبه بهدية . أو بجوار فراش مريض ليقدم له مساعدة وتعزية . وهكذا كان على الدوام فى شغل شاغل وخدمة مساعدة .. وهذا كان فرح قلبه وشهوة نفسه !!

— ٢ —

وذات يوم استدعى الملك أولاده الثلاثة وقال لهم : « غداً يجب ان أقرر نهائياً من منكم سيخلفنى فى عرشى . فاحترزوا كيف تصرفون يومكم هذا لأن على عملكم يتوقف الحكم فى من منكم سيكون الملك — ثم حرك الملك صولجانه وقال : «اسرعوا الآن فالوقت قصير ، وارجعوا إلى غداً صباحاً فى مثل هذه الساعة ، وحينئذ أقرر من منكم يكون الوارث لعرشى » .

فأطاعوا أمر أبيهم . وفى الميعاد رجعوا إليه فوجدوه مع رجال بلاطه منتظرين عودتهم وسماع تقاريرهم !!

فابتدأ الأمير المخلص وقال بعد أن انحنى أمام العرش :

« صرفت يوم أمس فى بلاط سيدى الملك ، استمع لحكمائه ومشيريه لأتعلم منهم كيف تساس المملكة !! » .

فهز الملك رأسه علامة الاستحسان ثم قال : «حسناً أيها الابن المطيع ..

لكن لنسمع من أخيك الأمير اللطيف » .

وتقدم الأمير الثانى خطوة نحو العرش وحيا تحية لطيفة ثم قال :

« صرفت اليوم فى جنات الملك اقطف الزهور واوزعها على الأولاد الذين ليس فى مقدورهم الحصول على مثلها ، والمحرومين من جمال الزهور ورائحتها الزكية لأنهم يسكنون فى أكواخ حقيرة. ثم ساعدت السيدات على إطعام الحمام والبط فى برك الحدائق . وكنت القى ابتسامة على كل واحد تقع عينى عليه » .

وأبدى الملك ارتياحه إلى ما سمع وقال : « أنت حقاً أمير لطيف ومحبوب ، والآن قف جانبا حتى نسمع من أخيك الأمير الخادم! » .

وهنا تقدم الأمير مرقس ، وعلامات التعب تبدو عليه ، ولكن وجهه كان يطفح بالسرور. وبدون أن يشعر وجد نفسه راكعا أمام قدمى والده ثم قال : « إن يوم أمس كان يوماً كله عمل وبما إنى أحب أن أطعم الحيوانات والطيور التى لى فلم أخرج من البيت حتى أطعمتها وسقيتها . ثم علمت أن أحد خدام القصر حزين ، لأنه فقد والدته ، فحملت إليه كأسا من المرطبات وواسيته فى حزنه . وعند طرف الغابة يقيم ابن الحطاب وهو مقعد ، فحملت له خبزاً وفاكهة . ثم ذهبت إلى ابن المرضع المريض المسكين وساعدت أمه على ترتيب فراشه ، وإعداد طعامه ، ومسح جسمه بالماء تخفيفا للحمى التى يتألم منها !! » .

فقال الملك بلهفة واشفاق ، وهو يمد يده البيضاء النحيفة والمرتجفة ويضعها بكل لطف على رأس ابنه الراكع أمامه : « لك يا ابنى بركتى .. واليوم أهبك عرشى ، فانت جدير بأن تملأه من اليوم لأنك ملأته فعلا من أمس وما قبله ، وستملأه غداً وما بعده بخدمتك النافعة ، لأن الخدمة يا ابنى أعظم من الحكمة وأفضل من الطباع اللطيفة . ومن يكون أفضل خادم للشعب إلا الملك ؟؟ أو لم يقل المسيح له المجد . من أراد منكم أن يكون عظيما فليكن خادما .. »

ثم قام من على عرشه بكل تباطوء وأقام ابنه بيده وهو يهتف : ليحيا الملك الخادم ...

١٩

من أنا ؟

« فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا
هكذا أنتم أيضاً بهم (مت ٧ : ١٢) »

— ١ —

فى صباح ما سمعت مسز توملى تقول لزوجها : « يا يوحنا إن السقف فى حاجة ماسة إلى إعادة « تزليطه » ، فهناك بقعة بشعة فى سقف المطبخ وفى نواح أخرى كثيرة . يظهر أن الرطوبة وصلت إليها !! »

وأجاب توملى بابتهاج : « حاضر ياعزيزتى . سأحاول أن أرى جنسون اليوم ، وأعرف منه الثمن » .

وقالت الزوجة : « نعم من فضلك ، . أن راى جونسون يجيد عمله ، ولكن لا « تعصره » كثير يايوحنا . لست أظن أن عنده عملا كثيراً هذه الأيام !! »

وأجاب الزوج بلهجة ذات معنى : « يحسن أن تترکی الأمر كله لى . الشغل شغل ياعزيزتى .. إن كان يرغب أن لا تفلت الشغلة من يده فسيقدم ثمنا معتدلا !! »

وبعد ساعة اتصل بالتليفون بجونسون الذى كان قد سبق أن أدى

له أعمالا كثيرة ، وجرت بينهما المحادثة التالية :

« هالو جونسون . توملي يتكلم . أرغب إعادة « تظليط » السقف . وأنا أرجو أنك تمر بالبيت بأسرع ما يمكنك لتقدير النفقة . هل تأتى ؟ طبعاً أنتظر — نسبة لرخص المواد والأيدى العاملة — أن يكون التقدير منخفضاً ... »

واتصل توملي بمقاولين آخرين ، وطلب منهم نفس الطلب !

وبعد ثلاثة أيام اتصل توملي بجونسون مرة أخرى وقال :

« أسمع يا « راى » . أنا أرغب أنك أنت تأخذ « الشغلة » . ولكنك قدمت تقديراً يزيد عشرين ريالا على مقاولين آخرين . فإذا كنت تقبل أن تقوم بها بـ ٢١٠ ريالات ، فانا أعطيك الشغلة !! » .

وصمت جونسون قليلا ثم قال « يامستر توملي .. إذا قبلت الثمن الذى تعرضه فإنى لا أربح شيئا بالمرة . بل أخشى أنى لا أغطى النفقات !! » .

وأجاب توملي : « إذن تنقصك الحنكة فى الإدارة ، فإنه إذا استطاع الآخرون ان يقوموا بالعمل بهذا الثمن فلماذا لا تستطيع أنت ؟. كل واحد يلزم أن يقتصد هذه الأيام كما تعلم .. »

وصمت جونسون مرة أخرى ثم قال

« حسنا جداً يامستر توملي . « أنا لا أريد أن أفقد زبونا نظيرك . سأقوم بالعمل بـ ٢١٠ ريالات ، ولو أنه لن يكون فى الشغلة أدنى مكسب لى !! »

وفى مساء ذلك النهار ، قالت مسز توملى لزوجها : « أنا جد مبتهجة أنك أعطيت الشغلة لمستر جونسون . هو شخص يوثق به وعمله مضمون !»

« نعم . . . لقد الزمته أن يقدم الثمن المعقول . لقد طلب ٢٣٥ ريالا ولكنى علمته كيف يقدر أن يعمله بـ ٢١٠ ، كان يمكننى أن آتى بآخر ليعملها ربما بأقل من هذا السعر . . بل قد كان أمامى عطاءان أقل من ذلك !! »

ولم تنبس مسز توملى بكلمة ، ولكنها استمرت فى عملها ، فعلت فمها ابتسامة غامضة - شىء لم يفهمه زوجها ، ولكنه لم يكن مستريحا !!

وفى مساء اليوم التالى قالت الزوجة لزوجها : « لقد اشتريت بعض الملايات الجديدة ياعزيزتى ، أرخص كثيراً مما اعتدنا أن نشتريها فى الماضى وأنا متيقنة أنها لا تقل عنها جودة ... »

وكان جون توملى يقرأ جريدته المسائية ، فأجاب من دون تفكير ، « حسنا جداً فكل شىء يتوفر له قيمته » ، ولكنه اعتدل فجأة وطرح الصحيفة جانبا وقال : « ماذا تقولين ؟ لا شك أنك اشتريت ملايات « توايلايت » !!

وقالت السيدة : « بالطبع لا ، ولماذا أشتريها وأنا أدفع فى ملايات « سنو فلاك » ثمنا أقل ؛ وهى تتحمل نظيرها ؟؟ »

فاهتاج توملى وصاح : « أصغى أيتها المرأة .. ألا تعلمين أن لى ٥٠٠

سهم فى بضاعة « توايلايت » وألا تعلمين أن بضاعة « سنوفلاك » تضرب السوق الآن ، وقد اضطررت إلى إنزال قيمة بضاعة « توايلايت » ؟..

وأرباحى ؟؟ !! وإذا كنا لا نعضد بضاعتنا فمن يعضدها ؟؟ . وافرضى أن كل واحد يسير فى الأمر بالمنطق الذى تسيرين به فإن توايلايت يضيع بسبب المنافسة الدنيئة .. يالله . أنت تشترين ؟؟؟ أنت ؟؟؟

ولم يلاحظ جون توملى نظرة الظفر على وجه زوجته ، وهى لم تقصد أنه يراها ، ولكنها عرفت أنه بدأ يأخذ درسه الأول . وكل ما قالته :

« إننى لم أفكر فى ذلك بالطبع يجب أن نعضد عملنا الخاص ، ولو بدفع ثمن أكبر . أننى ما عدت اشترى ملايات سنوفلاك !! »

وفى تلك اللحظة دخل ابنهما جيمى ، دخل من دون أن يلقى التحية

فسألته أمة بقلق : « ماذا دهاك ياولدى ؟؟ »

وتمتم جيمى : « لقد خفضوا مرتبى !! »

فصاح الوالد : « خفضوا مرتبك ؟ خفضوه فى حين يجب أن يرفعوه هذا مدهش !! »

وضحك الابن بمرارة وهو يقول : « لقد قال لى صاحب العمل أنهم مسرورين من عملى ولذلك سيخفضون مرتبى — أى يستبقوننى فى حين قد صرفوا عمالا كثيرين . على أنهم بسبب وقف الحال هم مضطرون أن يخفضوا المرتب !! »

وقال توملى : « وقف الحال ؟ لقد عقدوا صفقة مع الحكومة ستضمن لهم عملا لمدة ستة شهور !! »

وأجاب جيمى : « وهذا هو السبب . لقد أخذوا المقاولة بثمن منخفض جداً يمنع كل ربح إلا إذا خفضوا كل المرتبات !! »

— ٣ —

جاء يوم الأحـــد . وكان مستر توملى وجيمى مغمومين . أما مسز توملى فكانت مسرورة ومبتهجة ، الأمر الذى حير زوجها وولدها ... وبينما كانوا جالسين فى الكنيسة كان مستر توملى منشغلا بمرتب ابنه أكثر من انشغاله بعظة الراعى ، ولكنه انتبه وهو يسمع الكلمات : « ويل للذين يبررون الشرير واما حق الصديقين فينزعونه منهم » فاعتدل واستقرت عيناه على الراعى ، وعندئذ سأل نفسه : كيف يلوم أصحاب العمل الذين خفضوا مرتب ابنـــه بينما هو قد ارتكب نفس الجرم ؟؟ فماذا عمل مع جونسون ؟؟ ياله من موقف ذى ناحيتين يقفه هو !!

وألقى توملى نظرة جانبية على زوجته ، فأبصرها جالسة باتزان وسعادة تصغى للعظة ، وإذ ذاك علم أنه رأى ذلك دائماً فانحنى باتضاع !!

وبعد أسبوعين كان « راى جونسون » المقاول الشاب يفض مغاليف البريد ، ومن غلاف أخرج « شيكا » معه متكوب ، هذا ما جاء به :

« عزيزى راى .

إن الثمن الأصلى الذى قدمته لإصلاح سقف بيتى ٢٣٥ ريالا — وطيه شيك بهذا المبلغ . كان شغلك جيداً جداً . شكراً لك .

جون توملى »

* * *

لقد تعلم الدرس أخيرا !!!

٢٠

الحجر فى الطريق

«كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بكل قوتك (جا ٩ : ١٠ »

كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، ملك كبير عظيم الشأن أحب ذات يوم ، أن يسير متنكرا بين القوم . فلبس ثياباً رثة من ثياب الفقراء ليسمع الحديث الذى يقولونه فى الخفاء !!

فسمعهم يتحدثون كثيرا عن البخت السيء فكان التاجر يقول : « لقد وقف حالى بسبب بختى السيء !! » والتلميذ يقول : « رسبت فى الامتحان لأن بختى سيء ! » .

فلما رجع الملك إلى قصره وجلس فى كرسيه المريح المبطن بالقطيفة جعل يفكر فيما سمع . وبعد أن قلب الأمر على جميع جوانبه استنتج أن « البخت السيء » يصيب الكسالى والمهملين من الناس . فلو اشتغلوا واجتهدوا ما افتقروا أو فشلوا — ولذلك فكر أن يلقى على شعبه درساً يفيدهم ، فدعا اثنين من عبيده وألقى إليهما أمراً ، فانحنى الاثنان ووعدا بإتمام رغبة الملك !

واستيقظ الملك مبكرا فى اليوم التالى وذهب للتو إلى الشرفة المطلة على الطريق العام وجلس بحيث يَرى ولا يُرى فلما وقعت عيناه على

الحجر الكبير فى وسط الشارع ابتسم ابتسامة ارتياح ورضى وجلس يراقب !!

وإذا بعربة كبيرة محملة حنطة يجرها ثوران ضخمان . فلما رأى سائق العربة الحجر وسط الطريق وقف ، فظن الملك أن الرجل سيرفع الحجر من طريقه ، ولكنه لم يفعل . بل أدار الثورين فدارت العربة إلى جانب آخر من الطريق ، وانحشرت فى الجدار فسقط شيء من الحنطة على الأرض وهكذا مرّ الرجل بكل صعوبة وبخسارة بعض الحنطة . ولكنه لم يكلف نفسه مشقة رفع الحجر . بل مرّ وهو يصخب ويلعن ويقول : « ما أشد كسل هؤلاء الناس ، إنهم يتركون حجرا كبيرا مثل هذا فى وسط الطريق ولا يكلف واحد منهم نفسه مشقة رفعه !! »

وهكذا مرّ وترك الحجر محله والملك يرى ويضحك !!

ثم جاء جندى يتبختر بسيفه الطويل على جنبه ، والريش يهفهف فوق خوذته ، والشمس تلمع على أزراره الذهبية ، وهو يتباهى بنصراته التى أحرزها فى ساحات الحروب ، وبنياشين الفخر التى على صدره . وكان رأسه مرتفعاً إلى الأعالى كبرا وتشامخاً فلم يلتفت الى الحجر الذى تحت قدميه ، وفيما هو يسير اصطدم به فسقط على الأرض بطوله ، فاتسخت ثيابه وتعفرت نياشينه . فقام من سقطته لاعناً ، ونفض الغبار عن نفسه وهو يقول : « لعن الله أولئك الناس الذين يتركون حجراً كبيرا كهذا فى وسط الطريق ! لو رأيتهم لقطعت رءوسهم الفارغة بسيفى »

وهكذا انطلق صاخباً بدل الأغانى والأناشيد ، والملك يرى من الشرفة ويضحك !!

وفى ذلك الوقت لم تكن أوتمبيلات ولا قطارات لحمل البضائع ، بل كانوا يحملون بضائعهم فى عربات تجرها الخيل ، ويضعونها على ظهور الخيل ذاتها ــ وهكذا اتفق بعد ساعة أن مر فى تلك الطريق ستة تجار بتجارتهم على ظهور الخيل ، وهم يقصدون القرى والضياع للاتجار !

فلما وقعت أنظارهم على الحجر وسط الطريق قال أحدهم للاخر: « ماذا نعمل فهذا الحجر يسد الطريق وبالكاد تقدر الخيل أن تتجنبه دون أن تتعثر . ألا يوجد رجل فى كل هذه الجهة عنده مروءة رجال فيرفع هذا الحجر من وسط الطريق العمومى ؟؟ »

وهكذا مروا متذمرين والملك يرى ويضحك !!

وسارت الأمور على هذه الكيفية ثلاثة أسابيع والحجر فى وسط الطريق يضايق الناس ويعطل أشغالهم ويؤذيها . وقد تذمر كل من مر به وتضجر دون أن يمد إليه يداً ويرفعه !!

حينئذ أطلق الملك نداء يطلب من شعبه أن يحضروا أمام قصره فى وقت معين ليعلن لهم منشوراً جديداً ...

فما حانت الساعة المعينة إلا وامتلأت ساحة القصر بالناس . فأتى الفلاحون من مزارعهم ، والتجار من أسواقهم ، والجنود من ثكناتهم ، ثم جاء الملك راكباً حصانه فتراجع الناس ليفسحوا له طريقاً . وهو سار

بحصانه حتى جاء إلى حيث الحجر ثم وقف ورفع يده . فصمتت الجماهير وشخصت إليه منتظرة بفارغ الصبر أن تسمع ما يقوله لهم

فقال : « يا أولادى الأعزاء ... لقد مضى على هذا الحجر هنا ثلاثة أسابيع . وقد مررتم به وتضايقتم منه ، وبعضكم قد تعثر به وكلكم تذمرتم وتضجرتم لأنه لم يرفعه أحد من طريقكم . مع أنى أنا الذى أمرت بوضعه فى وسط الطريق . وهو ليس ثقيلا كما تظنون .. بل هو خفيف جداً ! »

ثم نزل من على حصانه ، وانحنى ودحرج الحجر ، وإذا هو مجوف خفيف يقدر أصغر واحد أن يدحرجه . وقد ظهر تحت الحجر صندوق صغير. فأمر الملك أحد الواقفين أن يفتحه وإذا فيه أمر ملكى يقول :

« إن كل من يدحرج هذا الحجر له جائزة من الملك قدرها مائة قطعة ذهبية » .

وقال الملك : « وبما أنى أنا الذى دحرجت الحجر فالجائزة لى دون سواى !! » .

فعض كل واحد من الناس على لسانه آسفاً وهو يقول فى نفسه :

« لماذا لم أدحرج أنا الحجر عوضاً عن تقريعى الآخرين على كسلهم وإهمالهم ... فكنت الآن من الأغنياء بفضل الجائزة ... أم ترى هو بختى السيىء !!»

أما أنتم يا أولادى فأرجوكم أن تتعلموا الدرس الذى قاله الله :
« كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بكل قوتك »

٢١

مكيدة

« لأن محبة المال أصل لكل الشرور (١ تى ٦ : ١٠) »

كانت قصة الأسبوع الماضى لتولستوى العظيم وقد لاحظت سروركم بها فرأيت أن استعير لكم من نفس المؤلف قصة أخرى تبين لكم حكمة الشيطان وأضرار الخمر وشر محبة المال

فى صباح ذات يوم خرج قروى من كوخه الحقير يحمل تحت إبطه فطوراً هو عبارة عن رغيفى شعير . فلما وصل إلى حقله خلع معطفه ولف فيه الطعام ثم ربط إلى المحراث حصانه . وصرخ فيه بلسانه وسوطه : « إلى الأمام إلى الأمام » . وظل يعمل بدون هدوء أو هجوع ، حتى انهكه التعب واشتد به الجوع . فاطلق من المحراث سراح الحصان ، وجاس يتأهب لتناول طعامه تحت الافنان . ولكنه بعد أن قلب طيات معطفه مراراً ، لم يجد للطعام أثراً ولا قراراً . لأن الشيطان كان قد سبقه إليه ، وجاس من بعيد متنكراً يرقبه بأطراف عينيه . عسى أن يفوه لسانه بشتائم ولعنات، فيحصيها عليه شروراً وسيئات . إلا أن فأل الشيطان قد خاب ، لأن لسان الرجل لم يفلت بما يعاب . بل قال فى نفسه : « ربما أخذه فقير جوعان ، فليهنأ به ويسامحه الرحمن » . ثم ذهب إلى بئر الماء ، وأطفأ بمائها النير

ما به من ظمأ . وبعد أن ارتاح قليلامن التعب ، هب بقوة لم تهن من شدة السغب . أما الشيطان فاستاء من القروى لأنه لم يقع فى خطية الغضب . فذهب إلى رئيسه يقول إن معين مكرى مع الرجل قد نضب . فوبخه الرئيس وعاب عليه الإهمال ، وقال لقـــد أطمعك فى حلمى الإمهال . أنك بالحق لا تصلح لأن تكون جندى ابليس ، فكيف أرى قدك بالكبرياء يميس . . والآن فقد منحتك ثلاث سنوات بلا تعديل ، فإن لم تفلح فى غوايته نكلت بك شر تنكيل . فعاد الشيطان يرتعش خوفاً ورعباً ، وامتلأ صدره على القروى حنقاً وغضباً ، وفتقت له الحيلة أن يتزيى بزى خادم يدخل فى خدمته ويشرف على فلاحته وزراعته . وفى عامه الأول نصح له أن يزرع فى السهل ، ومن حسن حظه وافقه الجو فجادت الأرض بمحصول وافر من القمح لم ير الفـــلاح نظيره من قبل . وفى السنة التالية أشار عليه أن يزرع فى ربوة عالية . فجادت التربة بمحاصيل فاقت محاصيل السنين الخالية — وقال الفلاح : «ليت شعرى ماذا نعمل بهذا القمح الكثير » وأجاب الشيطان : « الرأى عندى أن نخلط على جزء منه شيئاً من الخمير . فنصنعه خمراً نبيعها بثمن غال ، إذ سعر الخمر على وجه العموم سعر عال » فلما تم له ماأراد أشار عليه أن يدعو أهل القرية اجمعين إلى وليمة يذوقون فيها الخمر ترغيباً لهم فى ابتياعها راضين مسرورين . وهكذا كان فاقبل القوم على بيته جماعات . وملأت ابهاء البيت عشرات منهم ومئات !

وبينما كانت زوجة الرجل تدور بالكئوس على الحاضرين ، عثرت فوقعت الأوانى من يدها وسال بعض الخمر على ثياب الجالسين . فغضب

الزوج وانهال عليها بالتقريع واللوم ، ولم يستح أن يوبخها بل ويشتمها أمام الكبير والصغير بين القوم . وهنا ابتسم الشيطان الصغير وغمز رئيسه الكبير وهمس فى أذنه : ألست ترى مبلغ نجاحى من الرجل الذى سامح سارق فطوره ، وكيف يهين زوجته بكلام لاذع خرج فيه عن طوره . والعجب أنه سامح سارق طعامه وهو الفقير ، ولوم زوجته من أجل خسارة طفيفة وهو الغنى الكبير !!

ثم دخل الدار قروى فقير لم يدع إلى الوليمة ، يبغى أن ينال شيئاً من مكارم الرجل العميمة . فتململ المضيف من تطفل الرجل وأهانه وطرده مرذولا محملا بالعار والمهانة !

فسر ابليس وقال لتلميذه وهو يبتسم : « ما أعجب ماعملت مع الرجل وأعظم !! »

ثم إذأخذت نشوة الخمر بالعقول ، صاروا يروغون كالثعالب ويخورون كالعجول . ولما أكثروا من الشراب انقلبت سحنهم وصاروا كالذئاب . ولما لعبت الخمر بكل رأس كبير ، صاروا يتقيأون ويتمرغون على الأرض كالخنازير !!
فزاد فرح إبليس بخادمه الأمين . وسأله عن سر نجاحه المبين .. قال : « لقد أكثرت له الثروة حتى زادت عن ضرورياته ، وأشرت عليه أن يستغلها فى تقطير الخمور ففعل ، ولما شربها استساغها فأكثر منها فكفر بنعمة ربه . وهكذا أغوى أهل قريته فراحوا ضحية جريمته وذنبه .. ومن عادة الخمر أن تبدأ لطيفة مراوغة كالثعلب ، ثم تتحول بعد ذلك وحشية شرسة كالذئب الأغلب . ويزداد انحطاطها وإذا هى فى قذارة الخنازير !!
فمدحه ابليسّ وجعله فى ملكه ذا منصب كبيرا

٢٢

معرض الأبطال

«ليقل الضعيف بطل أنا ... أنزل يارب أبطالك
(يوئيل ٣ : ١٠ — ١١) »

— ١ —

موعظة اليوم عن أبطال : وقد حاولت أن آتيكم بقصة من مثل قصة داود وجليات ولكني لم أجد قصة مناسبة . واخيراً قرأت قصة كتبها شاب طيب عن الأبطال ورأيت أن أرويها لكم . قال :

«رأيت في الحلم أني أمام بناء فخم عظيم يشبه معارض الشمع وله طبقات عديدة ، وقبة عالية في قمته ، ومدخل عظيم بدرجات طويلة وعريضة . وعلى رأسها باب عظيم يقف أمامه رجل بلباس بهي . فسرت نحوه وسألته أن يدلني كيف أحصل على تذكرة دخول . فنظر إلي متعجباً وابتسم ، فشعرت كأن جاذباً يجذبني وإذا بقدمي داخل الباب وأنا لا أدري . فسألت فوراً وأنا في غاية الانفعال ، ماهو هذا المكان ؟» فأجابني القائد بكل رقة وأدب : « هذه غرفة الابطال ، فهل لك أن تتفرج على محتوياتها ؟ » .

فلما صرنا في الداخل وجدت نفسي في ردهة فخمة واسعة ، وحول جوانبها سلالم من رخام تؤدي إلى طبقات متعددة . وكان السكون مخيما —

فلما درنا قليلا رأيت أمامى باباً مفتوحاً وفوق الباب مكتوب « أبطال الحروب » ـ ويمكن الوصول إلى الغرفة بارتقاء سبع درجات ، قرأت على كل درجة كلمة منحوته وهناك ترجمة الكلمات : « حلو وجميل أن يموت الانسان لأجل وطنه »

وأظن أن بعضكم يقدر أن يذكر اسماء بعض الذين رأيتهم فى هذه الغرفة العظيمة من الرجال الذين انتصروا فى الحروب . والرجال الذين كانت هزيمتهم نفسها مجداً . لأن جروحهم كلها كانت فى الأمام لا فى الظهر. رجال مثل ليو نيداس الذى سقط فى ترمبولى ، وهوارشيوس الذى حافظ على الجسر ، ونلسون بذراعه المقطوعة ، وغاريبالدى بقميصه الأحمر ، ولنكولن بقبعته الطويلة المضحكة ، وغوردون بدون سلاح بالمرة ... ثم نساء مثل فلورنس نايتنجال ـ التى ذكراها خالدة ـ بين الجنود لتخلصهم لا لتقتلهم . . وذلك الشاب الذى وجده البروسيون فى الخنادق بعد موقعة « صدو » المشهورة وتحته راية فرقته خبأها بجسده حتى لا يجدها العدو ويأخذها ... ثم رأيت ذلك الغلام الأمين فى حرب البوير الذى أبى أن يخبر الضابط البريطانى عن حركات أبيه ، مع أنهم أوقفوه بجانب الجدار ، وأمامه على بعد بضع أقدام صف من الجند بغداراتهم ليطلقوها عليه إذا أصر على الكتمان فلم يعترف !! .

— ٢ —

ثم قال لى القائد عندما انتهينا من رؤية ما فى الغرفة وخروجنا

منها : « هذه غرفة الدور الاسفل فلنذهب إلى الدور الأعلى منها !! ؟ »

صعدنا إلى الدور الثانى على عشر درجات فخمة . وعلى كل درجة كلمة وهذه هى الكلمات : توجد طريق لم ترها عين النسر ولا سلكت فيها قدماه — وأمام الدرجة العليا باب ، وفوق الباب مكتوب : أبطال الطريق المنفردة ...

هنا الرواد الذين فتحوا طريقهم فى احراش القارات المظلمة ، وقطعوا مسالك الجبال الوعرة ، وعبروا الصحارى القاحلة الناشفة ، واكتشفوا ينابيع الأنهار ، وسافروا فى البحار المجهولة ، واقتحموا مناطق الجليد المرعبة وحاولوا أن يلمسوا أطراف الأرض !!

فشعرت بخجل عظيم لقلة معرفتى بذلك الجمهور الشجاع ، ولكنى عرفت كولمبوس ولفنجستون وآخرين قليل عددهم ! .

وكان قائدى يستوقفنى من حين إلى آخر . ويقص علىّ قصصاً بديعة عن أعمال الشجاعة والإيمان والاحتمال التى قاموا بها للعلم أكثر من كل نصرات السيوف والمدافع . وبينما أنا فى حالة ذهول قال لى القائد: « هذا هو السبب الذى لأجله نضع هؤلاء فى مكان أرفع من أولئك !! »

— ٣ —

ثم أنه صعد أمامى إلى دور أعلى له عشر درجات أيضاً . وعلى كل درجة كلمة هذه ترجمتها : أقوى رجل فى العالم هو الذى يقدر ان يقف وحده

ــ وعلى رأس السلم باب كبير مكتوب فوقه : أبطال الحق !!

فهناك رأيت سقراط وبيده كأس السم ، وغاليلو الذى قال أن الأرض متحركة والشمس واقفة فى وقت ذهب كل انسان إلى أن الأرض هى مركز الخليقة . ولأنه لم يقبل أن ينكر ما أعتقد أنه حق عذبوه وقتلوه . ثم لوثر الذى وقف فى وجه البابا . وما تزينى الذى بشر بالحرية . وقد رضى بالنفى والفقر فى سبيل الحرية .. وكذلك رأيت جيشا من الشهداء الشرفاء من ربيتوا التى طرحت مع طفلها الصغير للاسود إلى مرغريت ولسون التى ربطت إلى عمود خشب فى نهر سولواى فرث واغرقت فى المد لأنها رفضت أن تنكر ما أعتقدت أنه حق .

٤

كنت أرغب أن أبقى فى تلك الغرفة المجيدة مدة أطول ، ولكن القائد استحثنى لنصعد إلى الغرفة الأعلى فى الطابق الأخير . وكانت درجاتها أعرض من الكل ، وهى مصنوعة من مادة لا تسمع لخطواتك صوتاً لما تدوس عليها . وكان لها اثنتا عشرة درجة على كل درجة كلمة وهذه هى : ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه . . .. .. وفوق باب مدخلها العظيم مكتوب : أبطال المحبة

وهنا لم يدخل القائد بل وقف بجانب الباب ، وفى هيبة واحترام أشار إلىّ وهو صامت أن أدخل . فدخلت وإذا الغرفة بسيطة جداً تعلوها القبة

التى رأيتها من الخارج تتوج البناء كله . وظننت فى أول الأمر أن الغرفة خالية من كل شىء وذلك بسبب النور العجيب الذى بهر عينى . فلما قدرت أن أرى أبصرت فى الوسط صليباً . وعليه شخص معلق ،وفى الحال نطقت شفتاى دون أن أشعر باسم « يسوع » . ولما تعودت على النور وجدت أن الغرفة ليست خالية . بل لقد كانت بالحقيقة ملآنة أكثر من الغرفتين اللتين رأيتهما . وابتدأت أرى . فرأيت الأب دميان الذى بذل حياته لأجل البرص فى مولوكاى والأب تليماكس الذى بذل حياته فى سبيل أبطال حوادث القتل فى الكولوسيوم ، وجيمس تشارلز الذى بذل حياته لأجل متوحشى غينيا الجديدة ، وهنرى مارتن الذى بذل حياته لأجل الهند ... وهكذا . وبدأت أرى جيشاً لا يقدر أحد أن يعده من أبطال الصليب . ثم سمعت صوت موسيقى آتيا من أسفل البناء الهائل ، وكأنى بكل واحد من الأبطال قد أنضم إلى جمهور المرتلين فملأ الصوت المكان وكانت أغنيتهم : —

لاسم يسوع هللوا لتسجد الأملاك
أكليل ملك كللوا رب الجميع ذاك
جميع من فوق الثرى تحت ذرى الافلاك
يكلل فادى الورى رب الجميع ذاك

ومن روعة ما رأيت وسمعت أحسست بفرح وخوف فخرجت كما خرجت النساء من القبر يوم القيامة مرتعداً من الخوف . ومن الفرح —

وعندما وصلت إلى آخر درجة ، وجدت قائدى بانتظارى ، فسار معى حتى المدخل الكبير . ثم قال لى بصوت لطيف :

إنك ستأتى وتقيم هنا يوماً ما ، أليس كذلك ؟

فوقفت صامتاً ومدهوشاً ، وتفرست فى وجهه لأرى إن كان جاداً بقوله هذا أو هازئا ثم قلت متلجلجاً .

« أنا ؟ أنا بطل ؟ »

فأجابنى : لماذا لا ؟؟ ... إن فيك « ذاك » الذى هو روح البطولة » .

وفى ذلك الوقت وصلنا إلى الرواق الخارجى فمد يده وصافحنى مودعا فلمحت فى يده أثر المسامير .. وقبل أن أنطلق قال :

« فى أى دور تحب أن نعد لك مكاناً ؟؟ »

لم أجب عن السؤال ولكنى أقدم هذا السؤال لكم .. « فى أى دور؟؟ »

٢٣

أديسون

« انظروا ٠ قد دعا الرب بصلئيل بن أورى
بن حور٠٠ وملأه من روح الحكمة والفهم
والمعرفة ٠٠٠ ولاختراع مخترعات (آخر ٣٥: ٣٠-٣٢) »

سأحدثكم هذا الصباح عن بصلئيل آخر اسمه توما الفا أديسون . ومع أنه لم يكن متديناً فى أول أمره إلا أنه لما بلغ الثمانين أعلن إيمانه الأكيد بالله على أنى أقصد أن أحدثكم عنه كشخص استطاع أن ينتصر على العقبات وذلك لأن روح الله ، روح الحكمة والمعرفة ، كان يملأه

— ١ —

عقبة الفقر

ولد اديسون يوم ١١ فبراير سنة ١٨٤٧ من والدين فقيرين فكانت طفولته محاطة بالضيق ولو أن أحدهم حكم حاضر اديسون على مستقبله لحكم أنه لن يكون أزيد من عامل بسيط أو بائع جرائد . على أن اديسون كان يعلم أنه يملك ثروة يملكها جميع الفقراء تقريباً . ثروة من صحة ومن عقل ومن فرصة . بل إن فقره نفسه كان ثروة استطاع أن يستغلها أحسن استغلال .



لو أن اديسون ولد وفى فمه ملعقة من ذهب كما يقولون ما استطاع أن يكون ما صار إذ كان من المحتم أن يفقد الحافز وقوة المكافحة — ليسمع الذين يشتكون من الفقر . ليسمعوا اديسون يحدثهم أن فقره كان من عوامل نجاحه ! !

— ٢ —

عقبة الصمم

وأصيب اديسون فى أوائل حياته بالصمم ، وكان يمكن أن تصيره هذه العاهة عديم النفع . ولكنه استطاع أيضاً أن يستفيد من الصمم إذ جعل وقته ذا فائدة ، بل كلى الفائدة . إن كلامنا للاخرين وسماعنا لكلامهم يضيع علينا جانباً كبيراً جدا من الوقت وقد قيل إن اديسون رفض أن يعالج اذنه فى أول الأمر شاكرا الله من أجل صممه . . وقد ظل إلى منتهى حياته يشكر الله من أجل ذلك

— ٣ —

مجهود

اشتهر اديسون من أول حياته بأنه رجل المعامل — وأول معمل زاول فيه بحوثه كان غرفة مخزن البيت فى الدور الأرضى . فهناك جمع نحو مائتى زجاجة فيها مواد كيميائية متنوعة كتب على كل واحدة منها كلمة « سم » حتى لا يمسها أحد . ولما كانت هذه تقتضيه مبالغ طائلة اضطر أن يحترف

بيع الصحف فى القطار الذى كان يقوم فى الصباح من مدينة هورون — التى كان يسكن فيها — إلى ديترويت ، ويعود منها فى المساء . وكان يصرف بحر النهار فى التجول فى المدينة ، وارتياد مكتبتها ، يدرس الكتب المتعلقة بعمله . فكانت هذه الفرصة أحسن فرصة تهذيبية له !

أما معمله الثانى فكان رف عربة البضاعة فى قطار السكة الحديد الذى كان يسافر به يبيع الجرائد — وفى ذلك المكان كان يقوم ببعض التجارب العلمية المهمة ، غير أنه حدث ذات يوم ان أشتعل عود فوسفور منه فاحترقت العربة وإذ ذاك ناداه الموكل بالقطار ولطمه على وجهه وطرده هو وادواته وآلاته — ولكن هذا لم يحدث إلا بعد ان كانت له مطبعة خاصة به ، وجريدة يصدرها أسبوعياً دعاها « الرائد الاسبوعى » . وقد اشتهرت جريدته حتى أنه كان يوزع منها ٤٠٠ نسخة يومياً — وكانت هذه اول جريدة فى العالم طبعت فى قطار السكة الحديد وهو سائر ... والأولى التى كان محررها وطابعها وبائعها شخصاً واحداً ، وذلك الشخص غلام فى الرابعة عشرة من عمره !!

وإذ كان اديسون يبيع جرائده حدث أنه نجح يوماً فى تخليص ابن ناظر المحطة من أن تدهسه عربة . وقد كافأه الناظر على ذلك بأن شرع فى تعليمه فن التلغراف .. ولما اتقنه عينه عاملا فيه . وكانت هذه أمنية اديسون من زمن طويل . . وقد جعلته هذه الخطوة يشرع فى عمل اختباراته الكهربائية — وقد أدت دراسته للكهرباء إلى عدة اختراعات فى مستقبل حياته !!

اختراعاته

بأى اختراع أبدأ وبأيها انتهى . لقد برهن اديسون على أنه أمة فى فرد .. ها أنا أذكر بعض اختراعاته كما يتفق : —

الفونوغراف أو الحاكى وربما كان أجل اختراع ظهر وقد كان أساسا لأعظم اختراعات الجيل الحاضر ونعنى به « الراديو » و « التلفزيون » — ثم عداد صندوق الصراف واللبات الكهربائية والقطارات الكهربائية والدينامو التجارى ، وما كينات الصور المتحركة ...

وقد صارت معامله مسقط رأس أعمال « سحرية » كل يوم . وصار يحج إليها مئات من العلماء والمخترعين من كل أنحاء الأرض . ومن زجاجات قاعة مخزن أمه فى الدور السفلى إلى المعامل العظيمة كان شعاره واحداً وهو التفكير الصحيح ، والعمل باجتهاد — وقد قال اديسون فى ذلك :

« فى أعمالى كلها ، واحد من المائة إلهام الذكاء والتسعة والتسعون عرق الجبين» !!

يا أولادى قد لا يكون لأحدكم اسم اديسون ولكنى أثق أنكم إذا استعملتم مواهبكم تخدمون العالم بمثل ما خدم اديسون .. وربما أكثر !!!

٢٤

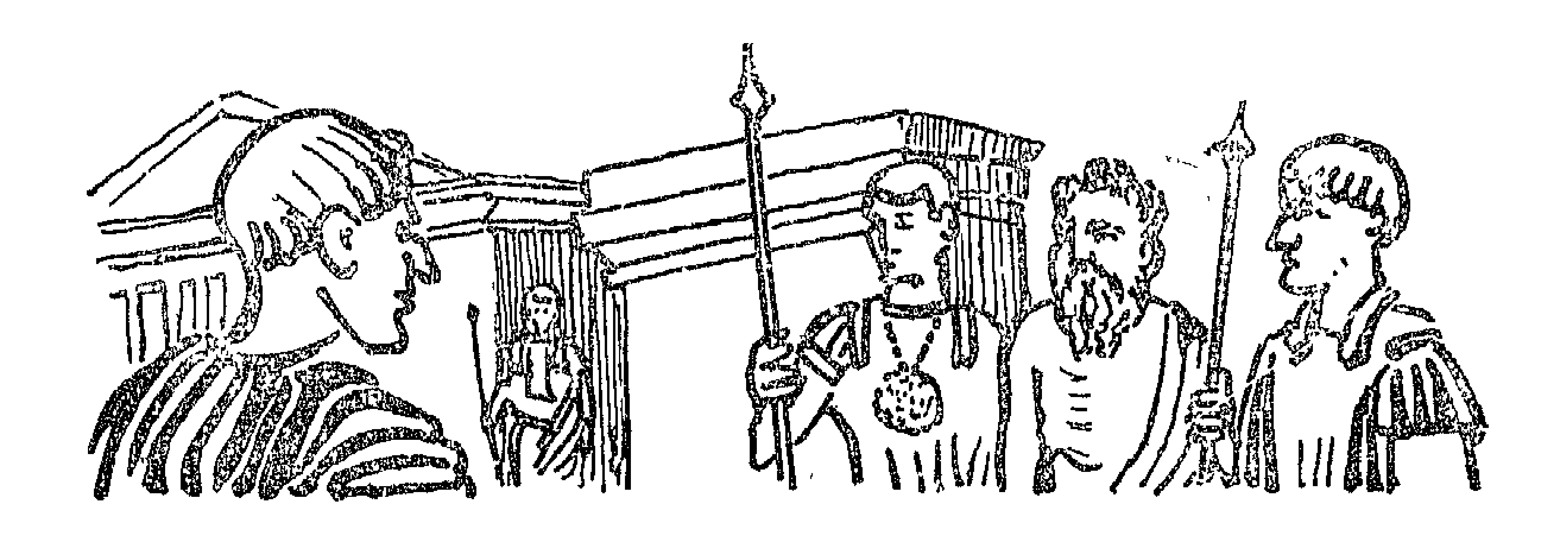
بوليكاربوس

« كن أمينا إلى الموت فساعطيك أكليل الحياة (رؤ ٢ : ١٠) »

سأحدثكم اليوم عن أحد أساقفة سميرنا التي كتب لها يوحنا رسالته الحلوة التي ختمها بقوله «كن أميناً إلى الموت» . ونحن نحس كما لو كان يتحدث حقاً إلى بوليكاربوس ، الذي يقال إنه تعلم عنـد أقدام الرسل أنفسهم ، والذين رأوا الرب يسوع وسمعوه فأخذ عنهم وأعطى الآخرين وليس من قصدي أن أروى لكم تاريخ حياته ولكني سأقتصر على ذكر قصة موته :

لما كان عمره فوق الثمانين زار رومية . وقام عقب زيارته بمدة قصيرة اضطهاد مروع على المسيحيين في آسيا وحـدث في أحـد أعياد سميرنا أن أقيمت الألعاب الرياضية ونزل إلى الميدان المصارعون الأبطال لمصارعـة بعضهم البعض ومصارعة الوحوش الضاربة أيضا . وفي إبان لعبهتم هتف الجمهور طالبين أن يؤتى بالمسيحيين إلى ساحة الألعاب . فأتوا بأحد عشر مسيحياً وأدخلوهم في الساحة لمصارعة الوحوش فمزقت أجسادهم . وهشمت عظامهم وافترستهم : وإذ كانوا يصرخون من شدة الآلام ، ازداد هياج

العامة ، وقالوا بأصوات عالية : « ليقتل الكفار ، ابحثوا الناعن بوليكاربوس !
ذلك لأن الرجل بقوة حجته ، وشدة إيمانه ، وطهارة حياته حول كثيرين منهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الإله الحى الحقيقى . وكان الأسقف فى مزرعة خارج المدينة ، فبحثوا عنه حتى وجدوه وقبضوا عليه !



واجتهد الضباط والحكام أن يحولوه عن الإيمان بالمسيح ، حتى أن القنصل الأعظم نفسه حاول إقناعه واعداً إياه بالحرية . ولكنه ثبت على الإيمان ولم يتزعزع ، وكان جوابه المقنع لاحتجاجاتهم وتوسلاتهم وتهديداتهم قوله :

« ستا وثمانين سنة خدمته ولم يصنع معى شراً
فكيف أنكر الآن ملكى ومخلصى »

— فما سمع الناس هذا القول ، حتى هاجوا وماجوا ، وطلبوا أن تحل قيود الأسود ، وتطلق عليه لتمزقه أرباً أرباً . فأجابهم الرجل الموكل بالالعاب أن دور الأسود قد انتهى ، فطلبوا أن يحرق ، فلم يتداخل القنصل الأعظم

بل تركهم وشأنهم. فقاموا وجمعوا أخشاباً وحطبا كثيراً ، وربطوا بوليكاربوس ووضعوه فوق أكوام الحطب .. ثم اشعلوا النار ..

أما هو فقابل الموت بكل إقدام وشجاعة مفضلا الولاء لربه على بضع سنوات محتقرة يقضيها جاحداً إياه !!

وهكذا بواسطة قيادة رجل قوى نظير بوليكاربوس الشيخ ، نجت كنيسة ذلك العصر من الضعف أو الارتداد — وإذ تتذكر بالشكر أولئك الذين سلموا نا الإيمان نقيا خالصا ، يتمثل أمامنا فى تلك الأيام السوداء شبح الشيخ العجوز كنور مضيء وسط الظلام الدامس ، ونسمع صدى صوته الرنان . أمام أولئك الحكام القساة العتاة ، يقول بشجاعة وثبات :

ستا وثمانين سنة خدمته ولم يصنع معى شرا
فكيف أنكر الآن ملكى ومخلصى ؟ !! ؟

٢٥

يوحنا فم الذهب

« وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات
النعمة الخارجة من فمه (لو ٤ : ٢٢) »

— ١ —

أن « شخص » اليوم شخص محبوب جـــداً . يـكفى أن اسمه « فم الذهب » — ولد فى أنطاكية من الـكنيسة الأولى من والدين فقيرين. ولـكنه انكب على الدرس والتحصيل حتى صار خطيباً مشهوراً . ولفصاحته لقب « بفم الذهب » . ولما أنهى دراسته فكر أن يصرف حياته فى التعبد فى البرية فأصبح راهباً . ورسموه شماساً ثم قسيساً . وكان أحب شيء لديه هو أن يخبر الناس عن الله ، عن محبته لأولاده وكيف أنه يريد أن الجميع يحبون بعضهم بعضا كما أحبهم الله !

— ٢ —

وصار ليوحنا فم الذهب شهرة كواعظ تقى مقتدر . وأحبه الناس واحترموه . فلما مات أسقف مدينة القسطنطينية أجمعوا على اختياره أسقفاً عليهم وكان فم الذهب فى أول الأمر غير موافق على ذلك الاختيار ولـكنه اضطر إلى القبول !!!



يوحنا فم الذهب

سيم فم الذهب أسقفاً على القسطنطنية سنة ٣٩٨ م لما كانت المدينة في أعظم زهوها ، وفي قمة مجدها . وكانت كنيسة « ايا صوفيا » فخر الكنائس في العالم كله !

أما يوحنا فكان رجلا وديعاً . وكان يرى أن كل هذه الأبهة والفخفخة لا تليق بأولئك الذين يحسبون أنفسهم أتباع الناصرى الوديع المتواضع فكان أول شيء عمله لما سيم أسقفاً ودخل الدار الأسقفية الفاخرة أنه أمر بنزع الأثاث الثمين منها وبيعه في السوق بالمزاد العلني . ثم وزع أثمانه على فقراء الشعب في المدينة . فأحبوه حباً جماً . ولكن الأغنياء والمتقدمين في الشعب أبغضوه لأنهم لم يحبوا أن ينبههم أحد إلى قصورهم كما كانت وصايا السيد وطريقه صعبة عليهم . لا سيما وأن الأسقف تناول في وعظه الكلام ضد النخاسة (الاتجار بالعبيد)، وقد كان لأغلب الناس في تلك الأيام عبيد من الفقراء . وكانوا يعاملونهم معاملة قاسية . ثم أنه وبخ الكهنة لأنهم لم يقوموا بواجباتهم حق القيام من حيث الوعظ والتعليم بل اهتموا بجمع المال ، وإحراز الإكرام ، فأضروا بالإسم المسيحى بدلا من أن يخدموه !!

٣

وكان من نتيجة سمو حياته أن قام له أعداء . ولكنه لم يبال بذلك طالما هو مقتنع أنه يعمل الحق ويقوم بالواجب . غير أن خصومه ظلوا يعملون بكل الطرق حتى عظم سلطانهم وقويت شوكتهم فاستطاعوا أن

يقنعوا الأمبراطور أن ينفيه فأذعن لمشورتهم ونفى الأسقف . . وقد قيل إن إذعان الأمبراطور كان بسبب الضغط من جانب الأمبراطورة التى ساءها أن ينتقد الأسقف الشيخ تصرفها وخلاعتها ! !

ولما سمع الشعب بنفى أسقفه المحبوب ثارت ثائرته . فقام بحركة عنيفة ينوى بها مقاومة الحكومة فى هذا الأمر . وكانت مصادمة عنيفة تنذر بثورة . ولكن الجنود انتصرت أخيراً وحمل يوحنا إلى مكان بعيد فى الأمبراطورية

وقد قاسى هناك متاعب لا حد لها فتعرض للجوع والبرد والمرض ودوام الغزوات والحروب فى تلك الجهات . ولكنه لم يتذمر ولم يشك بل بقى ثابتاً ، له شجاعته وفرح قلبه وطلاقة وجهه وثابر على الوعظ ونشر أخبار الإنجيل المفرحة بين الذين حوله — لقد زعم خصومه أنهم سيخيفونه بالاضطهاد ولكن ظهر أن يوحنا لا يخاف شيئاً ...إلا الخطية !

واغتاظ أعداؤه وعلى رأسهم الأمبراطورة فسعت حتى صدر أمر آخر بنقله إلى مكان أبعد فى الشمال الأقصى على شواطىء البحر الأسود حيث المكان قفر موحش . وكان جسمه قد ضعف بسبب المرض والتعرض لشظف العيش وتقلب الطقس وعلم أعداؤه أنفسهم أنه سيموت حتما فى الطريق ولكنهم برغم ذلك أصروا على أن ينقل . بل قد قيل للجنود سراً إنه إذا مات منهم فى الطريق فسيكافأون بسبب ذلك خير مكافأة . كان يمكن ليوحنا فم الذهب أن يعود مكرماً إلى القسطنطينية لو أنه تراخى

فى الحق وأغمض عينيه عما يراه من آثام . ولكنه فضل أن يسير ليلاقى الموت ، على أن يعيش غير أمين لسيده . وسار مع الجنود ولكنه لم يستطع أن يوالى السفر بسبب الحر والتعب مع الأمراض التى انتابت جسمه النحيل فسقط فى الطريق . فحملوه إلى كنيسة قريبة منهم . وهناك أسلم الروح ، وهو يقول آخر عبارة مألوفة عنده : « المجد لله والشكر له لأجل كل شيء »

ولما سمع مريدوه فى العاصمة بموته طلبوا إحضار جثته إليها فأحضرت فى موكب عظيم . ووقف الأمبراطور نفسه وسط الشعب المتجمهر فى الكنيسة وخارجها بلا حصر ولا عدد . وطلب المغفرة لأنه أساء إلى رجل الله العظيم هذا !!!

لقد كانت حياة يوحنا فم الذهب حياة مثمرة بخدمتها ، وكان موته فى سبيل الأمانة لسيده سبب شجاعة الكثيرين من المؤمنين فى أيامه وإلى يومنا هذا فوقفوا بجانب الحق وثبتوا بجانب سيدهم — لقد كان يوحنا حقاً ذهبى الفم فى حياته وفى موته !!

٢٦
روبرت موفات

« يا ابنى ... لاتترك شريعة امك (ام ٦ : ٢٠) »

— ١ —

اسم موفات

أذكر انكم سررتم كثيراً عندما حدثتكم عن قصة « ولد واحد فقط » أعنى الولد الوحيد الذى كان نتيجة شغل راعى كنيسة كارونشور مدة سنة. حاولت أن اكتشف اسم الراعى فلم استطع . عدت إلى كتب التاريخ ودائرة المعارف فلم يخبرنى أحد . أما الولد فقد صار « روبرت موفات» المرسل الافريقى الكبير . الذى خدم الانجيل اعظم الخدمات والذى يعود إليه جانب كبير من فضل خدمة « دافيد لفنجستون » ...

وطبعاً لاتزالون تذكرون قصته التى رويتها لكم منذ سنتين — ولست اقصد أن أعيد عليكم ما سبق أن قلت . ولكنى سأقص عليكم هذا الأسبوع والأسابيع التالية بعض القصص اللاذة عن ذلك الرجل العظيم الذى قيل عنه يوم أن انضم للكنيسة « ولد واحد فقط »

لعلكم لاتعرفون ان روبرت موفات اشتغل فى أول أمره بحاراً ! ولعلكم كذالك لاتعرفون ان حياة البحار يمكن أن توصف بأى شيء خلا أنها متدينة ! ولعلكم فى دهشتكم تسألون كيف حافظ موفات اذن على دينه وهو بحار ؟ اظن اننا نجد الجواب فيما كتبه موفات نفسه قال :

« لما حان وقت قيام المركب فى « نهر الفرث فورث» التى نقلتنى إلى انجلترا قالت امى :

— « الآن ياروبرت دعنا نقف وحدنا بضع دقائق ، فإنى أريد أن اطلب منك معروفاً قبل أن نفترق !! »

— « ما هو يا ماما ؟ »

— « أريد أن تعدنى أولا أنك تفعل ماسأطلبه منك !! »

— « لا أقدر أن أعد ياماما قبل أن أعرف طلبك !! »

— « وهل تفتكر ياروبرت اننى أطلب أمراً فى غير محله وليس فيه خير ؟ ... أما أحبك ؟ »

— « أنى أعرف ذلك ياماما . ولكنى لا أحب أن اعد حتى أكون قادراً أن أنجز الوعد ! »

ثم أطلت النظر إلى الأرض وأنا صامت أحاول أن أقاوم عواطفى الثائرة . ثم رفعت عينى فرأيت الدموع تنحدر على خديها فخنقتنى العبرات ولما صرت قادراً أن أتكلم قلت لها :

— « ماما : اطلبي ما تشائين فانى ساجتهد أن أفعل كما تطلبين !! »

— « كل ما أطلبه منك هو ان تقرأ فصلا من الكتاب المقدس كل صباح وفصلا كل مساء !! »

فقاطعتها قائلا : « ولكنك تعرفين يا ماما أنى اقرأ فى كتابى كل يوم !! »

— « ولكنك لا تقرأ بانتظام كما يجب أو كواجب عليك أنت مدين به لله ولنفسك ! »

فوعدتها ، وإذ ذاك اجابت : « الان أعود إلى البيت بقلب مسرور . اقرأ كثيراً فى الإنجيل ... الإنجيل المبارك ، فلا تضل الطريق . وإن كنت تصلى فالرب يكون معلمك !! »

فارقت أمى إلى مركز عملى ثم إلى أماكن قريبة وبعيدة ، حيث لم أجد كنيسة أو مدرسة أحد قريبة منى ، أو انساناً يهمه أمر الدين ، ولكنى لم أنس وعدى لأمى !! »

٢٧

روبرت موفات

« نعم يا سيدى والكلاب ايضاً تأكل من الفتات الذى
يسقط من مائدة اربابها (مت ١٥ : ٢٧) »

— ٢ —

عظتى الاولى للوثنيين

اعتاد الدكتور موفات ان يروى قصته عن عظته التبشيرية الأولى قال:

حدث فى مساء ما انى وصلت فى رحلتى الأولى فى افريقيا إلى مزرعة بويرى هولندى والتمست منه أن يضيفنى الليلة . كان الليل قد نزل وكانت العائلة على وشك الذهاب الى النوم . وقال صاحب البيت : « هلا يرغب ضيفنا أن يلقى بعض النصائح المسيحية ؟ »

قال موفات : « فأجبت بكل سرور ، فلما اجتمعوا القيت نظرة على الحاضرين ، وإذا هم صاحب البيت وزوجته وأبناؤهما وهم ثلاثة صبيان وبنتان . غير أنى نظرت جماهير من العبيد السود على مقربة من المكان ، إذ كان له مالا يقل عن مائة « هو تنتوتى » فى خدمته — ولذلك انتظرت ايضاً » .

وإذ ذاك قال البويرى : « ما خبرك : لماذا لاتبتدئ ؟؟ »

فأجبت : « ألا يأتى خدامك أيضاً ؟؟ »

فصاح بى بصوت مرتفع : « خدامى ! ؟ ؟ هل تقصد « الهوتنتوت » أيها الرجل ؟ هل أصبت بجنة حتى تفكر فى الكرازة للهوتنتوت ؟ اذهب إلى الجبال وعظ للحلاليف !! أو إن شئت دعوت كلابى لك لتعظها !! »

وكانت كلمات الرجل شديدة علىّ فدمعت عيناى .. . وبعد فترة صمت فتحت كتابى وقرأت : « نعم ياسيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها .

كانت الكلمات حقيقة للمرة الثانية : وإذ ذاك تأثر مضيفى من كلمة الله . وقال بارتعاش : « انتظر . يجب ان ننفذ فكرك ، سأحضر لك كل الهوتنتوت وسيسمعونك !! »

وهكذا فعل .. وامتلأ المكان بصفوف من السود الذين كانوا يتطلعون بنظرات مشتاقة نحو الغريب . وعند ذاك ألقيت عظتى الأولى للوثنيين — لن انسى تلك الليلة !!!

٢٨
روبرت موفات

« ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس مـاء بارد فقط باسم
تلميذ فالحق أقول لـكم أنه لايضيع أجره (مت ١٠ : ٤٢) »

— ٣ —

شفقة امرأة

عظتنا هذا الصباح هي أيضاً عن صديقنا « روبرت موفات » — لا تظنوا أن طريقه كان سهلا دائماً — نعم نال موفات أكرام الملوك والرؤساء ولـكنه لم ينل ذلك الا بعد ان لاقى مشقات لا حصر لها — وقصتنا اليوم حدثت أثناء إحدى تلك الرحلات الشاقة !!

وصل موفات يوماً إلى قرية وثنية على شاطيء نهر الاورانج . وإذا كان متعباً وجائعاً وعطشاناً جلس عند مدخل المـكان إذ كان الليل قد أقبل . وكان يتعرض للضوارى لو أنه استمر فى رحلتة !

اجتمعت حوله جماهير السكان ، ونظروا إليه نظرات قاسية غضوبة . طلب أن يقدموا له ماء فرفضوا طلبه . وكان واضحاً أنهم لن يقدموا له طعاماً .

وإذ كان على وشك ان يفقد كل رجاء اقتربت منه امرأة تحمل حزمة من الحطب على رأسها وإناء من اللبن فى يدها . سلمت الاناء المرسل بدون كلمة . ثم طرحت حزمة الحطب بجانبه وسارت نحو القرية . ثم عادت حاملة حلة طبيخ على رأسها وربع خروف فى إحدى يديها ، وماء فى اليد الأخرى !!

نظرت إليه . . ثم أعدت ناراً ووضعت اللحم فى الحلة . . سألها موفات المرة بعد المرة من هى ، ولماذا انفردت هى دون أهل القرية فى الإحسان إلى غريب ؟؟

ففاضت الدموع على وجه المرأة وقالت :

« أنا أحب الشخص الذى أنت خادمه ، ولا شك أنه واجب على ان أعطيك كأس ماء بارد باسمه . قلبي ملآن ولذلك لا أستطيع أن أعبر لك عن الفرح الذى أحس به وأنا أراك فى هذا المكان المنقطع !! »

٢٩

روبرت موفات

« إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون ..
فى ... ملكوت السموات (مت ٨ : ١١) »

— ٤ —

الملك الأفريقى

هذه رابع قصة أرويها لكم يا أبنائى الصغار عن المرسل الشهير روبرت موفات . كان صديقنا العزيز موفات يحب أفريقيا وسكان أفريقيا وقد حمل معه لهم أعظم هبة وهى الحياة الأبدية فى المسيح ... وقصتنا تتصل ببعض ملوك تلك القارة المظلمة

كان « موسلكاتس » فى قبيلته المشهوره « شا كا » يشبه « أتيلا » أو « نابليون » فى سيادته على قومه . كانت له جيوش تطيع أقل إشارة منه وكانت حركة أصبعه تكفى لإطاحة الرؤوس من أجسامها

وفى سنة ١٨٥٥ أى من نحو ثلاث وثمانين سنة زاره « صديقنا » « بوبى » وفى إبان سيادته لم يخش المرسل الشجاع أن يضع أمام عينيه الجمال الفائق للمسيحية ، والبركات التى لا تثمن للسلام ، كما أنه لم يغفل عن أن

يصور له الشرور القبيحة لقومه وظلت الزيارات متواصلة بين المرسل والزعيم . . وأثناء هـذه الزيارات المتتالية لاحظ المرسل شيئاً من أثر الخدمة .

وفى سنة ١٨٥٩ كان سرور مستر موفات عظيما لرؤيته عدداً كبيراً من المرسلين فى تلك البقعة . وكان بين أولئك « جون موفات » ابنه الذى عمل بكل اجتهاد وأمانة فى ذلك الاقليم .

كذلك ذهب مستر موفات فى إحدى زياراته إلى « ما كابا » ملك « بانانفيسى » الواقعة على مسافة عظيمة من « كورومان » — وكان الملك جالساً يحيط به زعماء قبائله ، وجلس موفات بجانبه . وبدأ يتحدث عن المخلص ، وذكر فى الحديث بالطبع قيامة المسيح من الموت ، ووصف تلك القيامة .

وانزعج الملك من هذا الخبر ، ثم سأل هل يقوم أبوه من الموت ؟ وهل يقوم الذين ذبحوا فى المعارك؟ وهل يقوم الذين قتلتهم السباع والنمور والضباع والتماسيح ؟

وأجاب المرسل : «نعم . ويأتون إلى الدينونة !» .

وإذ ذاك قال الملك للمرسل : « يا أبى أنا أحبك كثيراً . . زياراتك وحضورك جعلا قلبى أبيض مثل اللبن . . كلمات فمك حلوة كالشهد ولكن كلامك عن القيامة أكثر من أن يقبل . لا أريد أن أسمع مرة أخرى

أن الأموات يقومون ! . . الأموات لا يقدرون أن يقوموا . . الأموات لا يجوز أن يقوموا » . .

وقال المرسل : « قل لى ياصديق لماذا لا أتكلم عن القيامة ؟ ؟ » .

فوقف الملك على قدميه ، وكشف ذراعه وهزه كما لو كان يهز رمحاً وقال :

« لقد قتلت الوفاً فهل يقومون ؟ ؟ . . . »

لقد تحرك ضميره !!

* * *

وحدث أن زعيما لقبيلة تقطن على مسافة بعيدة أسمه « موشو » زار كورومان سنة ١٨٣٤ . وإذ كان موفات يفهم اللغة السيكوانية انتهز الفرصة ليتحدث إليه عن « الشيء الواحـــد » الذى يصح أن يقال « إن الحاجة إليه » — ولكن ظهر كأن لا فائدة من الكلام .

وبعد مدة عاد « موشو » إلى كرومان ومعه حاشية كبيرة من أتباعه ، وكان ملتهباً للدخول فى ملكوت الله . وقال لمستر موفات .

« عندما زرتك المرة الأولى كان لى قلب واحد ولكنى الآن جئتك بقلبين . لا أستطيع أن أستريح .. عيناى لا تغمضان لظلمة الأشياء التى أخبرتنى عنها فى زيارتى الأولى »

لابد وأن تثمر كلمة الله حتى مع الملوك

٣٠

روبرت موفات

« يسمعون أن الذى كان يضطهدنا قبلا يبشر
الآن بالإيمان الذى كان قبلا يتلفه » (غل ١ : ٢٣)

٥

افريكانر

نختم اليوم قصة روبرت موفات وخير خاتمة لهذه الحياة العظيمة قصة إتيانه بـ « أفريكانر » إلى المسيح . نعم عمل موفات أشياء قد تبدو أعظم من هذا العمل . وفضله فى تنوير القارة المظلمة وتربيته لابنته مارى التى صارت فيما بعد زوجة لفنجستون العظيم ... بل إن اجتذابه لذلك الرحالة العظيم إلى أفريقيا كان عملا خالداً ... ولكنى برغم ذلك أعتقد أن هداية « افريكانر » أعظم أعماله .

قال موفات لضيفه : « إنى ذاهب إلى مضارب افريكانر !! »

فأجابه الرجل: « إنه سيجعلك هدفا لغلمانه لكى يصوبوا إليك سهامهم !

وقال آخر : « ويسلخ جلدك ويصنع منه طبلا يرقصون على دقاته ! »

وقال ثالث : « وسيصنع طاساً للشرب من جمجمتك ! »

وقالت إمرأة وهى تتنهد حزنا : « لو كنت طاعناً فى السن لكان الخطب هيناً ، ولكنك شاب ... تقدم نفسك فريسة للوحش !! »

ولكن موفات لم يعبأ بكل هـذا الكلام ، فذهب وأعجب افريكانر بشجاعته فلم يؤذه !

ولما مثل موفات بين يدى افريكانر قال له الأخير : « هل أنت المرسل المعين من جمعية لندن ؟ » وأجاب : « نعم أنا هو الرجل »

قال الرئيس الأفريقى . « أنت بعد شاب ، وأرجو ان تعيش طويلا معى ومع شعبى !! »

ثم التفت وأصدر أوامره للنساء أن يبنين له كوخا لسكناه . وفى الحال جئن بحصر وعمد وفى نصف ساعة كان البيت معداً للسكن — طبعا بلا باب أو شباك أو مدخنة .

ولما صار موفات يجمع الأولاد كل يوم ويعلمهم ، كان افريكانر يجلس ويتعلم معهم . وكان فى بادئ الأمر يجلس للانتقاد والاعتراض . ولكن مع مرور الوقت صار باحثاً عن الحق مخلصاً ؛ وصار يجلس تحت ظل شجرة أو فى كوخه ، ويصرف ساعات فى قراءة الإنجيل . وكان يصرف ساعات طويلة من الليل جالساً على حجر أمام كوخ موفات يسأله عدة أسئلة عما فى الإنجيل . وكان يساعد موفات فى تعليم الأولاد والنظافة والترتيب ولما كان يسمع عن محتاج أو مريض كان يسرع ويمد له يد المساعدة والمعونة .

والذى كان زعيم الخصام بين كل القبائل أصبح الآن رسول السلام . وبدلا من اليد التى كان يرفعها بالسهام والحراب للطعن والجلاد ، صار يمدها متوسلا إلى القبائل ان تلجأ إلى الصلح والسلام .

وكثيراً ما سمع يقول : « ماذا جنيت من كل حروبى الماضية إلا العار وتوبيخ الضمير؟ » فلم يبق شك أن ذاك الذى كان سبب هول ورعب البلاد أصبح انساناً جديداً بفعل ذاك الذى يغير القلوب ويجددها .

وفى سنة ١٨١٩ كان لا بد للمستر موفات ان يرجع إلى مدينة « رأس الرجاء الصالح » لأن ملابسه كانت تمزقت ، واطعمته فرغت . وكان لا بد له أن يقدم تقريراً عن عمله ، ويتلقى تعليمات جديدة من رؤسائه . ورأى أنه لخير العمل أن يصطحب افريكانر معه . ولكن ذاك كان طريد الحكومة . وكانت الجائزة لرأسه الف ريال. فلما عرض عليه موفات امر الذهاب صمت ثم وقال : « دعنى أفكر وألقى حملى على الرب فإنه لا يتركنى ثم عاد وقال انا مستعد ان اذهب معك ، والرب معنا » .

وكانت مسألة مروره فى أرض البوير عقدة صعبة الحل ، لأن الجرائم التى ارتكبها فى الماضى ضدهم تفوق الحصر والوصف . ولكنه ارتدى شيئاً من ملابس موفات ، وذهب معه كخادم بسيط . وإذ وصلا الى قرية معروفة استضافهما بوبرى .. وسأل الرجل موفات : « من أنت ؟ » .

قال : « أنا موفات »

— « هل أنت خياله ؟ »

— « لست خيالا بل أنا انسان حقيقى ! »

— « لا تقترب منى فأنت قد قُتلت ، وقد قتلك افريكانر من زمن طويل ... كما قال لنا شاهد عيان رأى عظامك بعينيه ! ! »

— « لست أنا فقط حياً ، بل ان افريكانر قد تجدد بحيث لا يوجد الآن رجل سلام نظيره بين كل القبائل »

— « ان كان ما تقول حقاً فكم أرجو أن أراه قبل أن أموت ! ! أنا مستعد أن أسافر إلى أية جهة لأراه بالرغم من أنه قتل عمى !!! »

— « لا لزوم للسفر الطويل ... فهذا افريكانر الجالس بجانبي » - فقفز الرجل من مكانه كأنه بوغت بصاعقة وقال:

— « أحقاً أنت افريكانر ؟ »

فوقف الرئيس الأفريقى على قدميه وانحنى بكل تأدب وقال : « نعم أنا هو !! ».

فقال الفلاح البويرى بكل خشوع :

« يا ألهى ما أعظم أعمالك !! وأى شىء يعجز أمام قوة نعمتك ؟؟ »

وعند وصولهما إلى مدينة رأس الرجاء الصالح فعوضا عن أن يوضع افريكانر فى السجن الذى كان مستعداً له ، استقبله اللورد تشارلس سومرست الحاكم بكل حفاوة غير مصدق عينيه . وعند رجوعه أهداه عربة بخيولها لترجع به إلى مضاربه . وقد حمل فيها امتعة المستر موفات إلى « لا تا كار » مركز عمله الجديد .

وفى مدة الأربع سنوات التالية بذل افريكانر كل جهده فى تبشير شعب أفريقيا ، ثم انتقل إلى ديار الراحة !!

وقد وصف أيام افريكانر الأخيرة ، أحد القسوس الويسليين فى رسالة للدكتور فيليب بتاريخ ٤ مارس سنة ١٨٢٣ يقول فيها :

لما وجد (الرئيس) ان النهاية قد دنت دعا إليه قومه وقال لهم : « إننا لسنا بعد كما كنا متوحشين ، بل نحن اناس نعترف أننا قد تعلمنا مبادىء الانجيل ، فلنسلك بحسبها . عيشوا فى سلام مع جميع الناس إذا امكنكم ذلك . كونوا جميعاً متحدين كما كنتم منذ عرفتكم . كونوا مخلصين لأى معلم يرسل اليكم واعتبروه كأنه مرسل من الله . أن حياتى الماضية ملوثة بالدم، ولكن يسوع سامحنى ، وأنا الآن ذاهب اليه فى السماء ... احترزوا أن تسقطوا ثانية فى الشرور التى قد تبتم عنها ... بل أطلبوا الله فيوجدينكم !؟»

٣١

البحث عن الله

« أسألوا تعطوا . أطلبوا تجدوا(مت ٧ : ٧) »

قال سيدنا اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا . وقدسمعنا عن كثيرين سألوا أشياء كثيرة فأعطيت لهم . . من مثل الحياة والصحة والفرج . . . ولكن قصة هذا الصباح عن فتاة سألت غير ما يسأله الناس ونالت ـ أنا أروى لكم القصة بكل اختصار

حدث قبل حركة النهضة سنة ١٨١٢ فى « سكاى » بسنين كثيرة أن فتاة فوق سن الطفولة بقليل امتلأت بالفكر أن الله لا يقيم فى الجزيرة حيث تقيم . وملأها شعور أنها يجب أن تخرج مفتشة عنه !!

فتسللت من البيت وسافرت حتى وصلت إلى شاطىء البحر ، وطلبت أن تعبر إلى البلاد الأخرى . ولم تحفظ موضوعها سراً ، بل خبرت عن غايتها . وظن أهلها أنها قد أصيبت بالجنون ، ولكنهم لم يحاولوا محاولة جدية أن يردوها إلى البيت !؟

وحالما خرجت من « سكاى » بدأت تسأل كل شخص (فايت) أين يمكنها أن تجد الله فإنها لم تجده فى بلادها !؟!

وكان سؤالها مثار تعجب . . ولكن لما كانت هيئتها تنم عن الإخلاص

الجد ، كان كل واحد يحبها إجابة لينة ولم يشأ أحد أن يتدخل فى خيالاتهـــا » .

وأخيراً وصلت إلى (انفرنس) . وكان أول شخص قابلته فى الطريق سيدة ، وجهت إليها سؤالها المعتاد . وقد أثرت حالة الفتاة وسؤالها فى السيدة فسألتها عن أمرها وظلت تناقشها حتى تأكدت انها عاقلة ؟؟

وإذ ذاك قالت لها السيدة : « تعالى معى فربما أمكننى أن آتى بك إلى الله ؟؟، وأخذتها معها إلى البيت ، وفى اليوم التالى كان الأحد فأخذتها معها إلى بيت الله . . . . وهناك . ولأول مرة فى حياتها سمعت (الإنجيل) وقد جاءها بقوة وبركة لنفسها . ومن ذلك الوقت صارت متجددة سعيدة . ومسيحية من أبهج المسيحيين

لقد وجدت منية قلبها ؟

لقد وجدت الله ! ؟ ! !

٣٢

كأس ماء بارد

« ومن سقى أحد هؤلاء ...(مت ١٠ : ٤٢) »

قالت فيبي الصغيرة لأمها :

« ماما ، ألا يوجد عندك شيء أقدمه للعمة « مولى » الفقيرة !! » كانت أم فيبي مسكينة جداً . وكان دولابها فارغاً ذلك الصباح .. فقالت :

« كم أتمنى لو كان عندى شيء يافيبي !! .. هل يمكن أن تفكرى فى شيء؟؟ »

فصمتت فيبي لحظة .. ثم قالت : « ليس عندى غير زهرة .. سآخذ لها زهرة البسلة » وكانت فيبي قد زرعت نباتة البسـلة تحت النافذة . وإذ ازهرت كانت موضوع بهجة الأم والإبنة . ومن هـذه قطفت فيبي زهرة ، وركضت بها فى الشارع ، حتى وصلت إلى عشة العمة مولى .

كانت العمة مولى عجوزا مريضة مسكينة ، وقد انطرحت على الفراش سنة كاملة ، تألمت فيها آلاما قاسية . وفى عصر ذلك اليوم زارتها سيدة ، ولاحظت زهرة البسلة فى إناء « مشروخ » بجانب فراش المرأة ..

وقالت مولى للسيدة — وهى تشير بابتسامة شاكرة إلى الزهرة — :

« انظرى هذه الزهرة الجميلة ! قد أحضرتها لى هذا الصباح طفلة صغيرة

قالت إنها كل ما تستطيع أن تأتى به !! .. أنا موقنة أنه يملأ نفوسنا ويسرنا أن نعرف أن الناس يفكرون فينا .. وإذا نظرت إلى الزهرة تمر أمام مخيلتى صور الحقول الخضراء ، والبساتين الفيحاء ، وزهر البسلة الذى كنت اقطفه وأنا صغيرة .. نعم بل يجعلنى هذا أفكر فى أن لنا إلهاً عظيما . فإنه إذا كانت تلك الزهرة الصغيرة لم تخرج عن دائرة عنايته ، فهل يمكن أن أخرج انا عن دائرة تلك العناية ؟؟ »

وفاضت عينا السيدة الزائرة بالدموع ، وقالت بعد صمت :

« إذا لم يكن لك إلا زهرة لتعطيها اعطها ، واذكرى أيضاً كلمات الفادى : « ان كأس ماء بارد إذا أعطى بالزوح المسيحى فلن يضيع أجره !!! » .

٣٣

رد الجميل

« بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم مت (٧ : ٢) »

أرغب قبل أن أحكى لكم حكاية الصباح أن اسألكم بعض الأسئلة وأرغب أن أسمع ردكم واضحاً ..

س ١ — بصفتكم مسيحيين هل يجب ان تعملوا خيراً مع الآخرين كأن تقدموا طعاماً لجوعهم وماء لعطشهم ومالا لفقرهم ؟

س ٢ — لماذا تعملون الخير، هل هو لغرض استرداده من الله أضعافاً مضاعفة ؟؟

س ٣ — ان كان الذى نأتيه هو خير « مجانى » لله فهل معنى ذلك أنه لن يكون له أجره ؟؟

* * *

يسرنى ان اسمع اجابتكم أنكم يلزم ان تصنعوا خيراً لأن المسيح فيكم وانتم لاتبغون اجراً من وراء ذلك ... غير أن الله لابد وأن يكافىء .. ومصداقا لذلك سأروى لكم القصة الآتية : —

منذ اقل من قرن كانت عربة تسير يومياً بين «جلاسجو» و «جرينوك»

بجوار (بيزلى) — فى صباح يوم لاحظت سيدة فى العربة أن ولدا يسير فى الطريق حافى القدمين — وكان ذلك بعد أن تجاوزت العربة (بيشوبتون) فطلبت من السائق أن يقف ليأخذ الغلام على أن تدفع هى ثمن تذكرته !

ولما وصلوا إلى جرينوك سألته عن قصده من المجىء ، فأخبرها أنه ينوى أن يكون بحاراً ... وهو يأمل أن يجد أحد قباطين السفن الذى يقبله . فشجعته السيدة وأعطته قطعة من النقود تساوى نحو اثنى عشر قرشاً وتمنت له النجاح !!

مرت عشرون سنة ، وكانت العربة راجعة إلى جلا سجو عصراً . وإذ اقتربت من (بيشو نتون) رأى أحد ركابها — وكان قبطاناً بحرياً — امرأة عجوزا تسير بكل مشقة وبطء على الأرض ، وقد تجلى تعبها فى أبرز صورة. وطلب من السواق أن يأخذها فى العربة ويدفع هو أجرتها .

وعند (بيشوبتون) وقفت العربة لتغير الخيل فنزل الركاب جميعاً ما عدا القبطان والمرأة العجوز . وانتهزت المرأة الفرصة فشكرته على كرمه معها خصوصاً وقد بلغ تعبها حده !! .

فاجابها : « أنه قد اعتاد أن يعطف على الفقراء والمتعبين وذلك أثر حادثه له وهو ولد فقير ... فإن سيدة كريمة بالقرب من هذا المكان دفعت أجرة ركوبه وأعطته مبلغاً !! .

وقالت العجوز : « نعم إنى أذكر هذه الحادثة فانا هى تلك السيدة ،

ولـكن الأمر تغير فقد ضاعت كل أموالى نتيجة حماقة (ابن ضال) وأنا الآن فى منتهى الفقر » .

وقال القبطان : « شكراً لله . فإنى الآن غنى ، وأنا اتعهد من الآن أنى وورثتى ندفع لك خمسة وعشرين جنيهاً سنوياً مدى الحياة !! » .

ارم خبزك على وجه المياه فانك ستجده .

إن لم يكن قريباً فبعد أيام كثيرة .

٣٤

العطية المرفوضة

« لتكن عطاياك لنفسك(دا ٥ : ١٧) »

آسف أن أقول لكم إن الله يقول مثل هذا القول لبعض المعطين . أرجو الا يقال لك أنت هذا الكلام عندما تقدم لله عطية — ولكنى سأقص عليكم قصة تبين ذلك .

حدث أن مزارعاً عجوزاً حضر اجتماعاً تبشيرياً تكلم فيه عدد من الخطباء . ونبروا فيه كثيراً على كلمات الآية الموجودة فى لو٦:٣٨ «أعطوا تعطوا .. كيلا جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون فى احضانكم . لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم » ... ومع أنه لم يكن معتاداً على العطاء ومع أنه لم يكن يحب المشروع الذى طلب منه أن يساعد فيه ، إلا أنه بسبب وجود شيء من الإيمان فى قلبه نحو مواعيد الله ، ويقينه فى أمانة وصدق المتكلمين . وبسبب انتظاره لما يعود عليه من الخير إذا أعطى ، قرر — بعد تردد كبير جداً وكفاح نفسى هائل — أن يضع شلناً فى صندوق العطايا !!! .

وفيما هو فى طريقه إلى البيت كشفت أشعة القمر الجميلة عن شلن

مطروح على ارض لم يتأخر صاحبنا بالطبع عن التقاطه وضمه إلى كيس نقوده .

ولم يطل به المقام بعد وصوله إلى مسكنه حتى كان قد خبر أهله وعماله عن حديث خطباء الاجتماع ونبر على أن كل متكلم قال إنه إذا أعطى أحد شيئاً لله فإن الله ضامن لإعطائه عوضاً عن تقدمته . وقال: «أنا متيقن أن ماقاله أولئك السادة صحيح لأنى وضعت شلناً فى طبق التقدمة وفى رجوعى إلى البيت عثرت على شلن على الطريق ، ولذلك ترون ان الله عوضنى عن عطيتى ؟»

وكان أحد خدام الرجل يسمع بكل إصغاء لحكايته دون أن ينطق بكلمة ، ولكنه تكلم أخيراً قال : «هل تظن ياسيدى ان فهمك للمسألة صحيح ؟ سأخبرك ما أظنه أنا ، أنت ترى أنك أعطيت الشلن لأنك انتظرت أنه سيعطى لك مرة أخرى اتماماً للوعد : اعطوا تعطوا » . ولولا ذلك ما كنت تدفع بالمره . ولكنك تعلم ياسيدى ان الله يحب المعطى المسرور ، ولذلك لم يحب عطيتك . ولم يشأ أن يأخذ تقدمتك على هذا المبدأ . ولذلك طوحها وراءك على الطريق فسبقتك إلى المكان الذى وجدتها فيه »

٣٥

الـكلمات اللينة

« طوبى للودعاء (مت ٥ : ٥) » .

كان « أنطون بلانك » أحد أوائل متجددى «فيلـكس ناف» — وكان غيوراً على ربح النفوس للمسيح . أما أعداء السيد فغضبوا من نجاحه وقاوموه بالاستهزاء به وتهديده .

وفى ليلة ما فيما هو عائد من اجتماع دينى تبعه إنسان تقدم نحوه وبكل ما فيه من غل وحقد وعداوة ضربه على رأسه ضربة قاسية جداً كاد يسقط تحتها صريعاً !!

ولـكنه تمالك نفسه وأجاب بكل هدوء : « الله يسامحك » — وأجاب الرجل بغضب : « إذ لم يسرع الله بقتلك فسأقتلك أنا » .

وبعد أيام حدث أن أنطون قابل نفس الشخص فى طريق ضيق لا يكاد يسع مرور شخصين معاً . فقال فى نفسه : « لابد وأن تنالنى منه ضربة أخرى ! » غير أنه اندهش عند ما اقترب من الرجل إذ مد الآخر يده إليه وقال بصوت مضطرب : « هل تسامحنى يامستر بلانك وتعفو عن سابق خطأى ؟ »

وهكذا استطاع تلميذ المسيح بكلمات السلام اللينة أن يصير من عدوه صديقاً محباً . . . .

٣٦

الطاعة الحرفية

« من ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضاً (لو ٦ : ٢٩) »

حدث من سنوات كثيرة أن أحد الخدام المشهورين — وقد كان من أبطال الرياضة البدنية فى شبابه — حدث أنه كان عائداً إلى وطنه حالا عقب رسامته حين قابله فى الشارع الرئيسى رفيق قديم له ، كان قد سبق أن تشاحن معه وصرعه مرات كثيرة فى أيام شره ... وقال الرفيق هل حقاً « تجددت » كما يقولون ؟ وأجاب القسيس : « نعم »

حينئذ قال الآخر : « فهل تعرف أن الكتاب يقول : « من ضربك على خدك فأعرض له الآخر أيضاً » . . ودون أن ينتظر جواباً قال : « خذ هذه إذن » . . ولطمه على وجهه لطمة هائلة — وتأذى القس كثيراً ولكنه قدم خده الآخر حسب وصية الكتاب . وبلغت القحة بالآخر أن لطمه على خده الثانى لطمة أقوى من الأولى !!

وهنا قال القس : « هنا تنتهى مطالب الكتاب منى ، فقد نفذت الوصية !! » ثم خلع سترته وانهال على غريمه بـ « علقة » سخنة جداً كان يستحقها ولا شك . .

ولكن هل حفظ القس وصية الكتاب حقاً ؟ لقد حفظ حرف الوصية، ولكنه نقض المبدأ — نقض روح الوصية!!

قارن هذا بالقصة الآتية واحكم..

كان أحد ضباط الجيش العظام مستنداً على جدار فى حوش ابنية الأورطة. واقترب منه أحد خدامه العسكريين ظاناً أنه أحد زملائه. وتسلل خلفه بكل هدوء، ولكمه على ظهره لكمة هائلة — وإذا التفت الضابط إلى ضاربه غاص الخادم فى عرق الخجل وقال: «عفوك ياسيدى فقد ظننتك جورج» وقال الضابط بكل لطف: «وهل من اللازم أن تضرب جورج بهذه الشدة ؟».

ترى من من الاثنين نفذ وصية المسيح .. القس الذى نفذ القانون حرفيا أم الضابط الذى نفذ روح الوصية لا حرفها؟؟

لقد نقض القس الوصية بحفظها، وحفظها الضابط بنقضها!!

٣٧

اليقظة المخيفة

« استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح (اف ٥ : ١٤) »

إنه أمر مؤسف جدا أن ينام التلميذ فى المدرسة .. وفى وقت المذاكرة ونحن دائما ننصح الأولاد والبنات أن يسهروا .

ولكنى سأحدثكم هذا الصباح عن نوم آخر . الناس فى العالم يشبهون قوما مسافرين بل هم مسافرون فعلا . كل لحظة وكل ساعة وكل يوم وكل شهر وكل سنة خطوات تقربنا إلى ختام سفرتنا . وعدونا الذى هو الشيطان يسلط علينا قواته وشراكه وسمومه ، خصوصا إن كنا غير منتبهين ولذلك يوصينا الله ان نكون مستيقظين . أما الذين ينامون هنا فسيستيقظون بيقظة مخيفة هناك .

واذكر لكم بهذه المناسبة القصة الآتية :

« منذ سنوات قليلة فى إحدى مدن سويسرا سار بعض العمال مبكرين إلى عملهم . وإذ كانوا يخترقون أحد الشوارع أبصروا شبحا أبيض على قمة بيت عال . فتساءلوا ما عسى أن يكون ؟؟ .

كانت سيدة فى قميص النوم وكانت جالسة على حافة الحاجز تتطلع إلى الإسفل بغاية السرور وعلى فمها ابتسامة الوثوق التام . كانت من الذين يسيرون وهم نيام .

قامت من نومها دون أن يدرى أحد ، وصعدت حتى جلست فى المكان الذى رؤيت فيه . وكانت تتطلع بسرور إلى أسفل حالمة . وكانت أحلامها بلا جدال أحلاماً سارة ؟

لم يعرف أولئك العمال ماذا يعملون لكى ينقذوها من مكانها الخطر وفيما هم يتشاورون معاً فى الإمر أشرقت الشمس وسطع فى عينيها شعاع لامع فاستيقظت : ورأت مكانها وتطلعت لحظة واحدة فيما حولها ثم سقطت على رأسها .. وماتت للحال .. كانت يقظة مخيفة !!

أيها الخاطى : إن كنت بعيداً عن يسوع الآن ويوم مجيئه قد حان .. آه .. ماذا يكون أمرك لو أن أول شعاعة من نور ذلك اليوم كانت هى أول يقظة لك .. وكانت يقظة متأخرة !!

٣٨

سيقومون

« ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين (٢ كو ١٥ : ٢) »

عندى اليوم قصتان أقولها بمناسبة عيد القيامة اليوم — وسأقولها بدون شرح أو تعليق ..

— ١ —

كان أحد المحامين متديناً جداً ، ولكنه فقد دينه كله بسبب وفاة زوجته الجميلة أثناء الوضع . وكان كثيراً ما يسأل بحنق : « بأى حق يسلبنى الله زوجتى ؟ » . وشيئاً فشيئاً أصبح كافراً . وكم حدثت مناقشات حادة بينه وبين الآخرين بهذا الخصوص ، وكم رنت فى جوانب بيته رداً على أسئلة « الخلود » الكلمات . « إنك إذا مت فقد مت . مت كمسمار الباب » .

أما ابنه الذى وضعته زوجته قبل موتها بقليل فقد تربى فى رعاية مربية ومع أنه لم تكن له فرص كثيرة يرى فيها والده ، فقد سمع مرات كثيرة مناقشاته الحادة .

وقد طلبت المربية يوماً أن ترى المحامى ، ولما قابلته قالت : « لقد بدأ

الولد يحلف ويشتم ... ويلزم أن تكلمه فى ذلك ،وطلب منها المحامى أن ترسله إليه فلما جاء الغلام إلى أبيه ، رأى فيه الوالد صورة «لوسى» الزوجة العزيزة فرق قلبه ، ولكنه كلمه بخشونة عن غلطته وأمره بالذهاب ...على أن المربية جاءت إلى المحامى مرة بعد أخرى تحدثه فى عادات الولد الردية وأخيراً فكر الرجل فى طريقة يؤثر بها على ابنه . فقال له : « يابنى لو كانت أمك عائشة لما قبلت أن تسمعك تتحدث كما تتحدث الآن » .

وأجاب الولد بتهكم : «ولكن أمى ليست عائشة . هى ميتة ميتة كمسمار الباب » .

وقد صدمت هذه الكلمات قلب الرجل الحزين ، وتأثر كل ما فيه احتجاجاً على هذه الكلمات التى خرجت من فم ابنه .. ابن زوجته العزيزة» وثب على قدميه وصرخ : «هى ليست ميتة .. اسمع يابنى، أمك حية، وهى تسمع كل كلمة تقولها »

وصمت المحامى برهة ثم قال :

«لقد كنت شريراً أحمق .. وكثيراً ما تكلمت غير الحق . تعال يابنى .. لنبدأ من الآن أن يرى كل منا الآخر أكثر مما رأينا قبلا . لنعش بكيفية تليق بها »

— ٢ —

وهناك القصة الثانية : . .

رجعت من المقبرة بعد أن دفنت ابناً لها فى الرابعة عشرة من عمره . وبعد أسبوع ذهبت لتدفن طفلتها الصغيرة التى أخذت عدوى الدفتيريا من أخيها . ولم يبق للسيدة إلا طفلتها البالغة الثالثة من عمرها .

ذهبت إلى الكنيسة يوم عيد القيامة ، وليس على ثوبها علامة الحداد ، كان وجهها شاحباً ، وكذلك وجه زوجها ولكنهما كانا مملوئين بالرقة واللطف

لما رتلت الجماعة الترنيمة التى فيها « كل قوات الموت اجتمعت عليه ، ولكنه انتصر عليها » .. رتلت معهم . ذهبت لتعلم صف مدرسة الأحد ، وذهب زوجها لصفه .. والناس يتهامسون :

« ياله من عجب! يالها من قوة ؟! »

وبينما الشعب فى طريقهم إلى بيوتهم ، قال ولد لأبيه :

أظن يا أبى أن مستر ومسز ل . يؤمنان بالحق ؟

— « يؤمنان بماذا ؟ »

— « يؤمنان بالقيامة .. قيامة المسيح يا أبى ألا ترى مسلكهما ؟ »

٣٩

والدان

« لتكن هذه الكلمات ... على قلبك
وقصها على أولادك... (تث ٦:٦ — ٧) »

ما رأيكم يا أولادى فى إنى أحدثكم عن الوالدين لا عن الأولاد .
طبعا أنتم تحبون والديكم وأنا أرجو أنكم تقصون ماسأقوله الآن ،عليهم .
وقصتى عن والدين

الأول يقيم بجانب نهر المسيسبى وكان عظيم الثراء . وفى أحد الأيام حملوا ابنه الأكبر فى حالة إغماء شديد . وعملوا معه كل ما تستطيع قوى الانسان أن تعمله لإرجاعه الى صوابه .. لكن عبثا .

ومر وقت قاس ومرّ استيقظ الولد عقبه . وقال الأب فى همس :

« يا بنى يقول الطبيب أنك ستموت !! » وأجاب الولد :

« أبتاه .. أنك لم تصلِّ قط من أجلى ! فهل تصلى الآن من أجل نفسى الهالكة ؟! »

بكى الوالد . . لم يسبق له حقاً أن صلى من أجل أبنه . كان غريبا بالنسبة لله .

وبعد وقت قليل انطلقت نفس الولد المسكين إلى الأبدية المظلمة دون أن يصلى من أجلها —

من ذلك الوقت كان الوالد يقول إنه مستعد أن ينزل عن كل مايملكه

نظير عودة ابنة ليقدم من أجله صلاة قصيرة !! .

* * *

أما الوالد الثانى فيخالف الولد الأول تماما . كان له هو الآخر ابن محبوب . وعاد فى أحد الأيام فوجده على أبواب الأبدية . كانت أمه تبكى وهى تقول :

« ابننا يحتضر ... لقد ساءت حالته . أرغب أنك تدخل وتراه ! ! » .

دخل الوالد إلى غرفة الولد ، ووضع يده على جبين الولد ، وأحس بالعرق البارد المتجمع ويد الموت الباردة تحسس نحو أوتار الحياة !

وقال الآب .

« هل تعرف يا بنى انك ستموت ؟ ؟ »

— « حقا ؟ هل هذا هو الموت ؟ هل تظن حقا أنى سأموت ؟؟ »

— « نعم يا بنى : لقد دنت نهايتك على الأرض !! »

— « وهل سأكون مع يسوع هذا المساء يا ابى ؟؟ »

— « نعم ستكون مع المخلص فى الحال »

— « بابا ... لا تبك لأنى حالما اصل إلى هناك ساذهب (على طول) إلى يسوع ، وأخبره أنك كنت طول حياتك تسعى للإتيان بى اليه ! ! » .

* * *

أعطانى الله ثلاثة أبناء . ومن الوقت الذى يمكن أن اتذكره، ارشدتهم إلى المسيح . وكم افضل انهم يحملون هذه الرسالة الى يسوع . انى حاولت أن أهديهم اليه !! افضل ذلك على كل أكاليل العالم .

أفضل أن أهديهم إلى يسوع من أن أعطيهم كل غنى العالم !!

٤٠

آراء عن الصلاة

« وأنا أقول لـكم اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ،
اقرعوا يفتح لـكم (لو ١١ : ٩) »

توجد فلسفة جديدة — يا أبنائى — هذه الأيام عن الصلاة . ومع أن كلمة « فلسفة » كلمة جميلة وكل واحد منكم يجب أن يكون « فيلسوفاً » إلا أن الفلسفة التى أحدثكم عنها فلسفة غير طيبة . . خلاصة هذه الفلسفة : « أن الصلاة تمرين صحى روحياً لأنها تعلمنا الخضوع لله . إن الله لا يتغير قصده بالنسبة لنا . ولن نحصل منه على شىء مهما طلبنا ولـكن ... لا بأس ... عليك أن تصلى فإنه تمرين صحى !! »

وسأضرب لـكم الأمثال عن ذلك :

فقدت أم فى المدينة أثر ولدها وها هى تسير من مكان إلى مكان باحثة عنه . أنت تعرف أن الولد قد مات ولـكنك تقول لها فتشى واسألى ... إنه تمرين صحى !! . . يالها من سخرية حقيرة أن يتكلم أحد بهذه السخافة !!

أو افرض أننا فى ... الأحسن أن أنقل لـكم المثال كما قاله مستر مودى ... قال

افرض أننا فى قلب الشتاء وقد هبطت درجة الحرارة إلى ما دون

الصفر — وأن أحدهم سقط فى الثلج مدة أربع وعشرين ساعة وأنه استطاع أن يصل إلى بيتى فى نصف الليل — وهو يدق الجرس وأنا أتجه إلى النافذه وأقول : « من هناك ؟ ؟ »

« أنا يامستر مودى . . . لقد كنت مدة أربع وعشرين ساعة على شاطىء جليدى ، وأنا الآن أموت فهلا ساعدتنى ؟ ؟ »

وأنا أجيب :

« إن عندى قانوناً محدداً . . . إنى لا أفتح بابى إلا فى الصباح . وإنما من جهتك أنت استمر قارعاً على الباب فان ذلك يفيدك . إنه يعطيك تمريناً صحياً ! ! »

هذا مثال جميل عن الكيفية التى يريد منا بعض الناس أن نفهم الصلاة بها : ولكنها فلسفة لا نؤمن بها !

قال المسيح : « اسألوا تعطوا »

حدث أثناء الحرب أن رجلا اقترب من مستر مودى فى ناشفيل . وكان رجلا ضخم الجثة طويلا وكان كل جسمه يهتز ويصرخ كالطفل ، كما لو كان قد أصيب بخبال فى عقله — أخرج الرجل مكتوباً باليا قديما وقال :

« ياحضرة القسيس ، هل تقرأ هذا ؟ »

كان خطابا من أخته تخبرة فيه أنها فى كل يوم عند غروب الشمس كانت تجثو على ركبتيها وتصلى : « اللهم احفظ أخى ونجّه » ..وقال الجندى:

« ياحضرة القسيس لقد حاربت فى عدة معارك ؛ وكنت أمام

فوهة المدفع دون أن أضطرب ، ولكنى فى اللحظة التى قرأت فيها هذا الكتاب اضطربت . أظن أنى أحقر تعس فى جيش « كمبرلاند »

أخذت صورة للكتاب ، وذهبت إلى قسم آخر من الجيش على مسافة ثلاثين ميلا . وفى اليوم التالى وقفت أمام الجنود وقرأت لهم المكتوب ، وأخبرتهم أن الرجل نجا بسبب صلوات أخته التى قدمت من مسافة ستمائة ميل فلما ختمت حديثى قام شاب بهى الطلعة وقال :

« يذكرنى هذا الخطاب بآخر مكتوب جاءنى من أمى . قالت فيه : عند ما يصلك كتابى يابنى ؛ أرجو أن تذهب خلف شجرة وتصلى لإله أمك لكى يجددك . والآن يابنى أرجو أن تكون مسيحياً !!

قال: « فوضعت المكتوب فى جيبى بدون اكتراث وأنا أظن أنه سيصلنى منها مكاتيب كثيرة نظيره . ولكن بعد أيام قليلة جاءنى خبر أنها ماتت . . . وحز الخبر فى نفسى فنفذت وصيتها وأسرعت إلى شجرة ركعت خلفها وصرخت لإله أمى . وسمع الله صلاتى . . إلى أن قال : وهذه هى أول مرة أعترف فيها علناً بيسوع المسيح . . . » .

كان شخصان . . . أولهما كانت أخته تصارع من أجله على مسافة ستمائة ميل . والثانى جاءت به أمه جاثياً إلى ملكوت الله .

يا أحبائى الأعزاء لا تكفوا عن الصلاة ! لا تفشلوا !!

الله يطلب أن تصلوا ولا تملوا !!

٤١

صرخت فاستجاب

« إلى الرب فى ضيقى صرخت فاستجاب لى (مز ١٢٠ : ١) »

حدثتكم الاسبوع الماضى عن بعض الافكار الخاطئة عن الصلاة وسأقص عليكم بعض اختبارات المصلين الذين استجيبت صلواتهم :

— ١ —

أما أول هؤلاء فيحدثنا بالآتى : —

قال : « وصل ابنى الأكبر إلى آخر نسمة وقال الطبيب أنه لن يعود إلى وعيه . وإذ ذاك أرسلوا إلىّ فوجدت الولد ممدداً فى حجر جدته . وكان يبدو كهيكل عظمى !!

صليت بحرارة إلى الله لكى يحفظ حياته وعقب الصلاة قمت من جثوى وقلت لزوجتى : « لا داعى للانزعاج من أجل الصبى فقد حقق الله لى أنه سيشفيه » . وفى الصباح استيقظ الولد فى حالة جيدة . ولم تظهر عليه أية علامة من علامات التعب وهو اليوم شاب طوله خمسة أقدام وتسع بوصات !! » .

— ٢ —

شفاء مجنونة . . . .

أما الثانى فيقص لنا القصة الآتية قال :

« وعظ مبشر مشهور فى اجتماعات نهضة مدة أسبوع كامل عن الموضوع

هل انقضت أيام المعجزات، وأعلن فى أثناء الأسبوع عن يوم صوم وصلاة.

وفى أثناء الاسبوع طلب من المبشر أن يأتى إلى غرفة جانبية، وهناك لتف حوله عدد من النساء وقلن له : « إنهن نتيجة اقتناع حقيقى، قد تعاهدن على الصلاة من أجل أخت فى مستشفى المجاذيب قطع الاطباء الامل من شفائها . وهى أخت ذات قيمة كبيرة لكنيستها وعائلتها . وهن لذلك لن يكففن عن الصلاة من أجلها إلى أن تشفى !! »

وفى نفس ذلك الأسبوع عاد عقلها إليها وقال الطبيب أنه لا يستطيع أن يجد تعليلا لذلك !!

— ٣ —

صلاة تعبر ٥٠٠ ميل

وثالث الامثلة التى أقدمها قاله أخ عن أخته المريضة . . قال :

« جاءنى تلغراف أن أختى التى تقيم على مسافة ٥٠٠ ميل منى ستجرى لها عملية جراحية خطرة ، وأن الأمل فى نجاح العمليه لا يزيد عن واحد فى المائة — وصليت لله من أجلها ثلاث ساعات متوالية . وقمت من صلاتى وكلى يقين أنها ستحيا !!

وفى اليوم التالى دعيت إلى محادثة تليفونية خارجية وقال العامل أنها أخطار بوفاة ، ولكنى رفضت أن أصدق ذلك ، على أنهم كانوا يطلبون منى أن أحضر فى القطار التالى فقد تحسنت الحالة وأختى تطلب أن ترانى .

وكتبت أمى لى كتاباً تقول إنه فى الساعة ٥٫٣٠ مساء من اليوم الذى

صليت فيه فتحت أختى عينيها وقالت « أماه ! لقد صلى أخى من اجلى والله أخبره انى سأشفى » . ثم غابت عن الوعى وقال الطبيب : « أن حديثها كان من نوع هذيان الحمى (خطرفة) . وكنا ننتظر طول الليل أنها ستموت لحظة بعد أخرى !!

وفى الساعة السادسة فتحت عينيها مرة أخرى ، وطلبت ماء ... ... ثم قالت : « أرسلوا إلى « بودى » ـ وهو اسمى المنزلى ـ لقد صلى من أجلى وسأشفى ! »

كان هـذا من تسع سنوات ... ولا زالت أختى عائشة إلى الآن !!! »

٤٢

أخى

« اين .. أخوك ؟ (تك ٤ : ٩) »

كانت الزوبعة تعصف بشدة ، عندما سمع صوت صراخ : « سقط إنسان من سطح السفينة ! ! »

ورؤى شبح إنسان يواجه الأمواج المزبدة فى طريقه إلى الشاطى . ولكن الأمواج دفعته بعنف إلى الداخل . وقبل أن تدلى قوارب النجاة فصلت المياه المضطربة بينه وبينها

وقد ارتفع صوت صراخه فوق زئير الأمواج وقرقعة العاصف وقد اتجهت الأنظار الزائغة للجميع إليه تعلو الوجوه صفرة والصدور إضطراب

وكافح البحارة فى قواربهم كفاح الجبابرة ، وكانت أذرعهم القوية تضرب بالمجاذيف فى الماء بآخر ما فيها من قوة وحياة ... ولكن بدون فائدة ... ورؤى الغريق يغوص فى البحر العميق ..

وشق السكون المحيط صرخة حارة ، وارتفعت فى الجو ذراعان تتوسلان بمرارة :

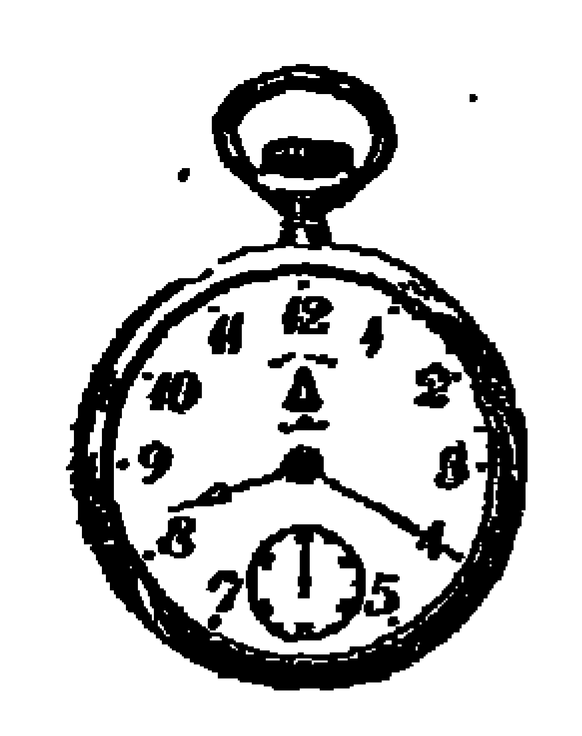
« انقذوه .. انقذوه .. ألف جنيه لمن ينقذه .. »

ولكن عينه الزائغة لم تستقر إلا على البقعة حيث كانت الأمواج المزبدة تعصف فوق الغريق المسكين — كان ذلك الصارخ هو قائد السفينة وكان الغريق « أخاه »

يجب أن يكون هذا شعور مختلف الصفوف فى جيش قائد خلاصنا العظيم ..

« انقذه . هو أخى » .

الحقيقة هى أن الناس لا يؤمنون بالمسيحية لأنهم يرون أننا لسنا جادين فيها . عندما يرانا الناس جادين فى كل ما نقوم به من أجل الله إذ ذاك يضطربون ، سيقوم الرجال والنساء ويسألون . . . عن الطريق إلى السماء ..



٤٣
لماذا تأسفوا

« وتعجب من عدم إيمانهم (مر ٦ : ٦) ».

سأقص عليكم هـذا الصباح قصتين توضحان لكم النتائج السيئة لعدم الإيمان — وقد حدثت القصة الأولى فى مدرسة أحد — أما الثانية فقـد حدثت .. أم تفضلون أن أحكى الحكايتين لتعرفوا كل شيء بدون تعليق منى ؟ ! .. إذن اسمعوا القصة الأولى وبعدها الثانية أن بقى لنا وقت

— ١ —

أراد مدرس فى مدرسة الأحد أن يفهم التلاميذ عن مجانية عطية الله . فأخرج من جيبه ساعته الفضية وقدمها لأكبر التلاميذ فى صفه وقال :

« ستكون هذه الساعة لك إذا قبلتها ! »

ونظر الولد ببلاهة إلى المعلم إذ ظن أنه يسخر منه فلم يمد يده !!

وقدم المعلم الساعة للتلميذ الذى يليه قائلا :

« خذ هذه الساعة أنها لك !! »

وافتكر الولد أنهم سيضحكون منه إذا مد يده ولذلك لم يتحرك !!

ودارت الساعة على كل ولد ، ولم يمد أحدهم يده إلى أن جاءت

إلى أصغر ولد فى الفصل . وهذا مد يده ، وأخذ الساعة ووضعها فى جيبه وضحك الأولاد جميعهم . كانوا ينتظرون أن يسحب المعلم الساعة من جيب الولد : كان رأيهم أن الولد مغفل لأنه صدق أن المعلم يعطيه ساعته !!

ولكن المعلم قال :

« أنا شاكر لك يابنى لأنك صدقت كلامى . الساعة الآن ملكك . اعتن بها . املأها « كل مساء » .

ونظر بقية التلاميذ باندهاش وقال أحدهم للمعلم :

« لاشك أيها الأستاذ أنك لا تقصد ذلك ! أنت لا تقصد أنه يأخذها « على طول » !!؟ »

وقال المعلم :

« بل أقصد ذلك . ليس عليه أن يردها لأنها صارت ملكه !! »

— « وأسفاه . لو كنت أعلم ذلك لكنت أخذتها !!! »

إن الله يمد لك يده مملوءة بالعطايا فلا تسىء إليه بعدم الإيمان ... آمن

أظن أنه يجدر أن نكتفى بهذه القصة اليوم ونرجىء القصة الثانية للأسبوع الآتى إن شاء الله !!

٤٤

لم يصدقوه

« ووبخ عدم ايمانهم (مر ١٦ : ١٤) »

طبعاً انتم مشتاقون لسماع القصة التى وعدتكم بها الاسبوع الماضى ... وأنا أرويها لكم بكل اختصار

— ٢ —

تجدد رجل فى أوربا منذ سنوات عديدة . واحب الانجيل بدرجة جعلته يفكر أنه يجب أن يذهب ويكرز به . وفعلا قام . واجتمعت حوله جماهير كثيرة لتسمعه من باب الفضول فقط . وفى الليلة الثانية كان عدد الحضور أقل ! ! وفى الليلة الثالثة قلوا كثيراً — فلما جاءت الليلة الرابعة كان المكان خالياً تقريباً

ولكن شوق الرجل للكرازة كان عظيما جداً فلم يثنه عدم حضور أحد لسماعه عن الاستمرار . . فارسل نشرات فى كل المدينة يعلن لجميع المديونين انهم إذا أتوا إلى مكتبه فى يوم عينه قبل الثانية عشرة ومعهم براهين دينهم فانه يدفع ذلك الدين ! !

انتشرت هذه الاخبار فى كل المدينة ، ولكن الناس لم يصدقوها !

قال رجل لجاره :

— « جون هل تصدق أن الرجل يدفع ديوننا ؟ ! ؟ »

— « بكل تأكيد لا . هذه نكتة بايخة .. » .

جاء اليوم المعين ، وبدلا من ان يرى الرجل زحاماً فظيعاً لم يرا حداً !! ـ

اندهش الرجل من عدم وجود زحام .. واليس امراً مدهشاً الا يكون زحام عند باب الملكوت ، للخلاص من ديوننا إذ يخلص المرء مجانا ؟ ! ؟ ـ

ونحو الساعة العاشرة كان رجل يتمشى أمام باب المكتب . نظر هنا وهناك كما لو كان يراقب الطريق ليرى أن كان أحد ينظره ! !

فلما اقتنع بان لا أحد يراه دخل وقال :

« لقد رأيت اعلاناً فى المدينة أنه إذا جاءك أى مدين فى ساعة معينة فانك تدفع قيمة دينه .. هل هذا صحيح ؟ »

وأجاب الرجل :

« نعم هذا صحيح ؟ هل أحضرت معك المستندات اللازمة ؟ ! ؟ »

— « نعم ! ! » .

وبعد أن دفع له قيمة الدين قال :

« أجلس فانى أريد أن أتحدث معك » . وظل يتحدث معه إلى الساعة الثانية عشرة . وقبل أن تدق الساعة حضر أيضاً إثنان ودفعت ديونهما ـ

وصرف الرجل الثلاثة رجال عند تمام الساعة الثانية عشرة ...

وكان بعض الناس واقفين عند الباب فسألوا : « هل دفع ديونكم حقاً ؟ »

ــ « نعم لقد كان الكلام حقاً فدفع كل ديوننا !! »

ــ « إذن لنذهب نحن أيضاً ونطلب منه دفع ديوننا !! . . » .

وذهبوا ولكن الوقت كان قد فات !! مضت الساعة الثانية عشرة ــ إلى كل خاطئ مفلس ــ ولا يمكن أن يوجد فى العالم خاطئ الا وهو خاطئ مفلس ــ إلى كل خاطئ مفلس نقول :

« لقد جاء المسيح ليدفع ديونك !!

هل تصدق ؟ ؟ » !

٤٥

انتبه لشغلك

« لانه أن كنت ابشر فليس لى فخر إذ الضرورة
موضوعة على فويل لى أن كنت لاأبشر (١ كو ٩ : ١٦) »

ذكر مستر د.ل. مودى فى مذكراته القصة الاتية أرويها لكم كما رواها:
منذ سنوات كثيرة لما كنت عائداً إلى بيتى فى شيكاغو فى إحدى الليالى ابصرت رجلا متكئاً على عامود مصباح الشارع فوقفت بالقرب منه وربت بيدى على كتفه وقلت :

« هل أنت مسيحى ! »

« فانفجر الرجل غاضباً ، ومد قبضته نحوى ، فايقنت أنه سيصيبنى بلكمة شديدة !! »

قلت له : « أنا آسف إ زعلتك » ، ولكنى ظننت إنى اسأل سؤالا مقبولا ؟!؟ »

فقال بصوت كالزئير : « روح شوف شغلك !! »
فاجبت : « ولكن هذا هو شغلى !! »

وبعد ثلاثة شهور فى صباح يوم اشتدت برودته ، طرق أحدهم



د٠ل٠مودی

بابى وسألت من الطارق فأجاب : « رجل غريب » !! فسألت ، ماذا تريد؟»
فاجاب : « اريد أن أكون مسيحياً ! »

فتحت الباب، ولمزيد اندهاشى، كان الطارق ذلك الرجل الذى شتمنى عندما حدثته وهو متكىء على عمود المصباح ;!

قال : « أنا متأسف جداً . لم يكن فى قلبى سلام منذ تلك الليلة . لقد لازمتنى كلماتك وأخافتنى . لم استطع أن أنام الليلة الماضية ، وافتكرت أن آتى إليك لتصلى من أجاى !! »

قبل ذلك الرجل المسيح وفى نفس اللحظة سأل : « ماذا استطيع أن أفعل من أجله ؟ »

وظل يعلم فى مدرسة الاحد إلى أن شبت الحرب فذهب ، وكان من اوائل الذين اصابتهم قذائف الحرب !!

ولكن شكراً لله أنه لم يمت قبل أن شهد للفادى !

٤٦

يطلب الراحة

« كراع يرعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها . . (ش ٤٠ : ١١) »

كان لسيدة انجليزية طفل مريض . ولم تكن حالته فى أول الأمر خطرة. أو أنها على الاقل لم تبد كذلك . غير أن الطبيب لما فحصه فى إحدى زياراته قال أن الأعراض غير مطمئنة . واخذ الأم جانباً وقال لها أن الطفل لن يعيش . وبالطبع كان الخبر صاعقة على الأم المسكينة . وبعد خروج الطبيب ذهبت الأم إلى غرفة الولد ، وجعلت تتحدث إليه محاولة أن تنبه ذهنه إلى الابدية ..

قالت : « هل تعرف ياعزيزى أنك ستسمع حالا موسيقى السماء ستسمع أغانى أحلى من أى شىء سمعته على الأرض. ستسمع ترنيمة موسى والخروف. وأنت تحب الموسيقى كثيراً .. ألا يكون هذا شيئاً جميلا ياعزيزى؟!؟ » .

وحوّل الطفل المريض وجهه وقال وهو يتململ من شدة الألم : « أنى تعب جداً ، ومريض جداً .. وأنا أظن أن الموسيقى ستزيد تعبى!! »

وعادت الأم تقول : « إنك سترى يسوع، وسترى السرافيم والكروبيم،

والشوارع المرصوفة بالذهب .. واستمرت تصف السماء حسب أقوال كاتب الرؤيا !! ».

وحول الولد رأسه مرة أخرى وقال : « أوه ياماما . أنا مريض وتعبان بحيث أظن أنى لا أحتمل رؤية كل تلك المناظر الجميلة !! »

وأخيراً حملته الأم على ذراعيها ، وضمته إلى صدرها .. إلى قلبها المحب. وإذ ذاك همس الصبي :

« ماما : هذا ما أطلبه. لو أن يسوع يأخذنى على ذراعيه ويعطينى الراحة!؟! »

ياصديق العزيز : « ألست متعباً من ضوضاء الحياة ؟

تستطيع أن تجد راحة فى حضن ابن الله !!! . »

٤٧

صلوات والدين

« سمعت صلاتك (١ع ٣١:١٠) »

أنا واثق أنكم من يوم أن سمعتم قصة دويت مودى بل قصصه وأنتم ترغبون أن تسمعوا عنه ومنه . . ولذلك سأقص عليكم اليوم أيضاً قصة قرأتها من مذكراته ...

قال : ...

«أذكرانى عندما كنت أعظ فى قاعة الجمعية الزراعية فى لندن كان السامعون جمهوراً عظيماً جداً !!

وكان بين المستمعين والدان فى شدة الضيق بسبب « ابن ضال » — كان قد ترك طريق الله ،وذهب إلى كورة بعيدة . وأرسى به المطاف إلى استراليا

وطلب الوالدان من ذلك الجمهور أن يصلى من أجل الابن . ووقف عشرون الفاً ليشتركوا فى الصلاة !! ..

وقد علمنا فيما بعد أنه فى نفس الساعة التى كانت صلواتنا تصعد الى الله كان الشاب راكباً من مكانه الى المدينة فى استراليا — وقد أحس بصوت غير

مسموع يناديه ـ فجعل يفكر فى بيته وفى والديه . وقد نخس قلبه من جراء ذلك كثيراً . وإذ ذاك نزل من حصانه وركع بجانبه ، وصلى إلى الله طالباً المغفرة . وفى لحظة تأكد من تجديده .

فلما وصل إلى المدينة كتب يبشر أمه بهذا الأمر ويسأل ما إذا كانوا يقبلونه مرة أخرى فى البيت . . ووصله الرد تلغرافيا :

« عد إلى البيت فى الحال »

وإذا كان الوالدان يخشيان أنه يعود ليلا فى وقت قد لا يكونان مستيقظين ليستقبلاه وحتى يكونا فى استقباله أولا وضعا جرساً كبيراً على الباب لتعلم العائلة كلها عند مجيئه !! » .

٤٨

موت المؤمنين

« يزرع فى هوان ويقام فى مجد (١ كو ١٥ : ٤٣) »

وكذلك سأقص عليكم هذا الصباح « حكايتين » . وسأحاول أن أوفق بينهما وبين الوقت .

— ١ —

قوة أعظم

منذ مدة قريبة كانت إحدى القديسات تلازم فراش المرض الثقيل — وكانت إحدى السيدات المسيحيات تزورها . . فكانت تجدها دائمة فى غاية الابتهاج .

وكان لتلك الزائرة صديقة غنية ممن ينظرن دائماً إلى ناحية الأشياء المظلمة — فكانت فى كل حين مغمومة يائسة ، مع أنها كانت مسيحية فى عقيدتها !!

وقد فكرت الزائرة أنه يفيد تلك السيدة كثيراً أن ترى القديسة المريضة التى تقيم فى غرفة على السطوح بعد خامس دور . ولذلك أخذتها معها إلى ذلك البيت !!!

فلما وصلنا إلى الدور الأول سحبت السيدة الغنية طرف فستانها وقالت:

« ياله من مكان قذر مظلم !! »

فأجابت صديقتها « فوق أحسن !! »

وصلنا إلى الدور الثانى ولم يكن أفضل من الأول ، وتشكت السيدة مرة أخرى وأجابت صديقتها : « فوق أحسن !! »

وأخيراً وصلنا إلى الدور الخامس ، فلما دخلنا إلى غرفة المريضة وجدنا بساطاً جميلا على أرض الغرفة وأزهاراً على النافذة ، وطيوراً تشدو — ووجدنا القديسة العاجزة على فراشها — إحدى تلك القديسات اللواتى يصقلهن الله لأجل هيكله الخاص — تشع بفرح عظيم !

وقالت السيدة الغنية لها : « لابد أن تكون الحياة عليك أمراً شاقاً جداً بسبب هذا المرض !؟ »

فابتسمت وقالت : « فوق أحسن ! »

نعم فإذا ما جاءت كل الأمور ضدنا فلنذكر أن فوق أحسن !!

— ٢ —

هذا رجاؤنا

أصيبت فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها بمرض عضال تألمت منه كثيراً . فأصيبت بشلل جانبى وبالعمى تقريباً — وفى مرضها سمعت طبيب العائلة يقول :

« مسكينة ! لقد انتهت من رؤية أفضل أيامها » . . فصاحت :

« كلا . يادكتور . إن أفضل أيامى لم تأت بعد . . سأرى أفضل أيامى عندما أرى الملك فى بهائه !! »

هذا هو رجاؤنا . . إننا لن نتلاشى . . فقد قام المسيح من الموت ليعطينا عهداً بقيامتنا . إن قيامة السيد هى ترياق ضد الخوف من الموت . لا يمكن لشىء آخر أن يحل محلها . . الثروة ، العبقرية ، الملذات العالمية . . لا يمكن لشىء من هذه .. ولا لكل هذه أن تجلب لنا تعزية فى ساعة الموت!!

صرخت الملكة فكتوريا ساعة احتضارها :

« أنا أقدم كل أموالى نظير لحظة من الزمن !! » وكانت الكلمات الأخيرة للكاردينال بورجيا :

« لقد أعددت نفسى فى الحياة لكل شىء ما خلا الموت . والآن — وأسفاه — أنا أموت غير مستعد !! » .

قارن هذه الكلمات بما قاله أحد التلاميذ الأولين ساعة موته :

« لقد تعبت كثيراً . . سأنام الآن . . ليل سعيد !! »

كان عنده الرجاء الأكيد أنه سيستيقظ فى العالم الأبهج .

٤٩

يثق فى أبيه

« لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت (لو ١٢ : ٣٢) »

أرغب أن أوضح لكم يا أولادى فى هذا الصباح أن سبب خوف أكثر الناس لا يتصل بعدم إيمانهم بقدرة الله بل بعدم إيمانهم بإرادة الله.. ليس سببه فكرهم عن قوته بل فكرهم عن أبوإته وسأوضح لكم هذا الأمر بالقصة الآتية وقد رواها « صديقنا » مستر دويت ل . مودى قال :

« كنت وصديقى واقفين عند باب بستانه فى أحد الامسية حين ظهر أمامنا طفلان . فلما اقتربا منا قال صديقى :

« لاحظ الفرق بين هذين الولدين ! ! » وحمل أحدهما بين ذراعيه وأوقفه على قائمة بوابة البستان . . ثم خطا إلى الخلف عدة أقدام . . وطوى ذراعيه، ودعى الطفل ليثب نحوه : وفى لحظة قفز الطفل نحوه فتلقاه بين ذراعيه !!

ثم التفت إلى الولد الثانى ، وحاول معه نفس الاختبار ولكن الأمر كان مختلفاً معه . اضطرب الولد ورفض أن يتحرك . ومد صديقى يده ، وحاول أن يدفع الولد إلى الثقة فى قوته ، ولكن لم يستطع شىء أن يحرك الولد !!

وأخيراً اضطر صديقى أن يرفعه من مكانه وينزله إلى الأرض ، ويتركه يعود فى طريقه !

وسألت : « ما سر الفرق بين الولدين ؟ » فابتسم صديقى وأجاب : «إن الأول هو ابنى ، وهو يعرفنى .. أما الآخر فهو طفل غريب لم أره قبل!!»

هنا كان كل الفرق — كان صديقى قادراً على أن يمنع كلا من الولدين من السقوط . ولكن الفرق كان فى نفس الولدين .

كان عند الأول يقين فى مقدرة ابيه ، وكان سلوكه على مقتضى يقينه . أما الثانى فانه ربما كان يؤمن بمقدرة الرجل على إنقاذه من أى ضرر إلا أنه لم يحول إيمانه إلى عمل !

وهكذا الحال معنا . نحن نتردد أن نسلم انفسنا لـ « ذاك » المحب الذى سمت مقاصدة لنا عما يمكننا نحن أن نفكر . وهو ايضاً بيدين مبسوطتين يدعونا . ولو أننا اصغينا إلى صوته لسمعنا تلك الدعوة ووعد اليقين الذى قدمه فى القديم .

« تعالوا إلى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا اريحكم »

٥٠

لماذا ؟!

« لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا
نجهل افكارنا (٢ كو ٢ : ١١) »

جاءنى — بالأمس وقال لى إنه من يوم ان اشترك فى الكنيسة وهو لا يكاد « يأخذ نفسه » من جراء مهاجمات أبليس وأبدى خوفه من أنه غير متجدد .. وكان أمامى وقتها كتاب قصص وكنت اقرأ القصة التى عنوانها « كان الشيطان يعلم أنه يمكنه الانتظار » ورأيت أنها تصلح رداً على مخاوفه فقصصتها عليه ، وأظنه لا يمانع أن أقصها عليكم اليوم !! قال الكاتب :

« تروى قصة عن مسيحى عجوز فى جنوب الولايات المتحدة . كان عبداً

لسيد ملحد . وفى أحد الأيام بينما كانا فى طريقهما لصيد البط التفت السيد إلى عبده وقال :

« الا تحدثنى « ياعم » عن السبب الذى من أجله لا يجربنى الشيطان ابداً بينما يجربك دائماً ؟!؟ لماذا يجرب المسيحى أكثر مما يجرب الكافر ؟!؟ . »

وقبل أن يتمكن العبد من الإجابة مر سرب من البط فى دائرة الصيد فاطلق السيد النار ، ثم طلب من العبد أن يسرع ويمسك الطيور الجريحة

أولا ويترك البط الذى قتل إلى الآخر !! فلما عاد العبد إلى سيده كان قد عثر على جواب سؤاله — قال :

« أنت ترى ياسيدى أن هذه هى كيفية الشيطان . هو يفتكر أنى لست إلا نفساً مسكينة جريحة يرغب أن يتأكد من استيلائه عليها أولا . أما أنت فتخصه بدون جدال . هو لذلك يستطيع أن يصبر عليك !! »

كانت كمية كبيرة من علم اللاهوت فى تفسير العبد !! إذا كان المرء حقاً مولوداً من الله فإنه يظهر كأن كل تأثير الشيطان مسلط عليه ، وما لم يكن تجديده حقيقياً فلن يمكنه الثبات !! » .

عرفت أحد خطباء عيافة المسكرات ، وقد كان فى أول حياته سكيراً — حدث عقب امتناعه عن السكر بوقت قليل أن طلب منه أن يخطب فى مسقط رأسه . فلما وصل إلى المكان وجد الأرض مرشوشة بالخمر !! وكان قصد من عملوا ذلك أن تحركه رائحة الخمر فيعود إلى الشرب مرة أخرى !!

٥١

يظهر المسيح فى حياته

« مع المسيح صلبت فاحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى (غل ٢ : ٢٠) »

قد لا يمكنك أن تتكلم عن المسيح كثيراً ، غير أنه يمكنك أن تحيا حياة المسيح دائماً .. إذا عجزت عن إظهار المسيح على طرف لسانك لعىّ فيه ، فلن تعجز عن إظهاره فى حياتك . .

تحدث مستر مودى فى هذا الموضوع قال :

سيدة شابة ، وهى إبنة أحد أغنياء التجار فى لندن ، لم يكن فى إمكانها أن تتكلم كثيراً من أجل المسيح . ولكنى علمت إنها كانت كل يوم أحد عصراً تتسلل من قصرها المنيف وتذهب إلى عشة رجل مسكين لا يعرف كلمة واحدة من الإنجليزية ، إذ كان يتكلم لغة أخرى كانت تلك الفتاة تعرفها ، فكانت تذهب إليه فى ذلك الوقت وتقرأ له من الكتاب ، إذ كان هذا الوقت دون غيره هو الوقت الذى كان يتجرب فيه أن يسكر ، وهى أرادت أن تنقذه ! ! — إلى أن قال :

« وهناك حالة أخرى أثرت فى نفسى كثيراً .. لما كنت فى لندن عرفت

شاباً من أغنى شباب انجلترا ، ابن وحيد لصاحب مصرف من أكبر مصارف المدينة . وكان الميراث الذى ينتظره ملايين كثيرة من الجنيهات . وكان فى ذلك الوقت على وشك التخرج من جامعة « كامبردج » . هذا إذا أحس أنه لا يستطيع أن يذهب إلى اجتماعات البحث ، التى تعقد عادة عقب اجتماعات الوعظ ، ذهب إلى حوذى وقال له :

« أنا مستعد أن أعطيك أجرك المعلوم بالساعة نظير عربتك على أن تذهب إلى اجتماعات « مستر مودى » .. وأنا هنا أحل محلك وأعتنى بعربتك وحصانك !!

وفى تلك الليلة الباردة المظلمة فى لندن وقف ذلك السيد بجانب حصان العربة ، وأعطى الحوذى فرصة الذهاب لسماع الإنجيل . وقد مكث الحوذى ساعتين كاملتين . وكان السيد طول ذلك الوقت يعترف بالمسيح « فى صمته » !!

تحدثت يوماً مع اسكتلندى تأخر بعد الاجتماع وقلت : « ألا تتحدث مع ذلك الشاب الجالس هناك ؟ »

كان الاسكتلندى صاحب مصانع كبيرة ، فقال لى : « يامستر مودى أنا قليل الكلام . . لا أعلم إن كنت أستطيع أن أفعل ذلك » — فقلت : « أرغب كثيراً أن تتحدث إليه !! »

فجلس بجانب الشاب ، وعرف أنه واحد من العمال . وأخبره العامل أنه فى كل يوم سبت ظهراً كان يقبض أجره ، ويتوجه إلى بيته ليتناول طعام الغذاء ؟ ولكنه كان فى طريقه إلى البيت يحس بعطش شديد للخمر ، فيدخل

إحدى الحانات ويشرب ويشرب ولا يأتى يوم الإثنين إلا وقد استنفدكل أجر الأسبوع !!

وسأل السيد عن ميعاد تناول غدائه فأخبره به .

وفى السبت التالى عصراً ذهب ذلك الرجل العظيم الغنى إلى عشة العامل ومكث معه كل « العصرية » — وهكذا فعل فى السبت الذى يليه . ولا زال يفعل ذلك حتى خلص ذلك الرجل من سلطان الخمر !!

هذه هى كيفية صالحة للاعتراف بالمسيح ! إن كنت لا تستطيع أن تفعل ذلك بشفتيك تستطيع أن تفعله بكيفية أخرى .

راقب الفرص التى تجعل العالم يعلم منها فى أى جانب تقف !!

٥٢

حماس

«و بينما بولس ينتظرهما فى أثينا احتدت روحه فيه
إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً(ا ع ١٧ : ١٦)»

أظن أنكم جميعاً قد قررتم أن يكون « مودى » واحداً من أعضاء كنيستنا .. كلا بل قد قررتم أنه « يعظكم » بقصصه إن أمكن كل أسبوع!! لما ذكرت لكم بعض حوادثه سررتم وطلبتم أن تسمعوا منه أكثر —

واليوم نتركه هو يحدثنا . قال :

« بينما كنت أتأهب لترك الولايات المتحدة إلى انجلترا فى سنة ١٨٦٧ ، قال لى صديق : « أرجو أنك تستطيع الذهاب إلى « ادنبرة » وتحضر اجتماعات المحفل العام » وقص على صديقى أنه لما كان هناك السنة الماضية سمع حديثاً لا يمكن أن ينساه . فقد القى الدكتور « داف » خطاباً الهبه كما بنار . قال: « لن أنسى الساعة التى قضيتها فى الكنيسة !! »

كان الدكتور « داف » مرسلا فى الهند ، وقد قضى هناك ٢٥ سنة يكرز بالانجيل ويؤسس مدارس . وقد عاد إلى « أدنبرة » بجسم محطم. وقد أعطيت له الفرصة ليخاطب المحفل العام لكى يدفعهم إلى إرسال مبشرين للحقول الأجنبية . وبعد أن تكلم مدة طويلة بلغ به الأعياء إلى حد أن أغمى

عليه . فحملوه من قاعة المحاضرات إلى مكان آخر ، وأسعفه الأطباء إلى أن أفاق . فلما عاد إلى وعيه تحامل على قدميه وقال : « انى لم أتمم حديثى ... احملونى إلى هناك لأتممه » . وقد قالوا له إنه لا يستطيع ذلك إلا بتعريض حياته للموت فقال : « سأفعل ذلك ولو مت !! »

لذلك حملوه إلى الصالة — وقال صديق إنه كان من أشد المناظر التى شاهدها تأثيراً على نفسه قال : « حملوا ذلك الشيخ الذى تكللت هامتـــه بالبياض . وحالما رأيناه وقفنا كلنا وفاضت دموعنا تأثيراً ، وتكلم وفى صوته ارتعاش قال : —

« يا آباء وأمهات اسكوتلندة ! هل حقاً ليس لكم أولاد أيضاً ترسلونهم إلى الهند فى عمل الرب يسوع ؟ ! أن صوت الاستغاثة يعلو ويعلو دون أن يجىء جواب منكم . عندكم المال فى البنك (المصرف) ولكن أين العمال الذين يذهبون ؟ عند ما تعلن جلالة الملكة فكتوريا عن حاجتها إلى متطوعين فى الجيش تقدمون أولادكم « بسخاء » . لا تذكرون إذ ذاك شيئاً عن صحتهم ، ولا عن الطقس المتعب . ولكن عندما يدعو الرب يسوع عمالا تقول اسكوتلندة : ليس عندنا أبناء أيضاً !! »

ثم التفت إلى رئيس المحفل وقال : —

« يا حضرة الرئيس . . إن كان حقاً أن اسكوتلندة ليس عندها أبناء تقدمهم لخدمة الرب يسوع المسيح فأنا بالرغم من أنى أضعت صحتى فى تلك البلاد ، وبالرغم من أنى جئت إلى الوطن لأموت .. نعم أنا .. فى حالة عدم

وجود آخرين يذهبون ليبشروا الوثنيين عن المسيح سأسافر غداً لاخبرهم أنه يوجد فى اسكوتلندة شيخ مستعد أن يموت من أجلهم . سأعود الى شواطىء نهر الكنج وهناك أضع حياتى شهادة لابن الله !! » .

شكراً لله من أجل مثل هذا الرجل !!

نحن اليوم فى حاجة الى رجال مستعدين — إن لزم — لأن يضعوا حياتهم من أجل ابن الله . إذ ذاك نستطيع أن نترك أثراً حقيقياً على العالم — عندما يرون أننا جادون تتأثر قلوبهم ، ونصبح قادرين أن نرشدهم الى الفادى المخلص !!!

٥٣

ملائكة

« من فضلك » و « شكراً لك »

« لا تهتموا بشيء بل فى كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر » . (فى ٤ : ٦) »

هل تعرفون أنى قمت برحلة بعيدة جداً جداً . . أمس ظهراً ؟ أين تفتكرون ذهبت ؟ الى الاسكندرية ؟ لا . . أبعد ! الى قبرص ؟ أبعد ! الى لندن . الى نيويورك ؟ لا . . أبعد !!! أظن الأحسن أقول لكم أنا !!!

وعلى ما يظهر كان سبب الرحلة انى جلست على مقعد آخر غير مقعدى الخاص . . ذلك أنى اعتدت بعد الغداء أن أعود الى غرفة المطالعة . ولكنى بدلا من ذلك جلست نحو نصف ساعة على الكرسى (الفوتيه) الموجود فى غرفة المائدة .

ولا يخفاكم أن كرسى المكتب « قاس » مصنوع من الخشب « ممسوح » وملمع ، ومكسو بالجلد المرشوق فيه هنا وهناك بعض العراوى الصغيرة المتعبة — ومن أجل ذلك ليس من السهل أن ينام أحد على كرسى المكتب وأظن أنه موضوع بهذه الكيفية لهذا السبب ؟!!

أما كرسى المائدة فهو كرسى رحب، لين « منجد » بمخمل جميل أخضر .

وحالما جلست عليه رغبت أن أميل الى الوراء . . وفى اللحظة التى اضطجعت فيها أحسست بميل شديد لأن أغمض عينى — كلا . لم أنم ... ولكن شيئاً عجيباً بدأ يحدث قدامى !!

أحسست أن عقلى أخذ يفصل نفسه عن جسمى — وفى الحال بدأت فى سياحتى الطويلة الفذة . . سافرت فوق السحب وسط الكواكب وعند ذلك بدأت أتحرك على مهل . وعلى مسافة أبصرت نوراً لامعاً ، وإذ اقتربت منه لاحظت بوابة ذهبية مرصعة باللآلى والجواهر الكريمة . فقلت لابد وأن تكون هذه هى السماء وإلا فأنا لا أعرف شيئاً !!

وكانت هى بالحقيقة السماء !

وكانت البوابة مفتوحة وقد أخبرت أنها لا تغلق قط ، وتسللت داخلها دون أن يدرى أحد بدخولى — كان كل شىء هادئاً حتى خلت أنه لا يوجد فيها أحد بالمرة . ولكنى بعد أن اعتادت عينى الأنوار الباهرة رأيت نفسى بالقرب من ملاكين كانا منهمكين جداً فى دفاترهما وأقلامهما !!

كانا مشغولين جداً فى مهمة جمع أرقام ، ولكن لما اقتربت منهما اكثر لحنى أحدهما فسقط دفتره منه لاضطرابه ؟! فالتقطت الدفتر وقلت له وأنا أقدمه : « اسمح لى ! »

فشكرنى شكراً حاراً ثم قال : « أظن أنك غريب هنا !! »

— « نعم ! »

— « من الأرض ؟ »

— « نعم ! »

— « لكن بما أنك جئت، فأظن أنك ستقيم ؟ »

— «فاجبت لا... لا. . ولو أني اشكرك كثيراً من أجل تلطفك . هذه فقط زيارة «طيارى» ! هم ينتظروننى هناك . بل أنهم بالحقيقة لا يعرفون إنى هنا !! »

— « كم انا آسف . . لكن لا أظنك ترفض أن أقدم لك أخى ونفسى ، نحن ملاكان « من فضلك » و « شكراً لك » .

مددت يدى إلى رأسى ثم انحنيت باحترام وابتسمت فى رزانة وقلت : « يسرنى أن أراكما !! »

وقال الملاك الأول : « أما وقد أخبرناك عن أسمينا فستعرف ولا شك ما رصدناه فى سجلاتنا !! »

فهززت رأسى وقلت : « انى آسف أنى لا أعرف شيئاً عن ذلك بالمرة»

فقال : « فاعلم إذن كل ملائكة السماء معينون للخدمة على الأرض — بعضهم لتعزية الحزين ، وآخرون لإرشاد المرتبكين ، وجمهور منهم لحراسة الأولاد الصغار فى نومهم كما فى يقظتهم ... أما مهمتنا نحن فهى جمع كل كلمات « من فضلك » و شكراً لك » فى الاقليم المعين علينا . وعندما وصلت الينا كنا نراجع السجلات الختامية للسنة الماضية . ! »

— « وهل عندكم كثير منها ؟ »

— « بالطبع عدد كبير ، ولكن الأرقام ليست كما كان ينبغى أن تكون ، إن اكثر كلمات « من فضلك » مجموعة من الحفلات وما أشبه مما يخرج فيها

الأولاد الصغار . أما « من فضلك » في البيت فعددها قليل. ولو أنك وقفت معي خلف المائدة لحزن قلبك وأنت تسمع : خبز ! أين فنجان الشاي؟ أريد كعكة ! ناولني الملح !

عندئذ قاطعه الملاك الآخر بابتسامة حزينة قال :

« على كل حال يا أخي فان السجلات تبين أن عندك من كلمات « من فضلك » أكثر كثيراً جداً مما عندي من كلمات « شكراً لك » مع أن كلينا نشتغل في بقعة واحدة . بل أن الأمر المؤسف حقاً هو أن أكثر الأولاد يقولون : « من فضلك أعطني ... » ولكنهم عندما يأخذون العطية لا يفكرون قط أن يقولوا : « شكراً لك » ! ...

فقلت « إني أصدق ذلك تماماً . إذ قد لاحظت الأولاد في الطريق ، فأنهم عندما يرغبون أن يعرفوا مني كم الساعة يقولون عادة : « من فضلك كم الساعة ؟ » فاذا أخبرتهم فان الكثيرين منهم يقولون: «أوه.. الوقت «راح».. سنكون متأخرين عن الشاي . هيا .. أسرع .. سنصل متأخرين نصف ساعة !! » . ثم يركضون دون أن يلتفتوا إلي ولو بنظرة شكر !!! » .

ونظر الملاكان كل منهما إلى الآخر بصمت حزين !؟

وبعد لحظة سكون قلت : « هل تسمحان لي أن أسأل لماذا تتعبان بإحصاء « من فضلك » و « شكراً لك » . . هل يكافأ الأولاد أو يقاصون على نسبة عددها في يوم الحساب ؟؟

فأجاب الملاكان معاً : « لا . لا » . وقال أحدهما — إجابة لإشارة من الآخر :

« أن كل المكافآت أو القصاصات فى هذا الموضوع ستكون على الأرض .
ألست تلاحظ أن الطفل الذى يبتسم ويقول : « شكراً لك » عندما يعطى قطعة كعك يتمتع ضعف تمتع الطفل الذى يأخذ طبقه ويأكل كعكته بسكون !!؟ » .

وفى تلك اللحظة اقترب منا ملاك طويل وجميل وعلى وجهه نظرة استفهام فاستأذن الملاكان دقيقة !

كان مع الملاك الذى وصل مؤخراً دفتر ملاحظات جعل يراجع منه على سجلات الملاكين وبعد أن فرغ ابتسم ومضى فى طريقه !!

وعاد الملاكان فقال أحدهما لى : « كنت تسأل من لحظة لماذا نتعب أنفسنا بإحصاء كل هذه الـ « من فضلك » والـ « شكراً لك » ويمكن الاكتفاء فى الإجابة على ذلك بالإحاطة أن كل ما يعمل على الأرض يقيد فى السماء ولكن هناك سبباً آخر .. إن أخانا الذى ذهب عنا الآن هو ملاك الصلاة فى هذا الإقليم . ومن واجباته أن يقارن بين سجلاته وسجلاتنا . وقد اكتشفنا أن الأولاد الذين يشكرون والديهم من أجل معروفهم ، هم دائماً شاكرون للآب السماوى من أجل عطاياه .. هؤلاء هم الذين يصلون فى كل صباح قائلين : « من فضلك يارب احفظنى صادقاً وصالحاً ومهتماً بالآخرين اليوم !! » وفى المساء يعودون إلى الآب بقلوب معترفة بالجميل ويشكرونه من أجل محبته ! » .

وتهيأت للقيام وإذ ذاك قال الملاك الأول : « إن كان ولا بد من عودتك

إلى الأرض فهلا تفضلت بحمل رسالة منا إلى أصدقائك الصغار؟ قل لهم أنه كما أن النساء والرجال كانوا أطفالا ثم كبروا، كذلك الصلاة وكثير من الأشياء الجليلة الأخرى تنبت من فضائل صغيرة نظير «من فضلك» و«شكراً لك».

وعند البوابة التفت إلى الوراء لحظة وفيما أنا أنظر، اختفى الملاكان ووجدت نفسي مرة أخرى جالساً بعينين مغلقتين تقريباً فى الكرسى الكبير فى غرفة المائدة !!!

٥٤

خيبانه

« يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك ... (مت ٢٥ : ٣٧) »

حدثتكم من مدة عن قنبرة صغيرة حمقاء باعت ريشها نظير دود تأكله ولكننى سأحدثكم اليوم عن قنبرة أفضل . . كانت تدعو نفسها « خيبانة » ولم يكن هذا اسمها الحقيقى بالطبع . كان اسمها « كارول » وكانت الابنة الوحيدة لوالديها . وقد تعب أبواها كثيراً فى انتقاء اسم لها ولكنهما اتفقا أخيرا على تسميتها بهذا الاسم بسبب ميلها الى الموسيقى ، لأن هذا الاسم معناه « اغنية » .

وفى ذات يوم وقفت « كارول » الصغيرة على حافة العش ، وبعد تفكير عميق قالت لأمها : « يا أماه ما فائدتى ؟ »

فقالت أمها : « وما الذى وضع هذا السؤال فى رأسك الصغير ؟ »

فاجابت : « كنت أسائل نفسى ، وفى بعض الأحيان كنت وأنا طائرة فى الهواء أنظر الى الحقول فكنت أرى كل شىء غيرى له فائدة .. فالفلاح نافع فى الزرع والحصاد ؛ وزوجته تقوم بعمل الزبدة والجبن ، وأولادهما يشتغلون أيضا فى الدريس ، والبقر يعطى اللبن ، والأرانب نافعة لأنها تؤكل .. لعلى لست نافعة للاكل يا أماه ؟ » . .

— « لا تخافى يا بنتى . . سوف لا يأكلك أحد ! »

ـــ وانهم يأكلون الأرانب ، لقد رأيت الفلاح يصطادها . ثم الخيل فانها نافعة لجر العربات ، والكلاب نافعة لحراسة الغنم ، والغنم نافعة لصوفها وكل شيء وكل واحد يظهر أن له فائدة . . أما أنا فانى « خيبانة » ! ! » .

ولكن أمها قالت : يا « كارول » انك نافعة للغناء ! »

فأجابت بحزن : « نعم يا أماه ولكن مافائدة الغناء ؟ . . » وعندئذ قبلتها أمها وقالت : « عليك بالنوم يا فتاتى ، لا تتعبي فكرك بمثل هذه الامور . أنا متأكدة أن الله خلقنا صالحين لشيء ما ، وعند ما نعمل جهدنا فنحن نعمل خيرا اكثر مما نعرف ! ! » .

وفى الصباح استيقظت كارول مبكرة وسارت بعيدا . . وقد طارت وطارت تاركة تحتها المداخن وأعالى الاشجار . . وكانت تغنى طول الطريق وقد رأت الفلاح وهو يفتح باب المخزن ، وحينئذ نسيت « كارول » كل شيء سوى اغنيتها ! !

وحدث أن ذلك الفلاح كان مضطرباً فى ذلك اليوم . لم تكن الأحوال حسنة معه ، فالطقس كان رديئاً ، وقد مات عدد كبير من الحملان ... وكان على العموم كئيباً ـــ كان متأكدا أنه عمل واجبه على أحسن كيفية ... ومع ذلك كان الفشل حليفه ... وظهر كأنه يسأل نفسه : « هل يهتم الله حقاً بالناس أم يتركهم يجاهدون لأنفسهم ؟ ... » .

وفجأة جاءت أغنية حلوة من فوق . كانت « كارول » تغنى ـ وقال الفلاح فى نفسه : « لئن كانت أمامنا هموم ومتاعب فانه توجد دائما أشياء حلوة ...

الازهار والطيور.. ووردت فى خاطره إذ ذاك الآية التى كاد ينساهاو هى: « اليست خمسة عصافير تباع بفلسين . وواحد منها ليس منسيا أمام الله » - والآية الاخرى : « أليس عصفوان يباعان بفلس . وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم » .

وقد قال لنفسه : « تشجعى يا نفسى ، فان الله الذى يهتم بالطيور لا يزال يهتم ويعتنى بى وبمالى !!؟! » .

وبعد قليل طارت كارول أيضا وهى تغنى . . وكانت تحلق على علو شاهق بحيث لم تر الناس الذين فى المزرعة ، ولا المسافرين فى الطريق ولذلك فانها لم تلحظ رجلا عجوزا كان يتوكأ على عصاه . وكان هذا الرجل يمشى فى الظلام وليس معه سوى أفكاره ، فإنه كان أعمى . كان يفكر فى جمال الحقول ، وفى شمس الربيع المشرقة . وكان يقول فى نفسه : « ان كل شىء جميل ، ولكن ليس لى . . »

على حين غفلة وقف ورفع وجهه الأعمى الى فوق ، فانه سمع فى الهواء صوت أغنية القنبرة « كارول »

وانقطع الغناء أخيرا ، وعاود الرجل سيره متوكئا على عصاه . ولكن وجهه كان مبتهجاً وأخذ يقول :

« الرب صالح ... الرب صالح !! »

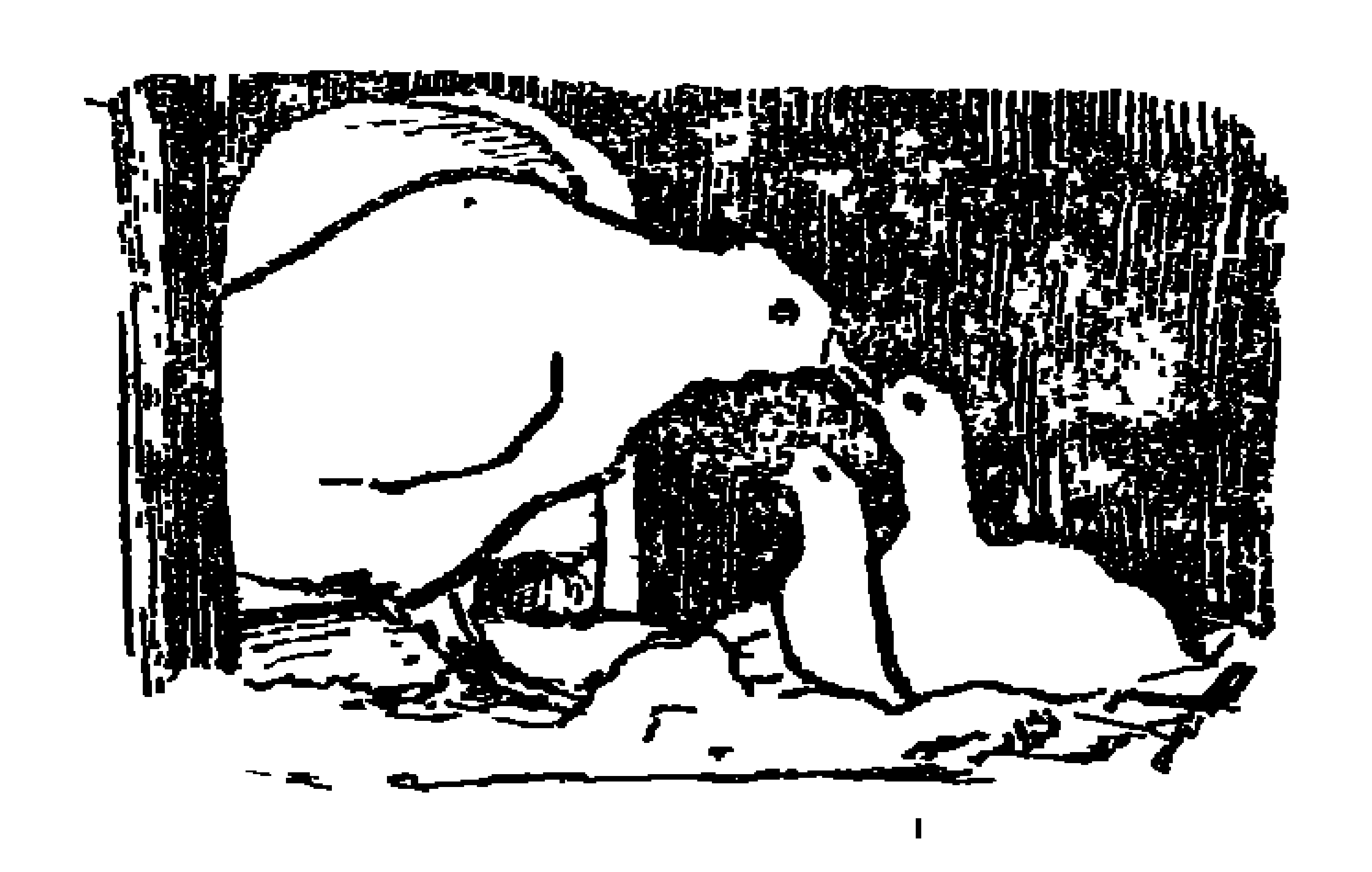
وفى ذلك المساء عادت « كارول » الى عشها متعبة من كثرة الطيران ومن كثرة الغناء وقالت تخاطب أمها :

« يا أماه . لقد كنت أفكر طول النهار ، وانى متأكدة الآن انى لست نافعة فى شىء . . . أنا « خيبانة » !! »

فقالت أمها : « أذكرى يا عزيزتى ما قلته لك بالأمس . إننا لا يمكن أن نعرف كم من الخير نصنع إذا بذلنا جهدنا » .

ثم قبلتها وأخذتها تحت جناحها . . وقد ساد الظلام فوقعت « كارول » وأبواها فى سبات عميق .

ولا نعلم هل رأت فى الحلم تعزية الفلاح وبهجة الأعمى أم لا . . فانها قامت فى الصباح بروح جديدة لمعاودة حياتها النافعة !!



٥٥

طريق أكيد

« لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد
السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون .
ولكن اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء ... (مت ٦ : ١٩) » .

حدث أحد خدام الانجيل أعضاء كنيسته يوماً فقال :

« كان « كلوسيم » الشيخ رجلا غريباً جدا لم يقصر كل حياته عن حضور الكنيسة يوم الأحد . إن قليلين جدا نظيره حصلوا على وعظ كثير جداً أمام دفع قليل جدا .. جدا . كان رجل بيت ، يشتغل كثيرا ، ويوفر كثيرا ، يكنز مالا على مال . وكانت عنده معرفة غريزية أن الرجل الذى يجلس بجانب الراعى على المنبر قد حضر ليجمع مالا لمشروع خيرى . فكان يزرر جاكتته ، بحيث لا تستطيع أعظم فصاحة أن تحلها . وقد قال أحد جيرانه أنه أعطى مرة « شلناً » - ولكن هذا الخبر كان عن مدة قديمة جدا .. وكان أيضاً يفتقر إلى الدليل ولذلك لم يصدقه أحد !!

وفى وقت المحصول قابلت « كلوسيم » وهو يتطلع إلى حقل له - حقل قمح - وقد بدا على وجهه وميض نور وكأنى به يقول : « سيدر هذا المحصول جنيهات كثيرة السنة الآتية !! »

فقلت : « إنه حقل قمح غنى بكل تأكيد !! »

وأجاب: «نعم ياسيدى، وليس هو بالحقل الوحيد الذى زرعته . إن أرضى تجود على بمحاصيل وافرة .. مخازنى قد ضاقت بمحصول الصيف !! »

— « وماذا تفعل بكل هذه المحاصيل ؟ »

— « ماذا أفعل بها ؟ أبيعها !! »

— « وماذا تفعل بثمنها ؟ »

— « أوه هذه هى مشكلتى . من الصعب أن تستغل المال استغلالا جيدا وفى نفس الوقت تأمن من فقدانه . يجب أن أضمن الاثنين ؟ ! »

— « أنا أستطيع أن أدلك على كيفية !! »

— « أنا أشك فى مقدرتك !! ومع ذلك فلنسمع رأيك . هل يكون المال مضموناً ؟؟ »

— « تمام الضمان !! »

— « والفوائد جيدة وأكيدة ؟؟ »

— « نعم بدون نزاع !! »

— « إذن أخبرنى فى الحال عن كيفيتك !! »

— « أنصحك أن تشغل جزءا من أموالك فى الصين !! »

— « فى الصين !! »

— « نعم إن أبواب تلك الامبراطورية العظيمة مفتوحة الآن لقبول ديننا

وتمديننا ومؤسساتنا . هناك حاجة كبرى لمرسلين فيها وفي الهند . شغل مالك في هذا العمل فتضمن رأس المال والربح الوفير !! »

— « هل تظن إني من السذاجة بحيث أصدق أن المال الذى يخرج يعود أو يقدم فائدة ؟ لست أحمقا ياسيدى !!

— « أرجو أنك تقول ذلك بعد ألف سنة .. ولكن هل تسمح لى أن أقص عليك قصة ؟ »

— « نعم إذا كانت قصة حقيقية وليست من مخترعاتك . ينبغى أن تكون كل كلمة فيها حقيقية !؟! »

— « حسناً جدا . منذ أيام قليلة قابلت سيدا عظيما هو صاحب معامل كبيرة للورق ، وقد أخذنى إلى معامله ، وأرانى المواد الخام واللباب وا كوام الورق ، المعد للسوق وأشياء أخرى كثيرة لم أفهمها . وبعد أن تفرجت على الآلات وسمعت ثناء عماله قلت :

— « هل لك ياسيدى أن تخبرنى عن سر نجاحك ؟ .. فقد قلت لى أنك بدأت حياتك بلا شيء !! »

— « لست أعرف أن هناك سراً فى الأمر . لما كنت فى السادسة عشرة ذهبت إلى س... لأشتغل وكانت أجرتى عشرة جنيهات فى السنة وطعامى. لا أكثر ولا أقل .. وثيابى وكل مصاريفى الأخرى كانت تخرج من الجنيهات العشرة وفى ذلك الوقت وعدت جدياً أن أفرز لله عشراً : وعشراً آخر أوفره نواة لرأسمال . وقد نفذت وعدى : وبعد أن أعطيت حصة لله وجدت أن

عندى آخر العام أزيد من العشر متوفراً . وللمرة الثانية وعدت أنى لا أعطى لله أقل من العشر، كثر مالى أو قل. نفذت هذا العهد بكل أمانة . ولئن كان هناك سر لنجاحى فانه هذا !! أنى أحس أنى بالتسعة الأعشار أغنى كثيراً مما بالعشرة !! » .

— « ولكن كيف تفسر هذا القول ؟ »

— « بكيفيتين : أولا : أنا أومن ان الله قد باركنى وانجح عملى.. وثانياً : لقد تعلمت أن أكون دقيقاً ومقتصداً . وأنا أعتقد أن كل من يجرب طريقى ينجح !! »

— « والآن يا مستر « كلوسيم » .. ها قد سمعت قصتى ؟ »

— نعم . ولكن ما قصدك منها ؟

— « ألست ترى ؟ أن أزيل من طريقك آخر عذر يمكنك أن تقدمه لعدم فرز جزء من مالك لله فى سبيل خدمة أخوتك فى الإنسانية ، الذين مات المسيح عنهم .. أعط أعط أيها العزيز . إن الله قادر أن يعوضك فيكثر محصولك ، ويقلل من المرض فى بيتك ، ويطيل عمرك ، ويكرمك أمام مواطنيك ، ويعطيك سلاماً فى ضميرك ، ورجاء أسمى فى السماء !! .

لم ينطق مستر « كلوسيم » بكلمة واحدة ، ولكنه تحول وتركنى وعلى وجهه علامات تفكير عميق . ولو أنه كان شاباً لكان عندى الرجاء الكبير أنه يرى أن هذه هى الطريقة الأكيدة للاثراء. فهل يلاحظ الشبان ويعملون على ما يستخلصونه من المعنى العميق فى هذه القصة ؟؟؟ » .

٥٦

« الزراير » الثلاثة

«ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك واما الخشبة
التى فى عينك فلا تفطن لها — (مت ٧ : ٣٠) »
« فى يوم الخير كن بخير وفى يوم الشر اعتبر — (جا ٧ : ٤) »

— ١ —

كان سكوت فى الصالة . كانت القبعات والمعاطف والشماسى ساكتة . وكان « بالطو » صاحب البيت معلقاً على «الشماعة » الكبيرة فى زاوية مظلمة. وكان فى صدر البالطو ثلاثة « زراير » كبيرة سوداء . كانت الساعة الخامسة بعد الظهر ، وفى ذلك اليوم خرج « البالطو » وفيه أربعة « زراير » ولكنه رجع بثلاثة فقط — وربما كانت هذه المصيبة — ضياع «الزرار» — هى التى حفزت « الزرار » الأعلى للكلام ! — ويغلب أنه لولم يتكلم لظل السكوت شاملا المكان !

وقد بدأ حديثه قائلا : « لقد بقيت فى هذا « البالطو » أربع سنوات» . وصمت قليلا ليرى إن كان ثمة اعتراض على كلامه . . ثم استطرد قائلا : « وفى خلال هذه السنوات الأربع ، وقبلها بزمان طويل ، سافرت كثيراً ومن مشاهداتى فى سفراتى تعلمت هذا الشىء الواحد » .

فصاح الآخرون : « ما هو ؟ »

فقال : « تعلمت أن كل « زرار » يجب أن يعرف مكانه ويلازمه . لقد رأيت « زرايز » كثيرة تسير إلى البوار بسبب الاهمال وليس هذا مقصورا على « الزرايز » العادية وحدها ، فإن « الزرايز » المذهبة « والزرايز » اللؤلؤية أيضاً فى حاجة إلى هذه القوة الساندة !!

لقد رأيت بالأمس صديقا قديماً وقع فى ظروف سيئة . بدأ حياته « كزرار » ثان فى « فرو » فستان ولكنى لما رأيته كان مركباً فى وجه دمية ، كان يؤدى عمل العين اليمنى للدمية . . وقد نظر إلى نظرة البائس المسكين ، ولكن ماذا كان يمكننى أن أعمل له ؟ . وهو كصاحبنا « الزرار » الرابع بدأ حياته بحالة حسنة ولكنه ضاع بسبب عدم ثباته . . ولذلك أقول لكل فرد : اعرف مكانك ولا تتركه ! ! »

فقال « الزرار » الثانى : « لا شك أن فى ما تقوله شيئا كبيرا من الفائدة ، ولكنى أجد أننا برغم ما نبذله من مجهود لسنا فى أيدي أنفسنا بل فى أيد أخرى . انى زرار » هادىء قليل الكلام ، ولعلى لم أفكر فيما صادفنى فى الحياة ، ولو أنى قصدت سرد الحوادث المرعبة التى مررت فيها لاستطعت أن أملأ كتاباً !!

قبل أن آتى إلى هذا « البالطو » كنت فى « بالطو » آخر مثله تماماً . ولكن فى تلك الأيام كانت سيدتنا مهملة جدا ، وقد حدث فى مرات كثيرة أن حياتى كانت معلقة على « خيط » يالهول تلك الساعة التى مرت بى وأنا معلق

بهذه الصورة وتحتى الجموع الزاخرة وأنا أهتز وأرتعش فى كل خطوة . لقد كنت أشبه شخصاً يتسلق جرفا متداعيا . يالها من حياة مضطربة تلك التى نحياها نحن « الزراير » المساكين !! لا توجد ضمانة كافية لنا . كثيرا ما نكون هنا اليوم ، ونضيع غدا . لما أفكر فى المستقبل أؤكد لكم أنى اضطرب . بل الآن أنا غير مطمئن لهذا الخيط !! وعندما نظرت ماحل بأخينا المسكين هذا الصباح »

— ٣ —

وهنا قاطعة « الزرار » الثالث قائلا : « يظهر أن « الزرار » نمرة « اثنين » فى حالة سيئة اليوم . أظننى قاسيت من الشدائد أكثر من أى واحد منكم ومع ذلك فانى أحب أن أظهر دائما مرحاً !!

كنا اثنى عشر فى عائلتنا ، وقد خرجنا كلنا للخدمة ، ولست أظن أن أحدا قام بخدمة أحسن أو أشق مما قمنا . لسنا من النوع القلق ! خذ نصيحتى أيها الأخ ولا تصرف وقتك فى توقع ما قد يحدث لك ، وفى كيف تنجو من هذا وذاك !! ولا شك أننا فى بعض الأحيان نقابل صعوبة ما ولكن علينا ألا نجعل من هذا سببا فى التأوه والأنين » وبعد صمت يسير عاد « الزرار » الثالث يقول : « .. ولكن ربما لا تجدونه سهلا أن تقابلوا الأمور بالشعور الذى أقابلها به أنا . ولست أريد أن أدين أى « زرار » آخر !! »

فقال « الزرار » الأول : « ولم لا ؟ »

فاجاب « الزرار » الثالث : « لقد تعلمت درسا فى هذا الشأن .. فقدكنا

فى سترة سواق وكنا معجبين بأنفسنا كثيراً ، وحدث أن واحدا منا سقط، فركبت السيدة « زراراً» بدلا عنه ، وكان مختلفاً فى اللون قليلا عنا ، ولهذا السبب أخذنا فى الضحك عليه وتعييره بشذوذه !! وانى أعرف الآن أنه كان جبناً منا أن نفعل ذلك ، خصوصاً وقد كان أصغر من أى واحد منا .. وقد احتمل ضحكنا بصدر رحب ، ولكنه أخيراً قال لى — وكنت قريباً منه — : « ربما يأتى يوم تكون أنت فيه شاذاً وحينئذ تتمنى لو أنك لم تقل شيئاً !! » وفى ذلك الوقت ضحكت من ذلك القول ، لانى عرفت أن ليس ثمة فى شيء غريب . . ولكن كلماته تحققت فيما بعد !!

فقد حدث أن بليت سترة السواق ، وإذا بشخص يأتى بمقص ويفصلنى عنها فقلت فى نفسى : لقد بليت السترة ، أما أنا فلا زلت كما أنا فلنر ماذا يحدث !!

وفى اليوم التالى وضعت فى سترة أخرى ، وما كادت السيدة تضعنى على الشماعة فى الصالة وتتركنى هناك حتى سمعت « الزرار » القريب منى يضحك ويقول لرفاقه : أنظروا ، لقد جاءوا لنا « بزرار » شاذ هذه المرة ! فحنقت عليه فى أول الامر وحاولت أن أبين « للزراير » أن اللون الاسود هو اللون المطلوب ، وأنهم هم الشواذ لا أنا !! ولكنهم كانوا خمسة ضد واحد فلم يكن لى بد من السكوت . ثم قلت فى نفسى : ربما كان حسناً أن أكون شاذاً لان بعض هؤلاء « الزراير » لا يهتمون بالعمل بالمرة !! » .

ثم سكت قليلا . . وتكلم بعد ذلك فقال : « أعتقد ان كل « زرار » لائق يجب ان يعتبر نفسه شاذاً إذا كان وسط جماعة مريبة » .

* * *

وهنا قاطعة الزرار الأول قائلا : -

« سكوت ! انى اسمع حس أقدام ! ! »

وفى الحال دخل السيد ، وتناول معطفه ، ولما رأى موضع « الزرار » الضائع قال : « لننظر فى هذا عند ما أرجع » . وألقى معطفه على ذراعه ، وخرج . . وعاد السكوت فى الصالة كما كان ! !

٥٧

العفو عن روبين جونسون

« ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح بالنعمة
انتم مخلصون . . بالايمان وذلك ليس منــكم هو
عطية الله (اف ٢ : ٥ و ٨) »

مرة أخرى نسمع مودى يحدثنا فلنصغ بكل اهتمام إلى قصته الجميلة هذه قال :

« لما كنت فى أوهايو منذ عدة سنوات دعيت لأعظ فى سجن الولاية . وحضر فى كنيسة السجن ١١٠٠ مسجون ، جلسوا جميعاً أمامى . وبعد أن انتهيت من الوعظ قال لى قسيس السجن :

— مستر مودى . . أرغب أن أخبرك عن شيء حدث فى نفس هذه الغرفة . .

منذ سنوات قليلة ذهب نواب الولاية إلى الحاكم واستطاعوا أن يستخلصوا منه وعداً باطلاق سراح خمسة من المسجونين الذين يفضلون عن غيرهم فى السلوك الحسن . وقبل الحاكم مشترطا أن يحتفظ بسرية التقارير . وأنه فى نهاية ستة شهور فإن الخمسة الذين يأخذون أحسن درجات فى السلوك يطلقون بغض النظر عمن هم أوعما كانوا !!

وفى نهاية الشهور الستة أخذنا المساجين جميعاً إلى الكنيسة ، وحضر النواب ، وجلس الرئيس على المنبر ، ووضع يده فى جيبه وأخرج منه بعض الأوراق وقال :

« فى يدى الآن الاذن بالعفو عن خمسة رجال ! »

وقال القسيس إنه لم يشهد فى حياته منظراً كالذى شاهده إذ ذاك . كان سكون كسكون الموت ، وكثيرون اصفرت وجوههم : وكان الانتظار مخيفاً !! ظهر كأن كل قلب على وشك أن يقف واستمر الرئيس يتحدث عن كيفية الحصول على العفو .. ولكن القسيس قاطعه قائلا :

« أرجو أنك قبل أن تخطب تذكر أسماء الذين عفى عنهم لأن الانتظار رهيب ! »

ولذلك بدأ يقرأ الاسم الأول قال :

« ليتقدم « روبين جونسون » ويأخذ أمر العفو عنه» .وقبض على ورقة العفو ومد يده ليقدمها ولكن لم يأت أحد ليأخذها . وكذلك سأل رئيس الحراس : « هل جميع المسجونين هنا؟» فأجاب «نعم» !ولذلك قال مرة أخرى : « ليتقدم روبين جونسون ويحصل على ورقة الاذن بإطلاقه . هاهو جاهز وقد ختمه الحاكم .. روبين حر !! » .

ولم يتحرك أحد . والتفت القسيس إلى مكان روبين فقد كان معروفاً له ، إذ كان قد قضى تسعة عشر عاما ، وكذلك التفت كثيرون منتظرين أن يروه يثب من مكانه .. ولكنه هو نفسه كان يتلفت كغيره ليرى ذلك

السعيد الحظ الذى نال العفو — وأخيراً لمحه القسيس فقال له :

« روبين ، أنت هو الرجل !! »

والتفت روبين خلفه لينظر اين روبين هذا — وقال القسيس للمرة الثانية : « روبين ، أنت هو الرجل !! » وللمرة الثانية التفت حوله مفكراً أنه لا بد وان يكون هناك « روبين » آخر .

كان على النائب أن يناديه ثلاث مرات « تقدم يا روبين وتسلم أمر العفو عنك !! »

أخيراً بدأ الحق يتبلج للرجل العجوز . . وقف وتقدم الى المنبر وهو يرتعد من هامة رأسه الى قدمه ، فلما تسلم إذن العفو نظر فيه ، وعاد الى مكانه ثم دفن وجهه بين يديه وبكى ، فلما اصطف المساجين فى طوابيرهم ليذهبوا الى غرفهم اصطف روبين معهم . واضطر القسيس ان يدعوه قائلا :

« روبين . اخرج من الطابور أنت الآن حر . . لست أسيرا بعد !! »

وخرج روبين من الطابور — كان حرا !! » .

هذه هى الكيفية التى يمنح الناس بها العفو . هم يعفون عن ذوى الخلق الصالح والسلوك المرضى . . ولكن الله يمنح العفو والمسامحة لمن لا خلق لهم بالمرة . هو يقدم المسامحة لكل خاطىء على وجه الأرض يقبل ذلك . . لا يهم من هو أو ماذا يشبه . . قد يكون أعظم مستبيح أو أعظم سفيه أو أعظم سكير أو أعظم لص !!

لقد أرسل المسيح تلاميذه ليكرزوا بالانجيل للخليقة كلها .

٥٨

الملوك الثلاثة

« من أردا أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما . . (مت ٢٠ : ٢٨) » .

— ١ —

دقت أجراس الكنائس دقات عالية منتظمة . وإذا بالنوافذ تفتح ، ويطل منها جمهور كبير من نساء ورجال . والطرقات تمتلىء بالشباب الهاتف والكل يتحدث عن حفلة التتويج . وفى القصر كان استعداد هائل . وكان جنود الحرس بملابسهم المذهبة يروحون ويجيئون . وكبراء الأمة يفدون للمشاركة فى احتفال تتويج مليكهم الشاب . وقد تحولت أبهاء القصر إلى مدينة بأسرها ! !

وتقدم الملك الشاب نحو عرشه . . ولكنه قبل أن يجلس عليه تقدم منه رجل وقور وقال ! ! مولاى أنا مستشارك وقد كان أبى مستشاراً لأبيك وقبل أن تتوج ينبغى أن تأتى معى إلى الغرفة الكائنة خلف القصر لتختار منها أداة ملكك، ثم تحمل هذه الأداة وتعود إلى هذا المكان لتتوج ! ! ! .

وسار الملك خلف مستشاره ، وانحدر من باب خلفى فى القصر إلى درجات تنزل إلى سرداب بل سراديب ، وظلا يصعدان وينزلان حتى وصلا إلى بناء لم يره الملك قبلا .

وطرق المستشار الباب طرقات خاصة فانفتح من ذاته وله صريف .
وبان خلف الباب فضاء مظلم كبير . ولكن الملك حدق بعينيه فأبصر ضوءاً ضئيلا ينبعث من ثلاث شمعات . وتقدم خلف المستشار نحو الضوء ، وإذا بالضوء يعظم ويعظم حتى خيل للملك أنها ثلاث شموس لا ثلاث شموع !!

وابصر الملك مناضد ثلاثاً عليها أشياء . ولكن ما استرعى نظره كان سيفاً لامعاً على أحداها فتقدم منه وأمسكه ، وأداره إلى كل ناحية فكان له لمعان يخطف الأبصار ، ورفعه إلى أعلى وقال :

« بهذا أنا أحكم وأحارب الأعداء فأسعد نفسي وأسعد بلادي جمعاء »

وقد لوحظ أن النور بدأ يضعف ، ولكن الملك لم يلتفت إلى شيء من هذا ، بل سار مبتهجا بسيفه إلى أن وصل إلى كرسي الملك ، فرفع سيفه مرة أخرى وقال :

« بهذا أنا أحكم وأحارب الأعداء
فأسعد نفسي وأسعد بلادي جمعاء »
وجلس على العرش . وتمت حفلة التتويج !!

وحكم الملك بالسيف ، وحارب الأعداء ؛ ووسع دائرة المملكة ..
ونظر ابنه من برج القصر فرأى رجالا يساقون فى قيود من حديد ، وقد ظهرت عليهم علائم الذل وسأل ما الذى أوصلهم الى هذا المصير ؟ فقيل له :

«سيف أبيك» — ثم أبصر نساء تبكى واولاداً ينوحون وسأل : «من هم ؟ » فقيل له : « أرامل وأيتام سيف أبيك » ولاحظ حقولا خربة وبيوتا مهدمة ، وقحطا ومجاعات ، واوبئة وأمراضا ، وارضا مغتسلة بالدماء .. وسأل عن كل هذا ؟ فقيل : « سيف أبيك » !!

لقد ادى السيف رسالته فى توسيع المملكة ، ولكنه اذل الأشراف ، ورمل النساء ، ويتم الأطفال ، ونشر الخراب ، وأجرى الدماء انهارا ..

وعاد الملك يوما ، وقد اثخن بالجروح .. وقال لتابعه : «أسرع قبل أن أعجز عن المسير ، وسارا فى الطريق إلى البناء القائم خلف القصر ، وهو يجر نفسه جرا .. وطرق الباب فانفتح .. وظهرت الشموع الثلاث . وهناك طرح سيفه وقال :

« ها هو السيف الذى أخذته .. أرده . لقد أشقانى وأشقى بلادى » .

وانطرح بعد ذلك على باب المكان .. وأسلم الروح !

— ٢ —

مرت أسابيع ودقت الأجراس ، وازدحمت الطرقات بالمتفرجين على حفلة تتويج الملك الشاب ..

وكان المنظر شبيها بالمنظر السابق . فكانت الاستعدادات هى هى ، وكانت الهتافات هى هى .. حتى ليخطر على البال أن المنظر تكرار للمنظر السابق ... وجاء المستشار وانحنى أمام الملك وقال :

« مولاى ، أنا مستشارك .. وقد كان أبى مستشارا لأبيك . وقبل أن

تتوج ينبغى أن تأتى معى إلى الغرفة الكائنة خلف القصر لتختار منها أداة ملكك !! » .

وسار الملك مع المستشار فى نفس الطريق الذى سار فيه أبوه من قبله . وطرق الباب عينه وأبصر الشموع الثلاث والمناضد الثلاث غير أن ما جذب أنظاره لم يكن السيف بل الذهب ، فقد أبصر على المائدة الثانية كتلة من الذهب ، فحملها بين يديه ، وأدارها لتتلقى أشعة النور ، فإذا هى شعلة من ضياء ، وقال : «أنا اختار هذه » .

« بهذه أنا أغنم فأوسع ثروتى وأسعد بلادى »

وتمت حفلة التتويج .. واشتغل الملك فى المال فامتلأت خزينته واتسعت دائرة ثروته !!

وتطلع ابن الملك من برج القصر ، وأبصر فقرا وجوعاً وبؤسا .. وسأل: « ما هذا ؟ » فقيل له : « من أجل ذهب أبيك » ورأى طغيانا وظلما وقوة وحكاما شديدة ... وسأل عن سبب هذا ؟ فقيل له : « ذهب أبيك »

ودار الفلك دورته وإذا الملك شيخ محنى الظهر ، مكمد الوجه وهو يستعجل تابعه قائلا :

« أسرع قبل أن أعجز عن المسير » وسارا حتى وصلا إلى غرفة الشموع وهناك طرح ذهبه قائلا . « ها أنا أرده .. لقد أشقانى وأشقى الآخرين !»

— ٣ —

ومرت أسابيع أخرى ، وتكرر منظر التتويج وجاء الملك الشاب ليرث عرش أبيه وتقدم منه المستشار وقاده إلى البناء خلف القصر وأبصر فيه

الشموع الثلاث ، وأبصر السيف والذهب .. ولكنه لم يلتفت إليهما ، بل تقدم إلى المائدة الثالثة حيث كان « كأس ماء » فأمسكه في يده بخشوع ، وركع على ركبتيه بخضوع وقال :

« بهذا أنا أخدم وأوسع دائرة الخدمة فأسعد نفسي وأسعد بلادي ! » .

وملأ المكان نور وهاج ، وتحولت الغرفة المظلمة إلى شعلة من ضياء ، وسمعت موسيقى شجية ممتلئة حلاوة ..

وبعد التتويج حمل الملك كاس الماء ، وسار في بلاده يسقي العطشان ، ويبل شفاه المريض ، ويرش على وجه المغمى عليه .. وينشر بمائه بهجة وفرحا وسلاما . وترنمت الاطيار ، وتبسمت الأزهار ، وشدت ملائكة السماء . وسر الله وابتهج ابن الله ... وكانت جنة شكر الجميع فيها الله لأن ملكهم جاء ليخدم لا ليخدم .

* * *

والآن .. ماذا تختارون أيها الابناء ؟

هل تختارون أن تحكموا وتسلطوا سيف سلطانكم فتعنوا لكم الرقاب؟؟

أم تختارون أن تغنموا فتعيشوا للمال ؟

أم تأخذون مثال سيدكم فتخدمون وتعطون المحتاج كأس ماء بارد باسم سيدكم ؟؟

ندم طالب السيف !!

وتحسر طالب الذهب !!

أما طالب الخدمة فشكر !!!

٥٩

المبشر الهارب

« أوما يوحنا ففارقهم ورجع (اع ١٣ : ١٣) »

— ١ —

مقدمة

قد قرأتم بالطبع الكلمات الحمقاء التى خطتها أياد جاهلة عن التبشير والمبشرين ، والتهم الشنيعة التى الصقت بهم . وقد صير القوم التبشير عاراً والمبشر مخلوقاً هو المهانة بعينها . ولكنكم تعرفون أن التبشير أسمى خدمة وأنه يختلف تماما عن الصورة السيئة التى يصورها المناقضون . . وأما أنا فأفخر أن أكون مبشرا . والمبشر شخص يحمل أخبارا مفرحة ، وأنا أحمل هذه الأخبار لكم ولغيركم . لقد كذب بعضهم وأمعنوا فى الضلالة حين اتهموا المبشرين بعمل الحيل الدنيئة وتقديم الرشوة المالية وغير المالية والتنويم المغناطيسى . أنتم تعرفون يا أبنائى أن التبشير أسمى من ذلك وان المبشر لا يمكن أن يحتال على تنصير الناس . . نعم إنا أعلن أنى أحمل البشارة لجميع الناس سواء بسواء . . ولكن أعلن أن ما اتهم التبشير به جماعة المناقضين لا يمكن أن يكون من المسيحية . ونحن نتبرأ من كل من يثبت عليه شىء من ذلك . المسيحية قوية وسامية ونقية . . وهى حياة . . فلا يمكن أن تتصل بها هذه الأمور الحقيرة المهينة . .

ولكنى فى هذا الصباح لا أقصد أن القى عليكم موضوعا عن التبشير وإنما أرغب أن أروى لكم قصة عن مبشر هارب وسأقصها من أولها . .

— ٢ —

يوحنا مرقس يرافق المبشرين

قالت الأم لابنها : « يا يوحنا ، جاء خالك برنابا اليوم وأخبرنى أنه سيذهب مع بولس للتبشير بين الذين فى عبر البحر . وهو يسأل إن كنت تحب أن ترافقهما ! ؟ ! »

فقال الولد : « أنا أبشر ؟؟ »

وابتسمت الأم ، وقالت : « لست أظن أنهما يقصدان أنك تبشر . ولكن يظهر أن بولس عنده تعب فى عينيه ، وربما تنفعه فى كتابة الخطابات له . ولا أقصد أنك تقرر الأمر بسرعة ! أنا أرجو أنك تفكر فى الموضوع الليلة وتصلى . وفى الصباح سيأتى خالك وبولس ليعرفا ما استقر عليه رأيك ! ! » .

ولست أعرف كم صلى يوحنا درقس تلك الليلة . ولكنى متأكد أنه فكر كثيراً . وإنى أتصور أنه كان يحاول النوم ويتحايل عليه بسبب افتكاره فى هذا الموضوع — وأنا أتخيله وهو نائم يحلم بالسفن تسير فوق البحار ، والملاحين والبلاد البعيدة و . . و . . و . . الخ

وفى الصباح الباكر قام ليخبر أمه أنه عزم على الذهاب !!

وعند ذهابه طلبت منه أمه أن يواظب على الكتابة لها . وفعلا كان يكتب لها عن الأشياء الغريبة التى كان يراها أو يسمعها . كان يصف

السفن وهى تسير ، والملاحين وهم يتكلمون بلغاتهم الغريبة ، وأغانيهم وهم ينشرون الشراع أو يطوونها !!

كتب لها عن جزيرة قبرص الجميلة وعن كرومها وعن زيتونها وعن طيورها ذات الريش الجميل . . وكتب أيضا شيئا عن الساحر « عليم » الذى اكتشف بولس حيلته وأوقع عليه العقاب وختم خطابه بالقول : « أنهم سيتركون قبرص ويذهبون إلى بمفيليه وهى بلاد بعيدة عن العمران » .. قال « ربما يمر وقت طويل قبل أن أتمكن من الكتابة لك . . وغالبا لن يكون رجوعى إلى الوطن قبل عدة أشهر !! »

— ٣ —

عودة مرقس

ولا تسل عن دهشة أمه فى ذات ليلة عقب استلامها هذا الخطاب ، عند ما فتح باب البيت ودخل يوحنا مرقس !!

وقد ركضت أمه لتسلم عليه ، ولكنها لاحظت على وجهه عدم « الانبساط » . كان لونه أصفر ، وتجلت التعاسة فى عينيه . كانت ثيابه ملوثة بغبار السفر . وكان حذاؤه مملوءاً بالوحل . وظهر كشخص سافر مسافات طويلة دون أن يقف ليستريح أو ليأكل أو يشرب !

وقالت له : « تعال يا يوحنا تناول عشاءك وبعد ذلك يمكنك أن تخبرنى قصتك !! »

وفى تلك الليلة جلس يوحنا وأمه حول النار وروى لها كل ما حدث له .. قال :

« سار معنا كل شيء حسنا حتى وصلنا إلى برجة بمفيليه . وكانت أمامنا جبال عالية ، وقال بولس إن علينا أن نعبر تلك الجبال وقد ابتدأ الظلام عندما بدأنا رحلتنا هذه . والناس القلائل الذين قابلونا منعونا عن التقدم ونصحونا أن نرجع قائلين أنه خطر جدا أن نعبر جبال «طورس» ، فهناك اللصوص فى الكهوف ، وهناك السيول ، وهناك الطرق الشاقة والوحوش الكاسرة . وأن كثيرين قبلنا حاولوا عبور تلك الجبال فاختفوا ، ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك . ولكن بولس أصر على الذهاب ! !

وفى تلك الليلة بتنا على جانب الجبل ، وقد نام بولس وبرنابا . أما أنا فلم أقدر أن أنام . وكنت طول الليل أسمع عصف الريح ، وهدير السيول وقد أبصرت مرات كثيرة عينى ذئب على الجانب الآخر من النار التى أشعلناها حولنا ! !

ولما جاء الصباح نظرت إلى ميناء برجة ، فرأيت السفن التى وصلنا فيها لا تزال هناك . فنزلت من الجبل بسرعة تاركا بولس وبرنابا نائمين ، وأخذت قاربا الى قبرص ، وآخر من هناك الى سلوكية ، ومن سلوكية جئت إلى هنا ماشيا بأسرع ما يمكن !! »

وبعد ان سكت قليلا قال : « هل اخطأت يا أماه ؟ ! » ولكن أمه ظلت ساكتة » .

وعندئذ أدرك من نفسه أنه أخطأ . فقال : « سامحينى يا أماه ... لقد كنت جبانا !! »

فقالت أمه : « ستكون لك فرصة أخرى يابنى . لقد فشلت هذه المرة، ولكن ستكون لك فرصة أخرى . وعندئذ إذا سرت بقوة الصلاة فلن تفشل ! ! » .

انقضت على هذه الحادثة عشرون سنة . بولس الآن فى السجن وحيداً . كان المسيحيون مضطهدين تحت حكم الموت . وكان يعرف أن موته قريب ، لقد تركه بعض أصدقائه وهو يعرف أنه لا يوجد كثيرون عندهم الشجاعه الكافية ليقفوا بجانبه ولكن يوجد البعض وخصوصاً شخص معين مخلص يشتاق أن يراه . . . وهو على النور الضئيل فى السجن يكتب خطاباً الى تيموثاوس يقول فيه : « احضر معك مرقس فهو نافع لى » . ثم يضع القلم ليفكر فى ذلك الشاب الذى ترك مكانه مرة وهرب ... الشاب الذى ظن أنه لن يعثر عليه ، ولكنه فيما بعد كان جنديا أمينا للمسيح — وهكذا تمكن أخيراً من إزالة اللطخة من ترسه ، واسترجع الاسم الطيب الذى كان قد أضاعه ؟ ! !

٦٠

وانغ يسامح

أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم باركوا لاعنيكم
وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم (لو٦: ٢٧و٢٨)

قصة اليوم قصة حدثت فى أيام الصين القديمة ...

إلى غربى « تنغ شنغ فو » ألوف وربوات من القرى المنتشرة فى إقليم « شانتنغ » فى إحدى تلك القرى ربى شاب يدعى « وانغ » . وكان فقيراً جداً لا يملك سوى فدانين اثنين من الأرض لا يكفيان للقيام باود حياته الضرورى .

وكان وحيداً لأن أبويه ماتا منذ صباه ولم تمكنه ظروف حياته وما هو عليه من ضنك المعايش من التزوج ، ولكنه كان يقطن مع أرملة عجوز فقيرة تستحق أيضاً من يعولها . وهى لم تكن من قرباه إلا بنوع معنوى ، فإنها كانت قد تزوجت بعمه ، ومات ولم ترزق منه أولاداً . مع هذه الأرملة عاش « وانغ » المذكور !!

وكان فى قريته فتى يضاهيه عمراً ، ويختلف عنه حالاً !! فإن ذلك الفتى كان من أسرة شريفة عريقة الحسب ، كثيرة المال . وبذلك تيسر له أن يدرس فى المدارس العالية ، ويحصل على أعظم الدرجات العلمية المدرسية ،

وقد أنهى دروسه ولما كان غير محتاج إلى احتراف حرفةالتدريس أو حرفة أخرى لتحصيل معاشه ، كان يصرف أوقاته فى النزهة أو الانضباب على مطالعاته ليستعد بذلك للامتحان ونيل درجة أعظم تدر عليه الخير الكثير وتأتيه بالربح الوفير !!

وفى ذات يوم سكر ذلك الشاب مع رفقائه سكراً شديداً ، كاد يفقده الرشد ، فخرج من الحانة ثملا ، وفيما هو مار فى الشارع التقى بـ « وانغ » فبادره بالسباب دون سبب . وأفضى ذلك بهما إلى الملاكمة والمصارعة وكان الفوز طبعاً للقوى . ومعلوم أن القروى أشد قوة وأعظم بطشاً من ابن المدرسة ، ولذلك فاز « وانغ » على خصمه وصرعه « ودرمغه » على الأرض !!

فقام الفتى المغلوب من فوره ، وهرع إلى بيته وجاء بمسدسه وحشاه بارودا ، وأفرغه فى وجه خصمه ! ! وإذ كان قريباً منه جدا أثر البارود فى وجهه وأتلف عينيه ففقد بصره .. وللحال عاد الفتى إلى رشده ،وعلم أن ما صنعه بخصمه سيعود عليه بسوء العاقبة !

فاقتاد الحاضرون « وانغ » إلى منزله ، وهو فى شدة الألم ، وفى شدة التعطش للانتقام من خصمه .

ولكن لما علم الضارب أن النتيجة ستكون وخيمة طلب إلى رفقائه ، فأسرعوا إلى منزل « وانغ » يترضونه بالوعود والهبات حتى يرضى عن خصمه. فلم يكن ذلك إلا ليزيده هياجا ، ويضرم فى فؤاده جذوة الانتقام المتقدة

فلما رأى أصحاب الفتى الموسر أن كل المواعيد تذهب عبثا عمدوا إلى إرهاب « وانغ » مبرهنين له أن كل مساعيه تذهب سدى لأن خصمه قوى غنى ، يستطيع أن يفسد عليه مساعيه ، ويبطل مفعول دعواه . فلم يرض « وانغ » بذلك بل بالحرى ازداد اصرارا على عزمه وتشبثا بمطالبه ، فتركوه ومضوا . أما هو فرفع دعواه إلى المحكمة ، ولما كان فقيرا وكان خصمه قويا لم يفلح فى المحكمة لأن الرشوة تعمى عيون المبصرين !! وكم من قضية واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار ، يحصحص فيها الحق كالصبح لكل ذى عينين سليمتين ، يخرج منها صفر اليدين . ذلك لداعى الرشوة التى تعوج القضاء ، وتهضم الحقوق . فلما لم ينجح « وانغ » فى المحكمة الابتدائية رفع دعواه أيضا إلى محكمة الاستئناف وفى هذه أيضا لم يفلح لأن الدراهم انشأت فى البحر طريقا . وفشل « وانغ » وضاقت به الحيل !!

فلما رأى أن كل مساعيه ذهبت أدراج الرياح ، وأنه لم يعد له مطمع بعد كل ما ناله من الاذى فقد البصر ، جمع كل ما كان له وعزم على الذهاب إلى بكين عاصمة الصين ليعرض أمره على البلاط الملكى لينصفه من خصمه القوى . وإذ كان لا يستطيع أن يبصر استأجر غلاما كى يقوده وكان عليه أن يمشى نحو مائتى ميل حتى يصل إلى بكين . وكان لابد من مروره « بتستنين » ، فلما دخل المدينة ، وجد أن أجرة الفنادق مرتفعة ، وطمعا فى أن يوفر بعض النقود التى معه ، ليرشى بها الذين يمكنه أن يتصل بهم من ذوى الحل والعقد ، بات قدام بوابة كبيرة ، فجاءه أحد اللصوص ليلا واستلب كل ما كان معه من النقود . فأصبح وقد ضاقت الدنيا به بما

رحيت ، وعزم على الانتحار مرارا لولا أمله فى الظفر بخصمه وحبه فى الانتقام منه .

ولما كان لابد « لوانغ » من الذهاب إلى بكين ، إذ كانت أقرب إليه من الرجوع إلى بلده اقتضى له أن يتسول لكى يحصل على ما يسد رمقه ، وحدث أنه تعرف فى « تنتستين » بأحد الكتبة فى ديوان الحكومة ، فقص عليه أمره ، وطلب منه ارشاده ومساعدته فى مايؤول لنفعه ، فأشار عليه ذاك بترك أمانيه وآماله الباطلة ، مبرهنا له أنه طالما هو معوز بهذه الحالة ، وخصمه فى هذه الدرجة من القوة واليسار ، فلا يستطيع أن يفوز عليه أو يغلبه ، خصوصا وأن حالة بصره لا تمكنه من السعى اللازم ، ولكن « وانغ » لم يسلم بذلك ، وهون عليه حبه فى الانتقام من خصمه كل عسير ، فعارض أشد المعارضة . وإذا كان ذلك الكاتب لطيفا رقيق الجانب ، وقد أخذته الشفقة عليه ، أشار عليه أن يجتهد أولا فى إصلاح بصره بدخوله إلى مستشفى صينى فى تلك البلدة ، حتى إذا ما نال نعمة البصر يمكنه حينئذ أن يسعى بنفسه للحصول على مبتغاه . فرضى « وانغ » بذلك ، ودخل إلى مستشفى المرسلين الانجيليين ، وهناك بذلت معه عناية كبرى وعولج معالجة حسنة وبشر بإنجيل يسوع ، فلم تمض عليه أربعة شهور فى ذلك المكان حتى استنار جسديا وروحيا . فإن صحة بصره عادت إليه تقريبا .. وحبه للانتقام تحول إلى دعة ولطف عديمى المثال .

وقبل أن يترك « تنتستين » ترك ما كان له عند أخيه الذى أساء إليه ،

فسامحه فى قلبه وطلب أن يعتمد فاعتمد ورجع إلى وطنه حاملا رزما كثيرة من الكتب المقدسة والكراريس الدينية ، وحالما وصل إلى وطنه ورآه خصمه على هذه الصورة ارتعد ارتعادا لامثيل له ظناً منه أنه انما جاء لكى ينتقم منه، ولكنه صافحه بكل لطف ودعة وأعلمه أنه قد صار مسيحيا ، وأنه لا يجازى عن شر بشر اقتداء بسيده المسيح . وأنه يجب أن يطمئن على نفسه فلا يخاف بعد . وقال له أننى لو لم أصر مسيحيا لكان أول شىء أفعله هو أن أبطش بك فى الحال .. أما الآن فلا داعى للخوف والحذر !

ولكن عدوه لم يصدق ذلك التغير العجيب ، بل ظن ذلك الكلام من باب الخداع والغش ليجعله يطمئن له ثم يقضى منه مرامه بعد ذلك . غير أن الأيام مضت ولم يحصل شىء مما كان يتخوف منه فثبت له أن كلام « وانغ » حقيقى لا ريب فيه !!

وجاء أحد أعمام خصم « وانغ » وقرأ الكتاب المقدس معه وتمكنت بين العم « ووانغ » روابط الصداقة ، وكان ذلك العم بركة خصوصاً أثناء ثورة « البوكسرس » فانه استطاع أن ينقذ مئات من المسيحيين من أجانب ووطنيين من أفواه أولئك الأسود الضارية ...

فانظر كيف يفعل انجيل ابن الله فى تغيير القلوب ، وتحويل الغضب إلى دعة ولطف وخير عميم .. وقل شكرا للمسيح الذى يقودنا معه فى موكب نصرته آمين !!

٦١
صندوق العساكر

« جندى صالح ليسوع المسيح (٢ تى ٢ : ٣) »

صبينا صبي جميل وصغير . كان كبقية الأولاد يشتهى أن تكون له لعب وحلوى .. لكن أمنيته الأولى كانت أن يحصل على صندوق عساكر ولم يحتفظ « هنرى » بأمنيته فى سره ، فقد استطاع أن يجد المناسبة ليخبر عمه . . بل بالحقيقية أنه لم يتعب فى التفتيش عن « مناسبة » لأنه أبدى رغبته بكل بساطة ، بينما كان عمه منهمكا فى الحديث مع أمه فى موضوع هام . ولم ينس «هنرى» أن يذكر عمه أن عيد ميلاده على الأبواب . . يوم الجمعة الآتى !!

فلما جاء يوم الجمعة أقبل ساعى البريد ومعه طرد مربع ، وقال «هنرى» ضاحكا : « أنا أعلم ما هو ، إنه صندوق العساكر .. ولكن لما فتحه ورأى ما فيه تجلت أمائر الخيبة على وجهه وقال ، أنها عساكر خشب !! »

وكان «هنرى» لا يفكر أن تكون العساكر من خشب . فكل العساكر « المعقولين » يجب أن يصنعوا من الرصاص . على انه برغم عدم رضاه عنهم بذل جهده بالطبع ليلعب « معهم » فأخرجهم من الصندوق ورتبهم فرقا ووقف بجانبهم وصاح : « الى الامام سر » ولكنهم تسمروا مكانهم كما لو كانوا قد صنعوا . . أوه لقد كانوا مصنوعين حقا من خشب ..

وقد عثر « هنرى » بين عساكره على واحد مصنوع من الرصاص برتبة « كولونيل » ـ راكب على حصانه ولكنه عندما امتحن هذا الضابط بأكثر دقة أصابته خيبة أخرى فصاح . هه .. لقد لصقوه بحصانه . ولم يقلل احتقاره لهذه اللعبة معرفته أن الطريقة الوحيدة لجعل الحصان ينط كانت بالقبض على ذنبه ودفعه للسير هو وراكبه « الكولونيل »

واشترى « هنرى » من نقوده المتوفرة مدفعين صغيرين من النحاس ؛ ثم طلب من أمه قرشا ليشترى بعض البارود !

وصاحت أمه باندهاش: « بارود !! هل تريد أن تطير رأسك ؟؟ » ـ ولذلك اضطر « هنرى » أن يعمر المدفعين بتراب الفحم ، ولو أنه لم يعجبه تماما !

وفى أحد الليالى بعد أن لعب « هنرى » مع عساكره طويلا ، وكانوا فى نهاية البلادة ـــ أبلد من المعتاد ـــ حل ميعاد النوم ، فأخذ هنرى « الأورطة » « بحالها » وقذف بها دفعة واحدة ، بشىء من الخشونة ، فى الصندوق ، وأغلق الغطاء . وفيما هو يفعل ذلك لاحظ أن أحد العساكر بلغ من اهماله أنه « انحاش » بين الغطاء وحافة الصندوق ، فتعلق هناك وبرزت رأسه إلى الخارج !!

وقال هنرى : « كويس على شانه .. خليه يتعلم .. يجب أن يكون عنده ذوق أكثر » .

وحالما ذهب هنرى الى فراشه ، استغرق فى نوم عميق ، ولكنه بعد مدة استيقظ ، أو ظن أنه استيقظ . كان نور فى الغرفة ، وأمكن هنرى

أن يرى كل الأثاث الموجود فيها بكل وضوح ، وتطلع إلى الصور والستائر ثم استقرت عيناه على المائدة التي وضع عليها صندوق العساكر ، وأبصر العسكري الصغير ورأسه المحشورة بين الغطاء وحافة الصندوق . وجعل يفكر عن كمية الفائدة التي عادت عليه من تلك « الحشرة » !!!

وفي اللحظة التالية — إذ كان هنري يراقبه بعين نعسانة — رأى العسكري يشد رأسه ويدفع به إلى فوق فيرتفع الغطاء . وإذ ذاك وقف العسكري على قدميه الخشبيتين ، وبعد أن التفت إلى هنري ليستوثق من نومه ، أيقظ رفاقه فخرجوا واحدا واحداً من الصندوق . وآخر الكل خرج « الكولونيل » على حصانه وهو يطوح سوطه قليلا ، ووقف على الجانب الآخر — وبعد فترة تمرينات وحركات عسكرية فوق وتحت المائدة وقف الكولونيل وصاح :

« اصغاء !! »

فحدث سكوت تام !

— « ما هو الواجب الأول للعسكري ؟؟ » .

فأجابوا جميعاً : « الطاعة ياسيدي »

ثم خرج أحد العساكر من الصف ووقف أمام الكولونيل ، وبعد أن أدى التحية قال :

«دع الغير يفصل ما يبتغيه
دع الغير يأتي كلاماً بفيه

فانى دواماً أطيع رئيسى
بقلب وفى وروح أنيس»

وإذ كان « هنرى » يصغى لهذا الكلام ، تساءل هل كان يطيع دائماً ولى أمره بكل سرور كما ينبغى ؟ ذكر عدة مرات « لوى بوزه » لما طلبت منه أمه أن يساعدها فى شىء صغير — وإذ ذاك قال — يجب أن أحاول أن أكون أحسن !!

ثم بدأ العساكر يسيرون ، وكانوا يترنمون فى سيرهم:

« طريقنا ان كان سهلا ليناً
أو كان شاقاً متعباً علينـــا
نســـير حتما طائعين الآمرا
نطيعه ، سهـــلا بدا أو وعرا»

* * *

وصاح الكولونيل : « إصغاء !! »
ما هو الواجب الثانى للعسكرى !!

فأجابوا جميعاً : « أن يكون صاحياً ياسيدى !! »

ثم خرج أحد العساكر من الصف . كان لا يزال يبدو جامدا خشبياً وكانت بدلته الحمراء تبدو لا بسة جسمه تماماً (ولا عجب فإنها لم تكن بدلة من قماش بل من بوية) فلما حرك يديه بدا كلعبة صغيرة — ووقف أمام الكولونيل ورفع ترسه وأشار إلى سيفه وقال:

« بترسى المتين وسيفى الصقيل

حارب دوما لأجل الاعتدال »

ولاحظ هنرى أن جميع العساكر يبتسمون ورأى أحدهم يهمس فى إذن جاره قائلا : « القافية مكسورة » — يا « بل » !!! وقال «بل» : « نعم يا « هارى » أنه شعر ردىء ، لكن معناه جميل جدا » فلما عاد العسكرى إلى الصف ، أمرهم الكولونيل أن يسيروا فظلوا يسيرون فوق وتحت ويمين ويسار . وكان الكولونيل يفكر طول الوقت .. وإذا به يقول فجأة :

« وقوف ! » ثم سأل : « أين البروجى ؟ »

« هنا يا سيدى » ثم وقف ولد صغير . وكان هنرى قد رأى هـذا « الكائن » فى « فترينة » دكان لعب . وقد أعجبته نظراته كثيرا . كان مستقيما ورشيقاً وفى يده بوقه وجربنديته (حقيبته) وقبعته اللطيفة !!

فحياه الكولونيل بكل لطف ثم قال : —

والآن دعنا يابنى نسمع قطعتك »

نعم ياسيدى

أنا بروجى صغير !

أصغر من أن أحارب

لكن بوقى الكبير

قضيـة الحق يجاوب

لمـا الجنود التعابى

تسير ببطء كثير
والوجه منهم حزين
والقلب فيهم كسير

إذ ذاك انفسخ بوق
أردد صوت السرور
صوت طويل وعال
شجيّ بملء الحبور »

وحدث سكوت قصير، ثم قال الكولونيل : « حسن جداً. استمر لى ضمير . .

« لى ضمير يصيح
هو بوق صريح
إلى الواجب يدعونى
فالقول من فيه فصيح »

ولكن الشعر الأخير لم يمكن قوله ، إذ بدا ذعر مفاجىء بين العساكر وفى عجلتهم داسوا بعضهم بعضا إلى أن وصلوا بأمان إلى صندوقهم . ولقد كان دخولهم بعجلة وباضطراب حتى أن أحدهم أغلق الغطاء أسرع من اللازم، فانحشرت رأس آخر عسكرى بين الغطاء وحافة الصندوق . وبقى هناك ورأسه تطل إلى الخارج !!

وقال «هنرى» ، وهو يقوم من فراشه : « هيه .. لقد رأيتكما » ووثب من مكانه ورفع الغطاء ونظر إليهم نظرة جافة . ولكن لم يكن هناك أى صوت أو اشارة!!

فقال لهم «هنرى» لا داعى للتظاهر .. لقد رأيتكم !!»
ومع ذلك فلم يكن صوت ولم تكن اشارة !!
وقال « هنرى » :

« حسنا ، أنا أعرف ما ينبغى أن أعمل . عندما أذهب إلى فراشى اليوم سأترك الغطاء مفتوحا وإذ ذاك سنرى!!»

٦٢
كنيسة فى حانة

«وأسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة
بالله على هدم حصون (٢كو ١٠:٤)»

يصادفنا أيها الأحباء كثير من العراقيل فى عملنا من أجل ملكوت المسيح وأحيانا نتضايق فنفكر أن نترك الخدمة ولذلك رأيت أن أقدم لكم قصة رواها مودى عن نفسه تعلمنا أننا بالمواظبة على الصلاة نستطيع أن نهدم أعظم حصون الشر .. قال :

« فى بدء عملى فى خدمة الله فى شيكاغو تجدد أحد رجال الأعمال من مواطنى مدينة بلتيمور . وبعد أن أقام فى شيكاغو ثلاثة شهور غادرها عائدا الى مدينته . وقبل قيامه أخبرنى باسم شخص يقيم فى شارع — وقال إنه يهتم بأمره كثيرا — وقد أخبرنى أن للرجل ابناً فى المدرسة الثانوية ، وأن الولد وأختين صغيرين له وأختهم لم يتوجهوا قط الى أية مدرسة أحد لأن والديهم يمنعانهم .. ورجا أن أزورهم .

وذهبت لزيارتهم فوجدت الوالدين يقيمان فى الحانة التى يديرها الأب . وتقدمت اليه وأخبرته عن غايتى فأجابنى أنه يفضل أن يرى أولاده سكيرين وابنته زانية من أن يسمح لهم بالذهاب الى مدارسنا !!؟ !!

كانت مقابلته لى فى غاية الخشونة ، ولكنى ذهبت مرة ثانية مفكراً أنى ربما أجده فى حالة أحسن . . غير أنه قابلنى نفس المقابله إن لم يكن أسوأ ، وأمر خادمه أن يرينى طريقى إلى الخارج !!

ذهبت مرة ثالثة ، وكان مزاجه هادئاً ، فقال : « إنك تحدثنى كثيرا عن الكتاب المقدس ، غير أنى مستعد أن أسمح للأولاد أن يذهبوا إلى مدرستك إذا كنت تعلمهم شيئاً معقولا من مثل « عقل العصر » للمؤلف « باين » !! » .

وجلست أتكلم معه أيضا ، وفى نهاية الحديث قال: «إن وعدتنى بقراءة كتاب « باين » ، فانى أعدك بقراءة العهد الجديد !! » .

وحتى أربحه وعدته ، وقبل هو هذه الصفقة . تبادلنا كتبنا ، وهذا أعطانى الفرصة أن أزوره مرة أخرى لأتحدث مع عائلته .

وفى أحد الأيام قال لى :

« أيها الشاب : لقد تحدثت كثيرا عن الكنيسة . . . يمكنك أن تقيم كنيسة هنا ! »

— « ماذا تقصد ؟ »

— « أقصد أن أدعو أصدقائى هنا وأنت تعظ لهم . وليس معنى ذلك إنى أصدق كلمة واحدة مما تقوله ، وإنما هو من باب معرفة ما إذا كان وعظك يفيد أحدا منهم !! »

فقلت : « حسنا جدا . والآن لنحدد وقتاً معيناً » ـ فطلب منى أن أحضر

فى الساعة الحادية عشرة وقال : « وأرجو أن تعلم أنك لن تكون المتكلم الوحيد !! »

— « وكيف ذلك ؟ »

— « أنا افتكر أنى أنا أتكلم أيضا ، وكذلك أصدقائى ! »

فقلت : « لنفرض أنكم تأخذون ٤٥ دقيقة . وأنا ١٥ فقط . . هل يلائمك هذا ؟ »

ورأى هو أنها قسمة عادلة . . كان عليه هو واصدقاؤه أن يتكلموا الـ ٤٥ دقيقة الأولى وأنا أتكلم الـ ١٥ الأخيره .

وفى الميعاد نزلت الى الحانة ، فلم أجد أحدا . فظننت أن الرجل قد سحب كلامه ، ولكنى علمت فى ما بعد أنه رأى صغر حانته فذهب الى حانة جاره . . وذهبت هناك فوجدت المكان مزدحما . وكان الموجودون خليطا من ملحدين وكافرين ومجدفين — وكنت قد أخذت معى ولدا صغيرا بالفكر أنى أجد منه بعض المعونة فى حالة الحاجة الى ذلك ! !

وحالما دخلت استقبلونى بسيل من الأسئلة ، ولكنى أجبت أنى لم آت لمناقشة أسئـــلة طال أمد مناقشتها بدون نتيجة . وقد أخذوا يتكلمون ويتكلمون الى أن انتهت الـ ٤٥ دقيقة .

فلما جاء دورى قلت : « إننا نبدأ عادة خدماتنا بالصلاة — لنصل » . وصليت — وحالما انتهيت صلى رفيقى الغلام الصغير — آه كم كانت صلاته عميقة !! صلى الى الله لكى يرحم أولئك القوم الذين يتكلمون ضد ابنه الحبيب . وكان صوته يرن فى جوانب المكان كصوت ملاك . فلما قمنا من

جثونا حاولت أن أتكلم ولكن لم تكن فى المكان عين غير باكية .
وخرج جميعهم واحدا بعد آخر .

وجاء الرجل العجوز الذى حاولت عدة شهور أن أجذبه وكان يظهر أن محاولاتى فاشلة . جاء ذلك الرجل ووضع يده على كتفى وقد ملأت الدموع عينه وقال : « يامستر مودى يمكنك أن تأخذ أولادى إلىمدرسة الأحد! »

وفى الأحد التالى جاءوا — وبعد عدة شهور تقدم الابن الأكبر باكيا إلى المنبر وقال : «أرغب أن تصلوا من أجلى لأنى أريد أن أكون مسيحيا!!» وسمع الله الصلاة واعطى إجابة ...

* * *

والآن اقرر أنى بين كل معارفى لم أعرف انسانا كان الوصول إليه أصعب مما كان مع هذا الرجل وأنا أؤمن أننا إن طرحنا أنفسنا بثقة على عملنا فلن يوجد إنسان يستحيل الاتيان به إلى المسيح !! ليس يهم ما هو اسمه إن كنا نذهب إليه فى اسم سيدنا ، ونثابر معه إلى أن ننجح .

سنحصد فى وقته ان كنا لا نكل ؟!

٦٣

الرجل الذى حمل المسيح

« نيرى هين وحملى خفيف (مت ١١ : ٣٠) »

— ١ —

بين كل القصص الموضوعة فى تاريخ الكنيسة فى عصرها الأول لا توجد قصة تفوق قصة «خرستفورس» فى جمالها وفائدتها — وهو يصور كجبار ضخم وفى يده عكاز ضخم ، وهو يعبر نهرا فائضا حاملا على كتفه طفلا !!

وتقول القصة أنه كان أقوى رجل فى جيله . ولما كان ولدا كان أشجع من كل الأولاد الذين حوله . وصار ينمو فى القامة والقوة والشجاعة حتى صار جبارا عظيما لا يقدر أحد أن يصارعه أو يغلبه فى حرب أو صراع ، بل كان قادرا أن يغلب كل الشبان الذين أرادوا أن يجربوا قواتهم معه !!

ولما شب صار جنديا وقدم نفسه محاربا تحت لواء قائد بعد آخر باحثا عن أقوى سيد ، فإنه إذا كان يعرف ماهى القوة لم يرد أن يخدم أو يحارب إلا مع القائد القوى الصنديد حتى يستطيع أن يتباهى به . وفى تلك الأيام كانت البلاد تعج باللصوص ورؤساء العصابات الذين يحارب أحدهم الآخر ، فانتقل « خرستفورس » من سيد إلى آخر كان يبحث دائما عن السيد الأقوى فينتظم فى خدمته ، ثم متى وجد من هو أقوى منه تركه وذهب إلى الأقوى !

وأخيراً صار فى خدمة ملك ظنه أقوى جميع الملوك الذين حوله وصار فخوراً بسيده الجديد وسارت الأمور معه حسناً إلى أن سمع سيده ذات يوم يقول إنه خائف من الشيطان !

فقال «خرستفورس» : « بما أن الشيطان أقوى من هذا الملك فأنا أترك خدمته وأخدم الشيطان !! ». ومن ذلك اليوم أصبح «خرستفورس» يكرم الشيطان ويطيع السيد الذى ظنه أقوى مخلوق فى العالم ، وهو روح الشر ومحبة الذات الذى له تجثو تقريباً جميع ملوك وحكام الأرض !!

أما كيف خدم « خروستفورس » الشيطان فلا أقدر أن أقوله لكم بالتفصيل . وإنما تقول القصة إنه تبعه أياماً كثيرة ، وسار فى الأرض يخضع الناس لارادته الشريرة !!

وذات يوم فى أثناء جولانهما فى الأرض أتيا إلى مكان لم يكن « خرستفورس » قد وطأه قبلا ، فرأى فى السهل صليباً من الخشب منصوباً على قارعة الطريق .. وإذا اقتربا منه ارتعش سيده بغتة ، واختلجت قدماه . وولى بوجهه إلى ناحية أخرى وأراد الهروب!!

فقال له « خرستفورس » : ماذا دهاك ، ولماذا ترتعش هكذا .. وما معنى هذا النصب الخشبي العالى ؟؟ »

فأجابه سيده : «أنى أبغضه لأنه أشارة ذاك الذى هزمنى ، فقد حاولت عبثاً أن أتغلب عليه ، فلم أجد لذلك سبيلا !!»

— « وما إسمه ؟ ؟ »

ــ « إنى لا أنطق بإسمه البتة ، ولا يمر على شفتى!! »

وإذا رأى « خرستفورس » سيده يرتعش وينكمش ويولى الأدبار، وهو يلعن ويجدف قال له : « إذن . . أنا أترك خدمتك ، وأبحث عن هذا السيد القوى وأخدمه !! » .

— ٢ —

كان هذا فى بلاد وثنية ، حيث لم يسمع « خرستفورس » كلمة عن المسيح من أحد ، ولكنه بدأ من تلك اللحظة يبحث عن واحد يقدر أن يشرح له معنى هذا الصليب الذى رآه على قارعة الطريق .

أخيراً سمع عن ناسك عجوز يقيم بجانب النهر على مقربة منه، وأنه قادر أن يشرح له كل ما يريد ، فقصد إليه فى الحال . كان فى تلك الأيام نساك كثيرون يقيمون فى أماكن منفردة يتأملون ويصلون لأجل الآخرين أيضا . وهذا الناسك لم يكن رجلا كسولا ، بل اعتاد أن يرشد السياح الذين يمرون به ويساعدهم . ولما كانوا يعبرون ليلا، والنهر سريع الجريان، كان يقوم فى الظلام ويضىء مصباحه وينير لهم الطريق حتى يعبروا النهر بسلام.

وشرح الناسك العجوز « لخرستفورس » معنى الصليب الخشبى الذى رآه على قارعة الطريق وكيف أن المسيح جاء وخلص الناس من طرقهم الشريرة ، وأعلن لهم الله الآب ومحبته ، وأخيراً صلب لأجلهم ليعرفوا تلك المحبة ، وأن صليب المحبة هذا قد غلب الشيطان ، وصار قادراً أن يحمل خطايا العالم كله !

فأصغى « خرستفورس » لهذا الكلام بكل دهشة وتعجب ، وأخيراً

توسل إلى الناسك ان يخبره كيف يمكنه أن يكون رجل المسيح ويخدمه كل حياته !؟

فقال له الناسك : « ان خادم المسيح يجب أن يحتمل الصعوبات والاساءة بفرح كما حملها هو . وإذا أردت أن تكون رجله فعليك أن تضع قوتك هذه التي هي أفضل شيء عندك تحت أمره ولخدمته . وهذا معناه أنك تخدم الفقراء والمحتاجين . وهاك هذا النهر إنه يجرى بسرعة ، والمخاضة عميقة فقدم قوتك لمساعدة السياح الذين يعبرون هذا النهر » .

وأقام «خرستفورس» في البرية في كهف بالقرب من مجرى النهر ، وانفق أيامه يحمل المسافرين على ظهره من هذا الجانب من النهر إلى الجانب الآخر وبهذه الحياة المملوءة من انكار الذات والعمل المتواضع كان يأمل أن يناله غفران الخطايا والسلام الذى لم يجده فى العالم ، والذى من أجله تركه وجاء إلى وحدة البرية : ولكن البحر المضطرب كان أكثر هدوءا من نفسه . لم يستطع النهر أن يغسل لوثات ذنبه من قلبه . كان إذا سمع أية دعوة يسرع لتلبيتها ليحمل أيا دعاه إلى الشاطىء الآخر . وكلما كان الحمل ثقيلا والامواج عاصفة والخطر كثيرا كان أكثر رضاء . وقد طال أمد خدمته فى ذلك العمل ، ولكنه لم يجد فيه الراحة التى كان ينشدها !

وفى إحدى الليالى كان نائما فى مغارته الموحشة . وكانت ليلة مظلمة وعاصفة ، وكان البحر فى أشد حالات ثوراته . ولم يبد كوكب واحد فى كل

القبة الزرقاء ... فى تلك الليلة سمع « خرستفورس » صوتاً أعلى من زئير الأمواج وصريف الرياح .. وكان صوت استغاثة !!

جاء الصوت من الناحية الثانية من النهر وكان صوت طفل . لم يسبق له أن سمع صوتاً نظيره .. أصغى ، وهذا ما سمعه : «تعال وخذنى لأعبر النهر»

ولأول مرة فى حياته فى الصحراء أحس بعدم رغبته فى ترك فراشه والخروج إلى الظلام والعاصفة والنهر الثائر . ولكن صوت الطفل جاء إلى قلبه المتقسى وكان رقيقاً كتغريد البلابل ، ولكنه كان ايضاً حاداً اخترق إلى مفاصل النفس والروح — وهذا ما وصل إلى أذنيه : —
« احملوا نيرى عليكم ... فتجدوا راحة لنفوسكم ! »

ولقد كانت هذه كلمات غريبة جداً على ذلك القديس الجبار الذى احتمل كل نير ، والذى لم يكن مستعداً أن يقبل أن يتعلم من أى انسان . كم بالأحرى من طفل !!

ولكن قوة جديدة جذبت أوتار قلبه ، ولذلك قام وله قصد قوى أن يطيع الدعوة . كانت الدعوة من طفل وكان العمل بسيطاً بالنسبة للاثقال التى سبق له أن حملها ، ولذلك لن يكون عمله عظيماً ، إذ ما هو حمل طفلا صغيراً .. وماذا يضير لو أنه بقى على الجانب الآخر إلى الصباح ؟ بل ماذا يهم لو أنه غرق فى النهر ؟! .. ولكن ها هو يقوم ليحمل الطفل إطاعة لذلك الصوت الذى ظل يسمعه !

« تعال .. لأن قصصى قد ابتل بندى السماء ورياح الليل شديدة البرودة . تعال .. تعال »

وذهب الى العاصفة الهوجاء ، ونزل فى النهر المخطر ، ولما وصل الى الناحية الثانية وجد طفلا له جمال فائق يمد يده نحوه ويقول :

« تعال .. تعال . خذنى على عاتقك . نيرى هين وحملى خفيف »

وكانت حول جبين الطفل هالة من النور ، كما لو كانت رأسه قد تكللت بعقد من الكواكب . وقف الجبار لحظة خاشعا . . ثم جثا على ركبتيه ولكنه ظل اكثر ارتفاعا، فانحنى أيضا وطلب من الطفل أن يطرح جسمه الصغير على عاتقه وأن يتعلق بذراعيه فى عنقه . .

واشتد عصف الرياح ، واسود وجه السماء ، وأصبحت مخاطر الطريق مخيفة ، واضطربت قدما الجبار فى بعض الأجزاء ، وفى بعضها كاد عكازه يفلت من يده بسبب الأمواج الشديدة . على أن ذلك القديس المكافح كان بين حين وآخر يسمع صوتا رقيقاً يهمس فى اذنيه :

« لا تخف لأنى معك لا تتلفت لأنى الهك . قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى »

وفى أثناء العاصفة الشديدة التى هبت خارجه ، والعاصفة الأشد داخله وقعت الكلمة « برى » على أذنه بردا وسلاما .

« بر من ؟ »

خرج القديس ليقيم بر نفسه .. كان مستعدا أن يسكب دمه ليطهر نفسه

ولكنه لم يجد راحة .. والآن وهو يغوص فى فيضان أعمق والتيار أشد من أن يقاومه عكازه ، سمع نفس الكلمات الحلوة من الشفاه التى مست أذنيه :

« إذا اجتزت فى المياه فأنا معك ، وفى الأنهار فلا تغمرك ... لأنى أنا الرب الهك قدوس اسرائيل مخلصك » ...

وحينئذ علم أنه « الرب » الطفل المقدس يسوع . لقد أخذه فى ذراعيه ووضعه على عاتقه ، وأحنى عنقه لخدمته .. وبقلب راض ومحبة رقيقة خضع لنيره . وفجأة شعر بأن قوة جديدة قد دبت فى جسمه ، وإذ ذاك بدأ بسرور وبنصرة يدوس طريقه .. فقد وجد الرب .. « الرب برى » .. ليس أعمالى الصالحة بل بر الرب .

وذهب الطفل الى مغارة القديس حيث أعلن شخصه وخلاصه للجبار الذى إذ كان يخلص آخر وجد خلاص نفسه . وأعطاه « الطفل المقدس » اسما جديدا « خرستفورس » ومعناه « حامل المسيح »

هكذا وجد أقوى رجل سيده فى الصبى الصغير الذى حمله !!

٦٤

زهرة الثلج والكندش

« مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (اع ٢٠ : ٣٥) »

— ١ —

ولادة زهرة الثلج

فى صباح يوم بارد جدا فى أول فبراير ولدت زهرة الثلج ، وقد شقت طريقها خلال قطعة صغيرة من الجليد . وأغرتها شعاعة شمس ضئيلة ففتحت عينيها للعالم وإذ ذاك رأت نفسها فى حديقة عشة عتيقة .

وبغتة سمعت صوتا طروبا يقول :

« صباح الخير ! »

رفعت زهرة الثلج وجهها الدقيق الأصغر ، وأبصرت طائر الكندش (طائر كالغراب ولكنه أظرف منه) جالسا على سور الحديقة .

وقال الكندش للمرة الثانية :

« صباح الخير .. أعاد الله عليك يومك بالسعادة »

وارتعشت زهرة الثلج وقالت :

« أرجو ألا يرينى الله أياما كثيرة كهذا اليوم !! »

وأجاب الكندش :

« أوه إن عقيدتى أن أستفيد أكثر ما يمكننى من حاضرى !! »

وقالت الزهرة :

« نعم ... ما أسهل الكلام .. أن لك ريشا يدفئك ، وتستطيع أن « تنط » من هنا لهناك وترقص . أما أنا فملتزمة أن أقف مكانى..وأصقع... أسفاً على . ليتنى لم أولد !! ».

واجاب الكندش :

« كلا . لا يجوز أن تستسلمى لليأس هكذا . انظرى إلى هذه البنفسجة التى تحت السياج . أنها زرقاء من البرد ولكنها لا تشتكى . ولا شك انى أصاب أحيانا كثيرة ولكنى إذا ما اشتد على البرد ، او ابتل جسمى ، او احسست بالجوع فإنى أحاول أن أضحك.وأناأنصحك أن تعملى نظيرى!!»

ولكن زهرة الثلج لم تجب . كانت تنشج فى صمت ودموعها تفيض على وجهها الصغير إلى أن استغرقت فى سبات .

— ٢ —

اضطراب فى الحديقة

وفى الصباح التالى عند ما فتحت زهرة الثلج عينها كان اليوم صاحياً أكثر من الأمس . وكانت الشمس ترسل أشعتها البهية على المكان..أبصرت « الكندش » رابضاً فى مكانه على السور !

وقال لها : « صباح الخير .. لقد استيقظت مبكرة هذا الصباح !!! »

فاجابت الزهرة بغضب : « لست أكثر بكوراً منك !! »

وقال الكندش : «أوه الحق انى بكرت هذا الصباح .. فأنا أحس بشيء من التعب ... ولكنى » ــ وهنا فرد جناحيه ــ « يجب أن أحاول و ...
« طراخ » !!
فصاحت الزهرة وقالت :
« ما عسى أن يكون هذا ؟ »
ولكن الكندش اختفى ولو أن ريشتين أو ثلاث ظلت تطير من هنا إلى هناك فى الحديقة !!

وهمست الزهرة : « لابد أن يكون قد قتل !! » . . ولكنها فى تلك اللحظة سمعته « يقرق (وهو قهقهة الطيور) » وأدارت رأسها فابصرت الطائر الجريح قريباً منها جداً . وقد حاول مرة ومرات أن يطير ، ولكنه كان يقع على الأرض بعد أن يرتفع قليلا . وفى إحدى تلك المحاولات لمحت الجو الأزرق من خلال ثقب فى جناحه .

وفى اللحظة التالية قبض عليه ، ووضع فى قفص ثبتوه على سور العشة ، ولحته فاذا هو عابس نوعاً . ولكنه بعد ذلك بقليل عند ما اقترب من قفصه طفلان نظر اليهما بابتهاج ، وظل يصعد وينزل على قضبان القفص ، ويضع رأسه فى الثقب الموجود فى جناحه ويضحك !!

وأحست زهرة الثلج ، وهى تنظر اليه ، بخجل شديد من نفسها ، وتمنت لو أنها كانت فى شجاعته !!

وحدث أن تلاقت عيناهما هى والطائر فأرسلت له ابتسامة . . كانت

الابتسامة الأولى فى حياتها . وقد ساعدت هذه الابتسامة على دفعها إلى النوم فنامت وهى تحس بسعادة لم تحس بها من يوم أن ولدت !!

— ٣ —

الزائرون

وسمعت حس خطوات وأصوات فى الحديقة !

« ماما .. ياللأسف ، لا توجد زهورات بعد فى الحديقة !! كم كانت « جين » تسر لو أننا أخذنا لها شيئاً من الزهر عند زيارتنا لها فى المستشفى !؟! »

اضطربت زهرة الثلج ، وغاض الدم من وجهها فإذا هو أبيض جداً . وقد تمنت من كل قلبها أنهم لا ينظرونها !!

— « ماما .. ماما . . هنا زهرة ثلج صغيرة يا ماما !! »

كانت الزهرة مستعدة أن تبذل كل شىء فى سبيل نجاتها . كانت مستعدة أن تشكر الله حتى على جناح مصاب . ولكنها فى اللحظة التى حاولت أن تتملص رأت نفسها وقد اقتلعت من جذورها !!

أما ما حدث بعد ذلك فقد جهلته الزهرة . أحست بألم حاد كثير المدى ، وأدارت رأسها ، فكاد يغمى عليها وبدت العشة تتراقص أمام عينيها . .

وبينما هى محمولة مرت بقفص الكندش فأخرج منقاره من بين قضبان القفص وصاح بها :

« اجتهدى أن تضحكى »

ولكن الزهرة اغمى عليها فى اللحظة التالية !!

فلما استيقظت رأت نفسها فى المستشفى

— ٤ —

المستشفى

بدا كأنه لا يوجد أحد مستيقظا إلا زهرة الثلج . كانت فى زهرية زجاجية مملوءة ماء ، وكان يمكنها بسهولة أن ترى ما يحيط بها . فأبصرت صفوفاً من الأسرة الصغيرة عليها أطفال مرضى مستغرقين فى نومهم .

وفى تلك اللحظة استيقظت « جين » الصغيرة . ونظرت حولها نظرة ساهمة ، وقد تقطب جبينها ، ولكن بغتة زالت أسارير قطوبها ، وابتسمت وهى تصفق بطرب :

« أوه ايتها الزهرة العزيزة المحبوبة .. كم أنا مسرورة إذ أراك !! » .

ثم مدت يدها المشتاقة ، ورفعت الزهرة من الماء وقبلتها .. وابتسمت زهرة الثلج فى سرها وقالت :

« لم يخطر ببالى أن أكون فى مثل هذه السعادة !! »

أمسكت الطفلة المريضة الزهرة فى يدها المحمومة ، وأحست زهرة الثلج بنعاس غريب .. وعادت إلى فكرها بغتة صور الحديقة والكندش ، وجعلت تفكر وتفكر وتبتسم فى نومها إلى أن ذبلت بسلام .. وبهدوء !!

٦٥

ساعة جيب

« فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة (أم ٤ : ٢٣) »

آية موضوعنا هذا الصباح ليست هى الآية التى قلتها لكم الآن مع أنها تصلح لذلك . افتكر أنى أطلب أن تقدموا أنتم اليوم آية من عندكم . مرة كانت آية المسيح : طيور السماء ومرة أخرى : الزارع فى الحقل... وهكذا أما آيتنا اليوم فهى « ساعة جيب » !!

من منكم عنده ساعة ؟ أية ساعة ؟ سواء كانت ساعة حقيقية أو ساعة لعبة ؟ ! . . . نعم ساعتك أنت حقيقية ... ياترى هل هى مضبوطة ؟ .. .. تقول أنها ليست مضبوطة دائماً ! ما سبب ذلك ؟

أنا أعرف أنه يمكنك أن تقص علىّ حكايات كثيرة عن ساعتك لو كنا وحدنا . ستقص على كيف أن أباك قدمها لك فى يوم عيد ميلادك وأنك بها جد فخور ، وأنك تنظر إلى كل الساعات فى البيت والشارع وفى كل مكان لتتحقق أنها مضبوطة ...

وقد يعنّ لك أن تخبرنى أن ساعتك وقعت منك مرة وأنها وقفت لسبب ما ولم « تمش » بعد ذلك !!

والآن سأقدم لكم سؤالا أؤكد أنكم ستجدون له بعض الإجابات :

والسؤال هو : « هل ترون أى تشابه بين الولد والساعة ؟ » — لنتأمل معاً بعض الردود على هذا السؤال ! !

أولا : يوجد تشابه بين الولد والساعة لأن كليهما داخل « جسم » ! ليست الساعة بالطبع كائناً حياً مع أن الولد قد يظنها كذلك عند ما يسمعها « تتكتك » ! !

كان « كزوفورد » مترسلا فى أواسط أفريقيا، وقد أخذ مرة بعض الساعات إلى الأهالى هناك، فخافوا منها . أخـذ زعيم عجوز منهم ساعته وغلاها فى النار لكى يشفيها من ذلك الطنين الذى كان يسمعه داخلها ! ! والآخرون «قتلوا» ساعاتهم وأخرجوها من « علبها » ، واستعملوا «العلب» للنشوق ! ! !

وجسم الساعة يصنع دائماً من معدن صلب، لأن الساعاتى يعرف أنه على قدر متانة هذا الجسم تكون الآلات الدقيقة التى فى الداخل بعيدة عن كل أذى !

ولعل الساعة تشكر للساعاتى هذا المعروف ، لأنه شىء جميل أن تكون داخل جسم متين !

وهذا هو السبب الذى لأجله نحب أن نرى الشبان فى ساحة الألعاب الرياضية يتمرنون على الألعاب المختلفة أو يرفعون الأثقال ! فإن هذه الألعاب ليست مجرد لهو ، وإنما هى شىء نافع . . . فإننا نعيش أطول ونعمل شغلا أحسن إذا كنا مثل الساعة داخل جسم صالح ومتين .

والولد يشبه الساعة ثانياً لأن لكل منهما وجهاً ! توجد علامات سوداء على وجه معظم الساعات . . . ولكن ليس من الضرورى أن نشبه الساعة فى كل شىء .

والآن يوجد شىء عام بخصوص الولد أو البنت أو الساعة — ذلك أنه ليس من السهل دائماً أن تعرف الطيب منهم بمجرد النظر الى وجهه ! !

وهذا يذكرنى بقصة ولد اسمه هارى كان وهو صغير يرغب كثيراً أن تكون له ساعة . . . وكثيراً ما ضايق والديه بطلب ساعة . أما أبوه فكان يقول له إنه ليس من الحكمة أن يشترى ساعة رخيصة بل الأفضل أن ينتظر حتى يشترى ساعة جيدة ! ! وهارى لم يكن راضيا على هذا الكلام وكان كثيراً ما يقف أمام فاترينات الساعات وهو ذاهب الى المدرسة . وفى ذات يوم رجع الى البيت متحمساً للغاية وقال لأبيه : « لقد رأيت اليوم ساعة جميلة ميناؤها من الفضة وأرقامها من الذهب أما ثمنها . . . كم تظنه يا أبى ؟ ؟ إنه فقط عشرون قرشا ! ؟ ! — أما الساعة التى كانت بجانبها فلم تكن جميلة مثلها ومع ذلك فان الثمن المكتوب عليها كان مائة قرش !! » . . قال : « وأنا متأكد أن الساعة الفضية « لقطة » حقاً — كما هو مكتوب على البطاقة ! ! » .

وقد أصغى اليه أبوه ، ولكنه رفض أن يقتنع بكلامه ، بل قال له : « يابنى . . . يجب الا تحكم على الساعة من وجهها . . . فإذا كان ثمن الساعة التى أعجبك شكلها عشرين قرشاً وثمن الساعة البسيطة مائة قرش — فإن البائع لم يذكر شيئاً عن الآلات فى الساعة الرخيصة ! ! » .

وكان هارى قد نسى كل شىء عن الآلات ..

ثم استطرد ابوه قائلا : «أنه من المزعج والمؤسف أن تكون لنا ساعة لا نستطيع أن نعتمد عليها فى حفظ الوقت مهما كان وجهها جميلا !! »

وفى هذه نحن نشبه الساعات . ان الناس لا يحتاجون إلى الأولاد والبنات ذوى الوجوه الجميلة ... نعم أنه شىء جميل أن يكون الانسان جميل المنظر ، ولكن المثل القديم أن الجمال هو جمال العمل !!

لاحظوا الاعلانات فى الجرائد ، وعلى واجهات الدكاكين تجدوا أن المطلوب ليس أولاداً وبنات ذوى منظر جميل بل المطلوب «أولاد وبنات نافعين يعتمد عليهم فى العمل » — وهذا ما يجب أن يكون، فإن الولد أو البنت أو الساعة التى لا يمكن الاعتماد عليها لا تساوى ثمنها ولو كان عشرين قرشاً فقط !!

وهناك سبب ثالث للشابهة بين الولد والساعة هو أن لكل منهما يدين . والصعوبة الكبرى هى فى كيف نجعل الأولاد والساعات « يستخدمون » اليدين استخداماً صالحاً . فى بعض الأحيان تكون اليدان سريعتين جداً . كنت حاضراً مرة فى حفلة شاى لتلاميذ مدرسة أحد ، وقد جلس الأولاد حول الموائد ، وما كادوا يسمعون آخر كلمة من الصلاة حتى أسرعت « ايديهم » إلى « الكيك » . كانوا يخطفون ويتشاجرون ويتنازعون ، ولولا أن معلمهم زجرهم لما حصل الصغار منهم على شىء ثم بعد

الشاى بينما كانوا يلعبون احتدّ واحد منهم ورفع «يده» وضرب ولداً صغيراً ضربة جعلته يصرخ من الألم !!

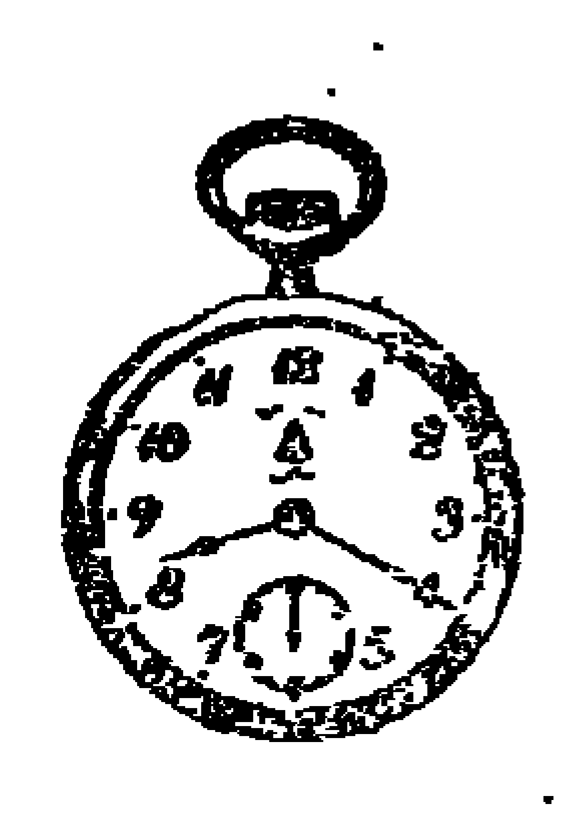
وإذا كانت أيدينا (كيدى الساعة) سريعة جداً فإنها فى بعض الأحيان تكون بطيئة جداً .. الأيدى الكسلانة الملتصقة بجيوبنا .. الأيدى التعبانة التى لا تريد أن تساعد الأم فى غسل الأطباق أو فى ملاعبة الأخ الصغير أو فى قضاء شىء .. هذه الايدى تحتاج إلى من يعلمها كيف يجب أن تكون !!

وهذا يعود بنا إلى هارى . لما كبر وأصبح قادراً أن يهتم بساعته اشترى له أبوه ساعة جيدة . كانت ساعة جـــديدة وكان هارى معجبا بها : وقد سارت معه مضبوطة مدة سنتين أو ثلاث سنوات ثم فسدت . فاليدان عملتا اعمالا مدهشة . فأحياناً تسرعان كثيراً ، وفى بعض الاحيان كانتالا تتحركان تقريبا ، وكثيرا ما اغتاظ منها هارى وقد احتملها بصبر إلى أن كان صباح أحد الأيام أنه استيقظ فى الميعاد كما كان يظن ، ولكنه لما نزل إلى تحت وجد أنه استيقظ قبل ميعاده بساعة فاشتد حنقه عليها وحملها فى نفس اليوم إلى الساعاتى وأخذ يشرح له الفصول التى كانت تعملها معه « يدا » الساعة ـ ولكن الساعاتى لم يصغ لكلام هارى بل ولم ينظر إلى اليدين (العقربين) وإنما وضع نظارته على عينيه وفتح الساعة ونظر داخلها ثم قال :

هذه الساعة تحتاج إلى تنظيف ـ وبعد أن « مسحها » لم يعد هارى يتعب من « اليدين » .

هذا من جهة الساعة . . ومن جهتنا نحن فإنه إن كانت أيدينا بطيئة أو سريعة ، إن كانت كسلانة أو خشنة أو متراخية فلا فائدة من تفكيرنا فى الأيدى . لتكن صلاتنا : « طهر قلوبنا » . . وعندما تتطهر قلوبنا ، وتتنقى أفكارنا ورغائبنا فحينئذ تكون أيدينا صالحة !!

والآن يظهر أننا أطلنا فإن الساعة قد وصلت إلى ١٠ وربع . . ولذلك اكتفى بما قلت !!!



٦٦

مودى والكتاب

« ناموس الرب كامل يرد النفس .
شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيما (مز ١٩ : ٧) » .

— ١ —

لم يكن مودى ملكا ولا أميراً ولا وزيرا ولا سياسياً كبيرا ، ولا شخصية بارزة فى عالم المال أو العمل، وإنما كان رجلا عادياً ... عادياً جداً يمسك فى يده كتاباً هو سلاحه القوى . كان مودى مبشراً .

ولعل أول سؤال يتبادر إلى إذهاننا هو ما سر عظمة خدمة مودى ... ونستطيع أن نقول بيقين إنه فى « الكتاب المقدس ... »

كان مودى رجل الكتاب . لم يكن فى أول أمره واعظا كتابيا . كان كجمهور الوعاظ الآخرين يلقى أفكاره هو ، فقط يضع فى أولها آية من الكتاب المقدس . وكان الناس يسمعونه بشوق وبسرور ، وكانت كلماته الحلوه تجذب لسماعه الألوف . ولكنه لم يكن المبشر المفلح إلا عندما صار « الواعظ الكتابى » . كان الناس يسمعونه أولا فيرقصون إعجابا ، ولكنهم عندما سمعوه ثانيا بعد أن جعل الكتاب سنده فى الوعظ ، صاروا ينوحون ويبكون ! !

أما كيف صار مودى رجل الكتاب المقدس فحادثة تتصل بشخصية

أخرى كان لها أكبر الأثر على حياة مودى ونعنى بها شخصية « هنرى مورهاوس »

— ٢ —

كان « هنرى مورهاوس» أحد أولئك المبشرين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم « المبشرين الكتابيين » — وهم مبشرون جعلوا كل استنادهم فى الوعظ على الكتاب المقدس .

ولد « مورهاوس » سنة ١٨٤٠ وعاش غارقا فى الأثم إلى سن العشرين، ولكنه تجدد بكيفية معجزية فى الوقت الذى كان ينوى فيه أن ينتحر . وقد أخذ يكرز بالإنجيل من يوم تجديده . ولم يكن يملك شكلا يساعده على النجاح . . فقد كان (شكله) منفراً إلى حد ما . . كما كان فقيراً جداً فلم يستطع أن يحصل على قسط كاف من التهذيب ، ولذلك كانت بداءة خدمته عرجاء بل كسيحة ، ولم يكن يملك من أسلحة الخدمة العظيمة غير نسخة الكتاب المقدس !!

وفى سنة ١٨٦٧ تقابل « مورهاوس » و « مودى » فى لندن . كان « مودى » يعظ فى دار مرسلية ، وأصغى إليه « مورهاوس » خمس دقائق عرف فيها أن « مودى » لا يعظ الكتاب ، وليس فى عظته من الكتاب إلا الآية . وبعد الوعظ اتجه إليه وقال له بصراحة أهل وطنه : يا «مودى» أنت غلطان لو أنك تعظ كلام الله لا كلامك أنت لصيّرك الله قوة عظيمة » واستاء « مودى » جداً من الملاحظة ، خصوصاً وقد كان يرى نفسه أصلح الوعاظ . ولم تترك الملاحظة فى ذهنه إلا أثراً ضعيفاً .

غير أن «مورهاس» ثبت ملاحظته بممارستها عمليا ، فإنه رغما عن إرادة « مودى » اتجه إلى شيكاغو . وفى غياب « مودى » ألقى عظتين فى ليلتين متواليتين عن الآية « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) — وعاد « مودى » من غيابه ليجد جماهير غفيرة تأتى لتسمع الشاب الانجليزى الذى يعظ عن آية واحدة سبع عظات متوالية ، والذى لا يقسم الوعظ إلى ثانياً وثالثاً ورابعاً .. بل يأخذ الآية بكليتها ثم يغوص فى التوراة من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا ليبرهن أن الله أحب العالم فى كل الأجيال ..

وقال « مودى » فى نفسه وهو يسمعه : «انى لم أعرف ان الله أحب العالم هكذا ، فابتدأ قلبي يخفق ولم أقدر أن أحجز دموعى المتهاطلة .. قد كنت معتادا أن أعظ أن الله وراء الخاطىء حاملا سيفاً ذا حدين ليضربه به ، ولكنى من ذلك اليوم شرعت أعظ أن الله وراء الخاطىء بمحبه ، وان الله يركض والخاطىء أمامه يهرب من محبته !! »

وظل «مورهاوس» يعظ عن محبة الله بانيا كل حقيقة يقولها على أسس من الكتاب ومن الكتاب وحده . وفى الليلة السابعة رقى المنبر .. وهذا ما كتبه مودى عنه قال :

« كانت كل عين عليه ، والجميع راغبون أن يعرفوا ماذا كان مزمعاً أن يعظ — أما هو فابتدأ وعظه بالقول : «ياأصحابى لقد اجتهدت أن أجد آية جديدة أعظ عنها هذه الليلة فلم أجد أنسب من الآية القديمة (يوحنا ٣:١٦) وعظ سامية على ذلك العدد العجيب .. ولا أزال أذكر خاتمة تلك العظة ..

وهى : أيها الأصحاب لقد قصدت فى كل الاسبوع أن أخبركم كيف أحب الله العالم، على أن ذلك متعذر على بهذا اللسان القاصر . ولو استطعت أن أرقى سلم يعقوب ، وأسأل جبرائيل الواقف فى حضرة القدير عن مقدار محبة الله للبشر لكان كل ما يقدر أن يقوله : « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية !! »

وقد كان ذلك إعلانا جديداً لمودى عن غنى الكتاب الذى لا يستقصى إلى حد لم يكن يحلم به من ذى قبل . ومن ذلك الوقت صار من أعظم دارسى الكتاب المقدس اجتهادا .. ومن ذلك الوقت صار واعظا كتابيا يقدم كلام الله لا كلام « مودى » .

كان يحضر لسماع مودى أطباء ومحامون وقضاة وعلماء ، وكان عصره كعصرنا يتمسح باعتاب العلم ويعتبر الكتاب المقدس كتابا قديما فات أوانه ولكن « مودى » لم يجرف بالتيار ولم تجتذبه العصرية الكاذبة ، بل ظل يقدم الكتاب والمسيح الذى فى الكتاب ، ونجح وكان نجاحه عظيما !!

إن سر قوة خادم الإنجيل فى الكتاب .

٦٧

مودي ومدرسة الأحد

« هذا إناء مختار ليحمل اسمى . . . (اع ٩ : ١٥) »

استطاع مودى أن يأتى - بنعمة الله - بألوف إلى المسيح - وبلغ من الشهرة أعلى ذروتها فلا تنس أنه مدين بما وصل إليه - إلى حد كبير - لمدرسة الأحـــد

— ١ —

ثلاثة أيام

كان « د. ل . مودى » رجلا عظيما وكان كل يوم من أيامه يوماً عظيما. لم يعش عمراً طويلا فى عدد السنين ، ولكن غُنم سنيه القلائل كان غنم أجيال . ونحن إذ نلقى نظرة على موكب أيام مودى - الأيام القليلة التى غزا بها العالم ، واستخلص لسيده من يد العدو ألوف النفوس ، نرى تلك الأيام وقد اكتست بالنور ، ووضع كل منها تاجاً من مجد على هامته . على أننا نلمح فى ذلك الموكب ثلاثة أيام ممتازة يبدو لمعانها أشد من غيرها . . .

وكأننا نرى أكليلها أكبر وأمجد .. . هى الثلاثة الأيام التى كانت فاصلة فى حياته ..

أما اليوم الأول فهو اليوم الذى سلم قلبه فيه للمسيح ، واليوم الثانى يوم بدأ كعضو فى الكنيسة يكرس جزءاً من وقته لخدمة المسيح ، واليوم الثالث يوم اعتزل عمله الدنيوى وكرس كل وقته للخدمة المقدسة !!

— ٢ —

يوم تجديد

كان (مودى) يعمل فى متجر عميه فى مدينة (بوستن) وقد اشترطا لقبوله أن يكون شاباً طيباً هادئا مجتهداً ومواظبا على الكنيسة ومدرسة الأحد ، وقد تمم مودى الشروط كلها ، ومن ضمنها الشرطين الأخيرين فكان يذهب إلى كنيسة (مونت فرنون) والتحق بمدرسة الأحد .

على أنه لم يستفد بالمرة من راعى الكنيسة ، وكان إذ ذاك الدكتور (كرك) الذائع الصيت ، لأن الشاب الصغير كان يجلس فى مقعد خلفى ويستسلم لنوم لذيذ طول مدة الخدمة . وبالطبع لم يلحظ الدكتور (كرك) شيئا من ذلك :

أما فى مدرسة الأحد فقد كان يضطر أن يستيقظ لأن عين المدرس مستر (كمبل) كانت تلتفت هنا وهناك : وكان مودى لا يعرف شيئا بالمرة فى الكتاب فى أول الأمر ، حدث أن طلب منه مستر (كمبل) أن يقرأ بعض أعداد من إنجيل يوحنا فأمسك الكتاب وظل يقلب فيه ورقة ورقة من

سفر التكوين ، حتى وصل إلى قرب الآخر . وكان ينتظر أن يمر يوحنا دون أن يراه لولا أن « كمبل » أشفق عليه وأراه الموضوع . وكانت المناقشات الكتابية تلذ له ، فكان ينتبه لها وإن كان لا يشترك فيها . وظل « مودى » يحضر مدرسة الأحد تلميذاً طيباً هادئاً مستكملا لكل الآداب الخلقية .. ولكنه لم يكن متجدداً .

واهتم مستر « كمبل » مدرس مدرسة الأحد بتلميذه الشاب الصغير « مودى » وفكر أن يتكلم معه عن تسليم قلبه للمسيح . وانتهى به العزم إلى أن يذهب اليه فى مخزن الأحذية الذى يعمل فيه . وكان قد رتب الحديث الذى سيقوله ، ولكنه عند ما دخل إلى حيث كان « مودى » نسى كل شيء وكان كلامه مضطرباً ضعيفاً . قال له إن المسيح يحبه ، وإن هذه المحبة تتطلب محبة مقابلها . لكن يظهر أن مودى كان جاهزاً فقد كان روح الله قد أعده وهناك فى مخزن الأحذية ـ بعد كلمات ضعيفة غير مرتبة من مدرس فى مدرسة الأحد ـ سلم مودى نفسه للمسيح ...

ولعله يلذ لنا أن نعرف أن خدمة مستر « كمبل » لم تمر بدون فائدة شخصية له لقد ربح للعالم أعظم رجل ربح نفوساً للمسيح ، وهذه مكافأة كبيرة لذلك الخادم الأمين ... ولكن مستر « كمبل » نال فائدة أخرى ، ذلك أنه بعد تجديد « مودى » بنحو سبعة عشر عاماً كان يعظ فى مدينة « ورستر » فى مقاطعة « ماساشوستس » وتصادف أن جاء ابن « كمبل » لزيارة عمه ، وقدم الشاب نفسه لمستر « مودى » بصفته بكر معلمه القديم . ..

— « ماذا ؟ هل أنت ابن مستر كمبل من بوستن ! ما اسمك ؟ »

— « هنرى !! »

— « أنا مسرور جداً ياهنرى . . . هل أنت مسيحى ؟ »

— « لا ياسيدى لست أظن أنى مسيحى !! »

— « كم عمرك ؟ »

— « سبعة عشر عاماً ! »

— هنرى! لما كنت فى سنك وكنت أنت رضيعاً فى المهد جاءنى أبوك ووضع يده على كتفى وطلب منى أن أسلم حياتى للمسيح . كان هو الشخص الوحيد الذى تحدث معى عن ذلك لأنه أحب نفسى . والآن أنا أرغب يا ابنى الحبيب أن تكون مسيحياً . هنرى ! هلا ترغب أن تكون مسيحياً ؟ »

— « نعم يا سيدى أظن أنى أرغب ! »

فجلسا معا وفتح مودى كتابه ، وأصغى الشاب الصغير بانتباه الى الكلمات التى بدأت تؤثر على نفسه اكثر واكثر ،وأخيراً ركعا وصليا وقام « هنرى كمبل »إنساناً جديداً . . .

أظن أنه يحسن أن نؤجل الحديث عن اليوم الثانى والثالث إلى مرة أخرى !!

٦٨
مودى فى الخدمة

« لأنك ستكون شاهدا لجميع الناس بما رأيت وسمعت (اع ٢٢ : ١٥) »

كانت أيام مودى الثلاثة وثيقة الاتصال بمدرسة الأحد . فقد كتب تجديده مدرس فى مدرسة الأحد . ورسم يوم خدمته وتكريسه مدرس آخر

اليوم الثانى

— ١ —

بعد أن تجدد « مودى » انضم إلى الكنيسة وكتب اسمه فى سجل العضوية وما اكثر الذين تنتهى حياتهم الروحية عند يوم انضمامهم لعضوية الكنيسة . على أن « مودى » لم يكن كذلك — إنه يرى أن انضمامه إلى الكنيسة هو بدء حياته ، حياة جديدة هـــنا على الأرض . وكذلك نراه وقد انتقل إلى « شيكاغو » يبحث عن ميدان لخدمة سيده ، وقد عثر على مدرسة أحد فى شارع « ولز » وعرض أن يخدم فيها كمدرس فى مدرستها عصر الاحد . ولكنهم أخبروه أن المعلمين الستة عشر الموجودين هم اكثر كثيراً مما يحتاجون، إذ أن عدد تلاميذ المدرسة لا يزيد على الاثنى عشر . وقالوا إن حاجة المدرسة هى بالأكثر إلى تلاميذ لا إلى معلمين . . . وحضّوه على الإتيان بتلاميذ

— ٢ —

وفى الاحد التالى جاء « مودى » ومعه ١٨ ولداً من أولاد الأزقة ، فى ثيابهم الرثة وفى أشكالهم الزرية . ومع أن البعض اشمأز من رؤيتهم الا أن « مودى» لم يكترث لذلك ، فقد رآهم لا متشردين كما دعاهم الآخرون بل نفوساً تحتاج الى الخلاص . وقد دفعه هذا النجاح الى أن يبحث عن أولاد آخرين حتى ضاقت مدرسة شارع « ولز » بطلبتها وأصبحت فى حاجة الى معلمين اكثر . .

وفى ذلك الوقت تعرف «مودى » بمن صارت بعد أربع سنوات شريكة حياته ، وكانت إذ ذاك فتاة صغيرة عمرها ١٥ سنة وهى : « أماس ريفل» — وكانت احدى المدرسات فى مدرسة الاحد ! !

— ٣ —

وفى سنة ١٨٥٨ قرر مودى أن يضطلع بأعباء أعظم فى خدمته هذه فأنشأ مدرسة أحد أخرى فى حى آخر من المدينة ، ورافق النجاح مجهوداته حتى اضطر الى البحث عن مكان اكبر . وقد حصل عليه فى شارع السوق الشمالى ، وكان عبارة عن صالة كبيرة تخص البلدية . وفى تلك الصالة بدأ مودى عمله الذى ظل ينجح وينجح ، والذى تطور فيما بعد الى كنيسة « الينوى » التى خدم فيها مودى فيما بعد ! !

لم تكن الصالة جميلة الظاهر ، ولكنها كانت كبيرة تسع الجماهير الغفيرة من تلاميذ مدرسة الأحد ، وهؤلاء كانوا يشبهون البناء الذى اجتمعوا فيه. لم يكن بينهم من هو على درجة محترمة . اكثرهم بالبنطلون والقميص . وحتى هذه كانت عند أغلبهم رثة وبالية . وكانوا « أشقياء » بدرجة فظيعة . وكان يبدو من المستحيل ضبطهم وكان أصدقاء مودى يطلقون عليهم لقب « ذئاب » لكن الترتيـــل كان يسحرهم . .،وكان الأولاد الذين يبيعون أوراق اليانصيب منهم يملكون حناجر قوية ورئات شديدة ، فكانوا عندما يرتلون يهزون جدران المكان . وكانت آذان الجيران وأذنا « مودى » تتأذى كثيرا من أصواتهم العالية جداً — وكان المعلمون يبذلون جهداً جهيداً فى حفظ انتباه الأولاد . . . وقد أفلحوا إلى حد بعيد . . . وعند انصراف التلاميذ كان « مودى » يقف عند الباب ، ويصافح كل ولد وكل بنت بالاسم إذ كان يظهر أنه يعرف الجميع . ولا بد أن ذراعه كان « يصل » طول الأسبوع من حركة السلام ، ولكنه لم يشك من ذلك ! !

— ٤ —

وفى مدرسة الأحد هذه كان مودى يشغل جملة وظائف ! فكان هو البواب والفراش والمعلم والناظر معا . وربما يحسن أن نسمع ما كتبه هو عن ذلك قال :

كان يوم الأحـــد يوماً حافلا بالأعمال الكثيرة بالنسبة لى . كنت أشتغل فى بيع الأحذية خارج المدينة طول الأسبوع . ولكنى كنت أرتبه

أن أعود السبت مساء . وكثيراً ما كنت أصل غرفتي حوالى نصف الليل ، ولكني كنت أستيقظ مبكراً جداً إذ كان على أن أعد الصالة لمدرسة الاحد . كانت البلدية تؤجر الصالة مساء السبت لجمعية ألمانية كانت تقيم فيها حفلات رقص . وكان على أن أنظف الصالة من بقايا زجاجات البيرة وأعقاب السجاير ، وأعيد ترتيب المقاعد . وكنت « أستحرم » أن أشغل عاملا فى هذا الأمر يوم الاحد . فكنت أقوم بذلك بنفسى أو بمساعدة أحد تلاميذ المدرسة . وكانت هذه العملية تأخذ منى جل ساعات الصباح . وبعد ذلك كنت أخرج لأدعو التلاميذ . وفى الساعة الثانية تمتلىء القاعة وتبدأ خدمات مدرسة الاحد . وبعد الانصراف كنت أزور بيوت الذين تغيبوا وأسأل عن أسباب تغيبهم ، وأتفقد المرضى وأدعو والدى التلاميذ لحضور اجتماع الخدمة المسائى . وكنت أحس بعد ذلك تعباً لا حد له حتى كنت أنام وأنا أصلى صلاتى السرية ! ! !

٦٩

مودى يكرس حياته

« وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالساً عند مكان الجباية
فقال له اتبعنى . فقام وتبعه (مر ٢ : ١٤) »

اليوم الثالث

— ١ —

قال مودى: «لم أفقد رؤية المسيح من يوم أن قابلته فى المخزن فى بوسطن .. ولكنى ظللت سنوات طويلة أظن انى لا أستطيع أن أخدم الله. لم يسألنى أحد أن أفعل ذلك . ولما ذهبت إلى شيكاغو استأجرت أربعة مقاعد فى كنيسة وكنت أدعو بعض الشبان ليملأوها — وظللت فى خدمتى هذه مدة . ثم أنشأت مدرسة أحد وكنت أظن أن العدد هو كل شيء ، ولذلك كان كل همى منصباً نحو زيادته . فإذا ما قل العدد عن ألف « تعكننت » . أما إذا ارتفع إلى ١٢٠٠ أو ١٥٠٠ سررت . على أنه لم يكن بين هؤلاء متجدد واحد — لم يكن حصاد — على أن مودى لم ير فى ذلك ما يحركه أو يهزه فقد كان بالحق أفضل من غالبية أعضاء الكنيسة !!

— ٢ —

ولكن الله تقدم إلى « مودى » ، ووضع يده على عينيه فانفتحتا . وكما أننا لا نعرف شيئاً تقريباً بالمرة عن «حنانيا» الذى وضع يده على بولس فنزلت

من عينيه قشور وأبصر وقام يحمل الانجيل الى العالم ، كذلك لانعرف إلا القليل جداً جداً عن ذاك الذى أرسله الله لفتح عينى «مودى» ليقوم ويخدم

ويحسن مرة أخرى أن نستمع لمودى وهو يحدثنا عن هذا التاريخ العجيب . . قال :

كان فى مدرستى صف للشابات ، وكن جميعهن بلااستثناء من «أشقى» نوع . وحدث مرة أن مرض معلمهن وأخذت مكانه . فما كان منهن إلا أن هزأن بى وبالمدرس . . . بل ضحكن علىَّ فى وجهى . وقد بلغت اساءتهن درجة جعلتنى أغتاظ إلى آخر درجة ، حتى خطر ببالى أن افتح الباب وأقذف بهن إلى الشارع وأمنعهن من العودة إلى مدرسة الأحد . — الحمد لله إنى لم أفعل ذلك . . . فلو إنى فعلت ذلك لتغير تاريخى تغييراً كبيراً

وفى نفس الأسبوع جاء إلى مخزنى المعلم المريض . كان وجهه مصفراً وجسمه ذابلا ، وبدا فى شدة المرض . ماذا دهاك ؟ وأجاب : « لقد عاد النزيف إلى رئتى والطبيب يقول إننى لا يمكن أن اقيم بالقرب من بحيرة مشيغان . فأنا ذاهب إلى ولاية نيويورك واظن انى ذاهب لأموت هناك» قال هذا وظهر عليه اضطراب عظيم . فلما سألته عن سبب ذلك اجاب: «إنى لم آت بأحد تلاميذ صفى إلى المسيح ، بل بالحق انا ارى إنى قد اضررت الفتيات اكثر مما افدتهن !! »

لم يسبق أن سمعت شخصاً يتكلم بمثل هذا الكلام فأثار هذا تفكيرى وبعد قليل قلت له : «ماقولك فى انك تذهب وتخبرهن بما تشعر به ، وأنا مستعد

ان أرافقك فى عربتى ، وقبل الاقتراح وسرنا معاً وكانت رحلة لا أنساها .

ذهبنا إلى بيت إحدى البنات وتحدث المعلم معها عن نفسها . لم يكن ضحك وقتئذ بل دموع واعتراف . وبعد أن أوضح لها طريق الخلاص طلب أن نصلى، وأشار إلىّ أن أبدأ ، وكان أمراً جديداً على إذ لم يسبق لى أن أصلى من أجل تجديد شابة ، ولكننا صلينا واستجاب الله .

وذهبنا إلى بيوت أخرى . كان المعلم يصعد الدرجات وهو يلهث من شدة التعب ، وأنفاسه تكاد تنقطع ، ثم يتحدث مع الفتيات عن سبب مجيئه . وكان ينتهى الأمر إلى أنهن يبحثن ويطلبن النعمة من رب النعمة . وفى نهاية عشرة أيام جاء إلى مخزنى ووجهه يتألق وقال : «مستر مودى ان آخر تلميذة فى صفى قد سلمت نفسها للمسيح» . وكانت لنا ساعة ابتهاج !!

ولما كان الرجل سيسافر فى مساء اليوم التالى دعوت الشابات فى نفس المساء لاجتماع صلاة وفى ذلك المكان أشعل الله ناراً فى نفسى لم تنطفىء إلى الآن . كان غاية ما أطمع فيه أن أكون تاجراً ناجحاً ، ولو علمت من قبل أن ذلك الاجتماع سيذهب بمطمعى هذا ما ذهبت !! . ولكن كم من المرات شكرت الله منذ ذلك الاجتماع ...

جلس المعلم المريض وسط تلميذاته وتكلم معهن وقرأ من الأصحاح الرابع عشر من يوحنا . وحاولنا أن نرنم ثم ركعنا للصلاة . وبينما أنا أتأهب للوقوف إذا بإحدى البنات تصلى ، ثم تلتها أخرى وأخرى حتى صلين جميعهن .

وفيما أنا خارج قلت لنفسي: «يارب أفضل أن تحرمني من الحياة من أن تحرمني بركة هذا المساء !!»

وفي مساء اليوم التالي ذهبت لأودع المعلم، وقبل أن يتحرك القطار حضرت إحدى البنات، ثم حضرت أخرى وأخرى حتى حضرن جميعهن دون سابق اتفاق. وقد حاولنا أن نرنم ولكننا لم نستطع. وآخر ما رأيناه عن المعلم يده المرفوعة إلى العلا وهو يقول: «هناك الملتقى.»

وعاد مودي من توديع صديقه وقد صمم على ترك عمله الدنيوي وتكريس كل وقته لخدمة سيده. كان ربحه في سنته الأخيرة من بيع الأحذية ألف جنيه، ولم يكن ينتظر أن يحصل من الخدمة على أزيد من ستين جنيها، فكان عمله تضحية كبيرة وإنكاراً للذات، ولكنه حسب كل شيء نفاية لكي يربح المسيح، وما كان له ربحاً حسبه خسارة من أجل فضل معرفة المسيح واحتمل مودي مشقة كثيرة في أول خدمته، ولكنه إذ وضع يده على المحراث لم ينظر إلى الوراء وبارك الله خدمته.

وعندما نذهب إلى السماء أرجو أن نهتم بالبحث عن مستر «كمبل» مدرس مدرسة الأحد في بوستن والمدرس الآخر في شيكاغو الذي لا نعرف اسمه، وسيكون بالطبع بصحبة جيدة ونجمع الاثنين مع مستر «مودي» ونصرف ساعة تسبيح شكراً للمسيح وذكرى لمدرسة الأحد !!

٧٠

مودى فقط

« قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى
حفظت الإيمان . وأخيراً قد وضع لى اكليل البر (٢ تى ٣ : ٧ و ٨) »

أخشى أن « مودى » سيحتل باستمرار العشر دقائق المرتبة لكم ولذلك سأنهى اليوم هذه السلسلة مؤقتاً . وبما أن مودى صار « حبيباً » لنا فسأنتهز الفرصة بين حين وآخر لأحدثكم عن شىء عنه ...

أما اليوم فسنراجع بعض القصص الصغيرة المتصلة به التى تكشف لنا حقيقة نفسه .

— ١ —

مودى والنحو

لما تكلم مودى أول مرة وكان ذلك فى اجتماع مفاوضة اقترب منه أحد الشيوخ وأكد له أنه يستطيع أن يخدم الله — حسب رأيه — بسكوته لا بكلامه ... وبعد مدة طويلة وكان قد اعتاد الكلام قال له آخر : « ان أغلاطك النحوية لا عدد لها » وأجاب مودى بتواضع : « أنا أعرف أن أغلاطى لا عدد لها وأنى ناقص فى أشياء كثيرة ، ولكنى أعمل جهدى لخدمة سيدى

بالوزنات الضعيفة التى عندى»... ثم صمت قليلا وقال : «أما أنت ياصديقى فان عندك « أجرومية » كفاية . . فماذا تعمل بها لسيدك ؟ »

وفى أحد الجامع الدينية كان «مودى» بين الخطباء ، وبعد أن تكلم أكلت الغيرة بعضهم ، فنهض بعده وشرع ينتقد كلامه قائلا إنه من فضلات الجرائد ونحو ذلك وأصغى «مودى» إليه بكل سكون فلما جلس قام هو وقال : «إن كل ما قاله حضرة الأخ حق لا ريب فيه . وإنى فقير جداً فى المعرفة ، ولا أقدر أن أنشىء خطاباً بليغاً . . وانى شاكر لأخى أنه كشف زللى . وأرجو إذا أراد أن يتقدمنا فى الصلاة إلى الله ليساعدنى أن أعمل فى المستقبل أحسن ! ! » .

— ٢ —

مودى وابنة الحانة

كان «مودى» يهتم بالتعرف إلى والدى تلاميذمدرسة الأحدالتى يديرها وفى يوم أحد شاهد تلميذة جديدة،وعلم أن أمها أرملة فسألها أن تقدمه إليها ويظهر أن الإبنة لم تكن ترغب ذلك فطلبت منه أن يلاقيها فى مكان ما . وذهب «مودى» وانتظر ثلاث ساعات ولكن البنت لم تأت ....وبعدمدة أبصر بها فى الطريق فتقدم نحوها ولكنها لم تنتظره بل ركضت هاربة فركض خلفها . وكانت تجرى فى المدينة إصلاحات بسبب نظام المجارى ، فكان الطريق يسير فى وديان وتلال وجسور .وكانت الفتاة تجرى و«مودى» يجرى خلفها مرتفعاً ومنخفضاً حتى لاقتهما حانة فدخلتها الفتاة وتبعها مودى

ودخلت الفتاة الغرفة الداخلية وأختبأت تحت السرير ومن هناك أخرجها « مودى » . وقابل الأم التى عرف منها سبب هروب الابنة . ذلك أن الأم الأرملة كانت تدير حانة تركها زوجها . وكانت الفتاة ترى أن لا تناسب بين الحانة ومدرسة الأحد . فكانت غير راغبة فى أن يعرف «مودى» عمل أمها .

واكتسب « مودى » العائلة لمدرسة الأحد .. وأغلقت الحانة

وبعد عشر سنوات قابل مودى سيدة فاضلة سعيدة فى بيتها مع زوج فاضل وطفل محبوب .. ولم تكن السيدة إلا فتاة الحانة ! !

— ٣ —

مودى والابن الضال

ذهب «مودى» لزيارة أمرأة على فراش الموت ، وكانت مريضة بالسل. ومكث معها مدة يعزيها بالمواعيد الصادقة من الكتاب المقدس . وقالت المرأة انها مسرورة جداً إذ تعلم أنها منطلقة إلى سيدها وفاديها ولكنها تذهب « محسورة » لأن ابنا لها قد ضل سواء السبيل ، ورجت « مودى » أن يعنى بأمره ، ويعمل على رده إلى الفادى . فلما وعدها « مودى » بذلك أشرق وجهها بضياء وأسلمت روحها بابتسام !!

وفتش « مودى » عن الابن الضال وعثر عليه أخيراً فى فندق . فتوجه إليه وتقابل معه وكان اليوم ٤ يوليو وكان الفندق مزدحماً والطرقات ممتلئة. فسأل « مودى » إن كان الشاب لا يرى مانعاً من الصعود إلى « سطح » المكان . وصعد فى ذلك المكان المرتفع الذى يطل على كل المدينة . رفع

مودى نظره إلى السماء ، وجاءت قوة خاصةوسلم الشاب نفسهللمسيح وركعا معاً يشكران ونزلا مبتهجين ، « مودى » لأنه ربح نفسا للمسيح ، والشاب لأنه سلم نفسه للمسيح !!

— ٤ —

مودى فى انجلترا

ذهب مودى إلى إنجلترا ورتب الأصدقاءأن يتكلم فىأحد الاجتماعات، على أن العادة جرت على ألا يسمح أن يتكلم إلا من يقف ويقترح شكر رئيس الحفلة وكان غالبا أحد النبلاء — وكان رئيس حفلة مودى « الأرل أوف شافتسبرى » — وقرب نهايةالحفلة تخلى الرئيس للنائب الذى قالإنه يسره أن يرحب بابن عمنا الأمريكى القس مودىمن شيكاغو الذىسيقترح شكر « الأرل أوف شافتسبرى »

ووقف « مودى » وكانت كلماته مملوءة بساطة واخلاصاً قال : « لقد ارتكب حضرة نائب الرئيسغلطتين ، فاولا أنا لست القس مودى بالمرة. أنا د . ل . مودى « حاف » أحد العمال فى مدرسة الأحد . وثانيا أنالست ابن عمكم الامريكى فأنا بنعمة الله أخوكم المهتم نظيركم بعمل الله !! »

وبخصوص تقديم الشكر للنبيل « الأرل أوف شافتسبرى » لكونه رئيس الحفلة لا أرى له حقا فى أن نشكره أكثر مما لنا الحق أن يشكرنا . وقد حدث مرة أنهم أرادواأن يشكروا مستر لنكولن لترأسهالحفلة فمنعهم قائلا إنه عمل واجبه .. وهم عملوا واجبهم » !!

ولم يثر هذا الشذوذ من « مودى » إلا زيادة الاعجاب بالأخ د . ل . مودى !!

— ٥ —

مودى والكسيح

زار « مودى » لما كان فى « دندى » رجلا تركت زيارته فى نفسه اثراً لم يمح وكانت موضوعاً دائماً لعظاته وصلواته . وكان الرجل كسيحاً . لما كان ابن ١٥ سنة سقط على ظهره فأصيب بكسر ألزمه الرقاد الدائم . وكانت أقل حركة تسبب له آلاماً لا تطاق ، وكان له يوم زاره مودى أربعين سنة فى فراشه. لم يمر يوم واحد طول الأربعين سنة دون آلام مبرحة . ولكن نعمة الله كانت تزداد له يوماً فيوماً . وصارت غرفته قريبة من باب السماء . قال مودى : «كان يخيل إلىّ أن الملائكة وهى تسير لإتمام المهام السماوية فوق مدينة « دندى » — كانت تنزل لتستريح فى غرفة ذلك الرجل ، ولتتزود قوة ولما رأيته ظننت انه بعيد عن متناول المجرب فسألته :

« ألا يجربك العدو لتشك فى الله فتظن انه سيد قاس ؟ »

وأجاب : « أوه . نعم انه يحاول ذلك . فبما انا مضطجع هنا أرى رفقاء التلمذة يجرون فى مركباتهم فيأتينى الشيطان ويقول : « إن كان الله صالحاً فلماذا ابقاك هنا كل هذه السنين ؟ كان يمكن ان تكون غنياً وتركب عربتك الخاصة كما يركبون !! » .. ثم ارى زميلا من زملاء الشباب يسير بملء القوة فيهمس فى اذنى : « لو ان الله احبك اما كان يستطيع ان يمنع كسر ظهرك؟؟» .

وقال مودى : « وماذا تفعل لما يجربك ؟؟ »

فأجاب الرجل : « لا شيء فقط آخذه إلى الجلجثة واريه المسيح وأشير إلى جروح يديه وقدميه وجنبه واقول له : «ألا يحبنى ؟؟ — وفى الحقيقة هو لا يستطيع ان يقف أمام الصليب لأنه يهرب فى الحال ! » .

— ٦ —

مودى الوديع

كان فى احدى جلساته المقدسة فى الخيمة وكانوا مائة . وقد صرفوا وقتاً طيبا مع الله — وقال « مودى » : « كم منكم ايها الأخوة قد نموا في النعمة بدرجة انهم يستطيعون ان يحتملوا ذكر غلطاتهم لهم ؟ »

فارتفعت إياد كثيرة !!

والتفت « مودى » إلى إحدى تلك الأيادى وكانت لقس اسقفى بجلس قبالته وقال له :

« أيها الأخ لقد تكلمت ثلاث عشرة مرة فى ثلاثة ايام هنا، وأخشى أنك وقفت فى طريق كلام اثنى عشر شخصاً صالحاً ومنعتهم من الكلام !! » — وكان الأمر صحيحاً ، فقد كان ذلك القس يقصد الظهور والبروز ، وكان يقصد ان يعطى لثوبه الكهنوتى الحق فى الكلام أكثر من غيره — على أن القس رفض ان يعترف بالغلطة وجعل يدافع عن نفسه ، لكن دفاعه كان سيئاً بحيث اساء واخطأ أيضاً !

وعندئذ وقف شيخ عجوز وجعل يوبخ « مودى » ويذكر له سوء

خلقه وفظاظته وخشونته . وانهال عليه بسيل من الكلام القاسي . وأحمر وجه « مودى » ولكنه أصغى إلى أن انتهى الرجل ، وإذ ذاك غطى وجهه بيديه وتكلم من بين أصابعه وقال :

« أيها الاخوة . . . أنا أعترف بصحة ما يتهمنى به صديقى ... ولكن يا اخوتى أنا لم أرفع يدى ؟ ! ! » .

— ٧ —

شغل مودى

كان مودى يسير فى الطريق وتقابل مع ريفى آت حديثاً إلى المدينة وسأله : « هل أنت مسيحى ؟ » فأجاب الريفى : « موش شغلك ! » وقال مودى : « لا هذا شغلى ! ! »

فقال الريفى : « إذن لا بد أن تكون أنت د . ل . مودى »

— ٨ —

موت مودى

لست أبغى الحديث عن مرض مودى وعن تاريخ موته لأن مودى لا يعترف بالموت ، لقد كان ينظر إلى الموت كالمركبة التى ستحمله إلى بيت أبيه ، وهذه هى نفس كلماته :

« فى أحد الأيام ستقرأ فى الجرائد أن « د . ل . مودى » من « أيست نور ثفليد » مات . فلا تصدق كلمة واحدة من ذلك . إنى أكون فى تلك اللحظة أكثر حياة مما أنا الآن . سأكون قد صعدت إلى الأعالى . . . .

هذا كل ما هنالك ، من هذه الخيمة القديمة إلى بيت خالد . جسم لا يستطيع الموت أن يمسه ؟ ولا تستطيع الخــــطية أن تلوثه . جسم فى صورة جسم سيدنا المجيد

ولدت فى الجسد سنة ١٨٣٧ وولدت فى الروح سنة ١٨٥٦ . المولود من الجسد يموت ، أما المولود من الروح فإنه يحيا إلى الأبد »

وفى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٩٩ انتقل مودى من الخيمة إلى البيت ! !

* * *

والآن إذ القى نظرة إلى تلك الحياة أتساءل كيف أمكن أن يكون الطفل اليتيم الفقير ، والولد غير المتعلم ، بائع الأحذية . . كيف أمكن أن يكون هذا « النكرة » علماً من أعلام الفكر ، وقطباً من أقطاب الخدمة ونوراً من أنوار المعرفة السامية ، كيف أمكن أن تهز تلك النفس أبراج السماء فتندهش الناس وتطرب الملائكة ويفرح الله . . . نعم أتساءل كيف أمكن أن يكون هذا ؟ ؟

ما كان يمكن « لمودى » أن يصل بمفرده الى ما وصل اليه . . ولكن « مودى » فتح بابه يوماً لضيف كان واقفاً على بابه ١٩ عاماً .. ومن ذلك اليوم أصبح « مودى » رجلا آخر . . لقد عاش ، لا هو ، بل الضيف الذى دخل قلبه فاذا ما رأينا عظائم « مودى » فلنجث أمام الشخص الذى استقر فيه . لنجث أمام « مسيح » «مودى» . . . بل لنجث أمام « مسيحنا » ! ! !

٧١

كلارا بارتون

« مباركة أنت فى النساء (لو ١ : ٢٨) »

تسمعون كثيراً عن « الصليب الأحمر » وما تقوم به هذه المؤسسة من الخدمات فى أوقات الحروب — الخدمات التى تجل عن الوصف. فهل تعلمون أن الفضل الأكبر فى إنشاء هذه المؤسسة الكونية يعود إلى سيدة هى « كلارا بارتون » ؟ ؟ !

وأظن أنكم تنتظرون أن أحدثكم عن هذه السيدة الفاضلة . كنت ارغب ان احدثكم عنها بما يملأ سفراً ولكنى سأكتفى مؤقتاً بهذه الكلمة الصغيرة . .

ولدت كلارا بارتون يوم ٢٥ ديسمبر (وهو يوم عيد الميلاد عند الغربيين) سنة ١٨٢١ فى مدينة صغيرة « بماشوستس » بأمريكا تدعى « اكسفرد » — وقد تظنون انها بسبب ولادتها فى يوم عيد تكون حياتها كلها سعيدة . ولكنها لم تكن هكذا لأنها كانت منذ طفولتها خجولة تخاف من كل شيء ولا سيما مقابلة الناس ، حتى دعاها الأولاد الذين من عمرها « القطة الخوافة » . فإذا حصلت حركة فجائية كصراخ ولد او نباح كلب قفزت خوفاً . حتى ان أمها كانت دائمة تخاف عليها بسبب حالتها هذه

ولطا لما حاولت ان تعلمها الشجاعة ولكن يظهر ان مجهوداتها كانت تذهب عبثاً .

وذات يوم قالت لها صديقة : « هل تريدين ان تعرفي كيف تعلمين كلارا الشجاعة ؟ انا اقول لك . كلفيها بالقيام بعمل من شأنه انه يجعلها تنسى نفسها وتفتكر في الآخرين !! »

ولم يكن مجال العمل مفتوحاً أمام البنات في تلك الأيام كما هو اليوم فالتزمت كلارا ان تخدم في التعليم — ففي السن التي يذهب فيها الأولاد إلى المدرسة ذهبت كلارا تعلم في إحدى المدارس . وقد احبت التعليم وبالأخص تعليم الأولاد الألعاب والقصص الجديدة . وقد بلغ من شغفها وانهماكها بعملها ان نسيت نفسها في سبيل الاهتمام بغيرها وبالتالي لم تبق كلارا الخجول !!

ولما كبرت قليلا اقترحت على لجنة المدينة المجاورة لمدينتها ان يرسلوا بنيهم وبناتهم إلى المدرسة ليتعلموا ، ولم تكن تلك اللجنة ميالة لهذا المشروع فأجابوها بخشونة : « ان هذا مستحيل !! » . فقالت لهم : لماذا مستحيل؟.. وها اولادكم يركضون في الشوارع بدون علم او عناية ، فأنا مستعدة ان اجمعهم واعلمهم ثلاثة شهور بدون اجرة على شرط ان تعطوني تلك العشة الخالية لأجمعهم فيها وبعد الثلاثة شهور تحكمون إن كان طلبي هذا نافعاً وضرورياً أم لا ؟!؟ »

فأدهش هذا الكلام اللجنة حتى أنهم اجابوا طلبها في الحال وقدموا

لها العشة ، وقبل أن تمضى سنة كان لتلك المدينة مدرسة مشيدة جديدة . وصارت « كلارا » إذ ذاك ذات شجاعة وإقدام ، لاسيما فى القيام بالأعمال التى تشعر بأن الحاجة ماسة إليها .

وعندما كبر تلاميذها ووصلوا إلى الشبوبية حدث أن اشتعلت نار الحرب الأهلية فذهب كثيرون منهم إلى ميادين القتال ومات بعضهم فعزمت « كلارا » على الذهاب إلى ساحة الحرب لتساعد تلاميذها بنفسها وتعتنى بمرضاهم . فلما وصلت إلى ميدان الحرب وجدت الحالة سيئة جدا حتى أنها اشتغلت من ظهر يوم السبت إلى عصر يوم الاثنين بدون نوم أو طعام . ومما زاد الطين بلة هبوب عاصفة شديدة زادت أصوات المدافع رعباً وهؤلاء . فى وسط غدران الامطار المنهمرة ذهبت « كلارا بارتون» لخدمة الجرحى الذين أرسلوا إلى «وشنجتون» بالقطار . وكان مساعدوها قد كلوا من العمل فبقيت وحدها تشتغل حتى قيام القطار بالجرحى . ثم اتجهت نحو خيمة صغيرة على جانب التل راجية أن تنال فيها قليلا من الراحة ، ولكن المطر كان قد جرف السرير والفراش من الخيمة . ولم يمكنها إلا أن تجلس على مكان عال فى الخيمة مدة ساعتين استراحت فيهما قليلا . ثم سمعت قرقعة عربة تحمل جرحى فكانت كأنها صوت يناديها فخرجت مسرعة لمساعدتهم

وفى أغلب المعارك التى كانت تستمر أياماً بدون انقطاع . كانت ترسل المدافع والذخيرة أولا ، وعربات المستشفيات ومعدات الاسعاف أخيراً. فافتكرت كلارا أن تغير هذا النظام . فصارت تقوم بمعداتها ومعاونيها قبل

المدافع والذخيرة لتكون على استعداد للاسعاف عند الحاجة .

وفى أحد المعسكرات وجدت جراحاً عاملاً كل ما فى وسعه . ولكن لما أقبل الليل اعتراه اليأس والحزن الشديدين ، إذ كان لديه ألف جندى جريح وكلهم نائمون على القش متراصّين بدرجة يستحيل عليه أن ينتقل بينهم بدون مصباح ينير طريقه ، ولم يكن مع الجراح سوى عقب شمعة . فقال للسيدة كلارا : « إن نصف هؤلاء المرضى سيموتون قبل الصباح إن لم نعتن بهم ؟ !؟ »

فقالت له : « تعال معى — وأخذته الى الزريبة وهناك كان لديها مجموعة من « الفوانيس » والشموع التى أحضرتها معها فى عربتها !! »

ولم تكن العناية بالجرحى والمرضى لفريق دون آخر من المتحاربين ، بل حيث توجد الحاجة كانوا يقومون بالخدمة . وفى موقعة « فردريكسبورج » تغير الطقس بالليل إلى برد شديد جداً . وعند الفجر وجدت « كلارا » جماعة من جرحى المتحالفين مطروحين على الأرض وسط الأوحال فى ملابسهم العسكرية ، وقد تجمدت أجسادهم من شدة البرد فلم تقدر أن تجرهم من الوحل والجمد . فاضطرت أن تستحضر فأسا وتشق به الأرض . ثم بمساعدة آخرين سحبت الرجال إلى كوخ قريب من المكان ، أضرمت ناراً ووضعت فيها قوالب طوب حتى احمرت ، ثم وضعتها بجانب أولئك المنكوبين ، وأخذت تغسل جروحهم وتضمدها . ثم قدمت لهم طعاماً ساخناً .

فما الذى جعل تلك الفتاة الخجول التى كانت تخاف من الغوغاء ومن

كل انسان غريب هكذا « شجاعة » ؟ ؟ انها الآن قد صارت امرأة متحلية بشجاعة فائقة الوصف ، ولم يكن يهمها أمر سوى أن تساعد كل من كان فى حاجة للمساعدة . ولم تقتصر مساعدتها على بنى وطنها ، بل أن خبر خدمتها قد انتشرت فى كل المعمور ، فسمع فى فرنسا والمانيا وروسيا وكوبا ، وأماكن أخرى قريبة وبعيدة !!

وبعد انقضاء الحرب الأهلية ذهبت إلى أوربا لتستريح ، ولكنها لم تسترح بل والت عملها . وبمساعدة «جين هنرى» رجل سويسرا السخى انشأت مؤسسة عظيمة لمساعدة جرحى الجنود . وكانت مؤسسة مرتبة ومنظمة بهذا المقدار حتى أنها تمنت لو تكون فى بلادها واحدة مثلها .

ولكن الذين خاطبتهم فى هذا الأمر لم يروا ضرورة لها ، بل قالوا لها : « إن حربنا قد انتهت : ونرجو أن لا نحارب مرة أخرى ، فما لزوم مؤسسة كهذه ؟ ؟ » أما هى فبحسب ما كان لها من الفطنة وبعد النظر ورقة الاحساس قالت لهم : « قد يكون هذا حقا . . ولكننا نحتاج إلى هذه المؤسسة لحوادث أخرى غير الحرب مثل أيام الفيضانات الفجائية ، والعواصف الهوجاء ، والحرائق والمجاعات والاوبئة وما أشبه . . . فاقتنعوا بصحة كلامها » .

وبناء عليه : تأسست جمعية الصليب الأحمر بأمريكا التى قامت وتقوم بخدمات فى أمريكا وأوربا وسائر انحاء العالم حيث توجد حاجة اليها ـ حقا لقد كانت « عضوة » نافعة فى المملكة التى يحتفل بتذكار ميلاد مؤسسها يوم ٢٥ ديسمبر اليوم الذى ولدت فيه كلارا بارتون !!!!

٧٢

فرنسيس

قديس الفرح

« قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا
فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون
لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى (مت ١٩ : ٢١) » .

إن الرجال والنساء والأولاد والبنات الذين ندعوهم قديسين هم أبطال الشعب المسيحى . وأغلب الأبطال تختص بهم بلدان معروفة . « فألفرد الكبير » بطل انكليزى . و « هرقل » بطل يونانى . أما القديسون فلا تخص بهم بلاد دون أخرى . بل هم ملك لكل الشعب المسيحى المنتشر فى جميع أنحاء المعمورة .

وسأحدثكم اليوم عن قديس اسمه « فرنسيس » . كان إيطاليا وشعب إيطاليا بالطبع أحبه كثيراً جداً ولكنه ملك لنا أيضاً كما لإيطاليا لأننا نحب يسوع المسيح ذاته الذى أحبه . وهو أحب الشعب المصرى أيضا لأنه أرسل بعضاً من أخوته الصالحين السعداء ليساعدونا على محبة يسوع المسيح اكثر مما كنا نحبه .

وأنا أريد أن تحبوا فرنسيس لأنه كان واحداً من الجماعة الطيبة التى عاشت على هذه الأرض ولأنه كان أيضا رجلا عظيما !!

انكم لما تدرسون علم التاريخ يعلمونكم عن ملوك عظام وجنود وبحارة

عظماء قاموا بأعمال عجيبة . ولكن أريد أن أعرفكم أنه يوجد أناس أتوا اعمالا عظيمة ، ولكنهم لم يكونوا ملوكاً أو جنوداً أو بحريين ومنهم «فرنسيس» هذا فإنه أتى أعمالا عظيمة جداً ، لا بمحاربة الناس بل بمحبته اياهم

قال أحد العلماء مرة : « إن رجلين عظيمين كان لهما أعظم تأثير على تاريخ أوربا وهما فرنسيس ونابليون... نعم فإن نابليون عمل حروباً عظيمة وكانت له انتصارات باهرة . اما فرنسيس فلم يحارب احداً . فكيف استطاع إذن أن يؤثر على تاريخ أوربا ؟ إنه فعل ذلك بدون أن يدرى أنه يفعل شيئاً . إنه عاش بكل بساطة عيشة المحبة والطهارة الجميلة ، وأقنع الآخرين من الرجال والنساء أن ينضموا إليه ويعيشوا مثل عيشته

إنه رأى أغلب الناس يهتمون كثيراً بالمال والغنى وبسبب هذا كانوا يتخاصمون ويتشاجرون ويتقاتلون كثيراً ، ولذلك افتكر انه إذا عاش بدون مال بالكلية وعلم الآخرين هكذا فربما لا يتشاجر بعضهم مع بعض !!

لما كان صبياً صغيراً كان مثل سائر الصبيان وكان فرحاً ومغرماً بالملابس الجميلة ومحباً لذاته ويحب ان الآخرين يهتمون به . وكان رئيس عصابات الأولاد فى الألعاب « والشقاوة » — وكان محباً للشعر والموسيقى وأحب كثيراً سماع أغانى المشعوذين الذين كانوا ياتون إلى بلدته التى تدعى «اسيسى» وينشدون أغانيهم المطربة . وكان شديد العناية بنفسه فلم يحب رائحة البرص ولم يحب أن يقترب من الفقراء والمرضى . بل كان يفر منهم إذا رآهم فى الشارع !!



فرنسيس الأسيزى

قديس الفرح

ولكن بغتة حدث تغيير عظيم فى حياته، تغيير لم يفقده سعادته وسروره ولم يجعله يبطل الأغانى أو الاختلاط بعشرائه. ولكنه غير موضوع حياته. أنه ابتدأ يجد فرصة فى تفريح الآخرين وقد اكتشف أن سعادته فى جعل الآخرين سعداء. ومرة رأى بعض الكهنة الفقراء حزانى لأن كنيستهم وقعت فساعدهم على إعادة بنائها، وأرغم نفسه على مرافقة الفقراء ومصاحبة البرص ذوى الرائحة الكريهة، وغسل أجسامهم بيديه، بل أنه صار يأكل معهم فى صحفة واحدة. ثم صار يرنم لهم ولغيرهم ترانيم عن يسوع المسيح وعن عالم الطبيعة العجيبة الذى أحبه كثيرا جداً وقال لنفسه: «إن كان الله أبانا وهو الذى خلق كل الأشياء وكل إنسان فنحن إذن عائلة واحدة إخوة وأخوات!!»

ولذلك دعا كل واحد اخاً وكل واحدة اختاً. وليس فقط كل انسان بل كل شىء أيضاً. فدعا الشمس أخته والقمر اخاه والطيور اخواته وكذا الأشجار والزهور وكل شىء. وذات يوم ألقى عظة للعصافير، وهل تعرفون انها حقاً اصغت إليه وظهر كأنها تفهم ما قاله لها. وإن كنتم تظنون ان هذا امر غريب فأنا أقول لكم إنه وجد من مدة رجل فى باريس اسمه الموسيو «بول» كان الناس يرونه فى كل يوم فى حدائق التويلرى يتكلم مع العصافير. وهو يعاملها كأخوته واخواته وهى تحبه وتطيعه...

ربما لبعضكم او لأحدكم حيوان يحبه كلب أو عصفور مثلاً. الا تعلمون انه يصير فرق عظيم فى حياته إذا كنتم تتكلمون معه كما تتكلمون مع الناس.

الذين هم مثلكم ؟ هكذا كان فرنسيس يتكلم مع الحيوانات كلها!!

وحدث أن ذئباً مفترساً هاجم مكاناً اسمه « غابيو » . وارتعب كل سكان ذلك المكان من ذلك الذئب المفزع الذى تعود أن يقتل الناس ويأكل كل شيء يصل إليه . أما فرنسيس فلم يخف منه ولا غضب عليه بل ذهب وتكلم معه كأخ ، وكان لطيفاً ومتأدباً مع الذئب فربحه بشفقته ولطفه . وقال للناس إنه لم يفترس ويقتل إلا لأنه كان خائفاً ولم يقدم له احد منكم طعاماً . ونصح الناس أن يقدموا له طعاماً كل يوم إلى ان يشبع وينصرف عنهم . اما الذئب فإنه احنى له رأسه كأنه فهم كلامه وصار لطيفاً وانيساً ولم يفترس احداً بعد ذلك !!

وهكذا كان فرنسيس مع الناس الأشقياء كما كان مع الحيوانات . فإذا جاء اللصوص وهاجموه أو أحد إخوته فإنه كان يعطيهم ما يحتاجون إليه من طعام وشراب ويعاملهم بكل لطف وايناس . فكان يؤثر عليهم تأثيراً عجيباً فيصيرون ودعاء ولطفاء !

ونحن نرى القوم الوفاء من اتباع ذلك الرجل الصالح يحاولون أن يسيروا سيرته فيسلكون حقاً بحسب المسيح !!

٧٣

صغيرة جداً وحكيمة

« أربعة هى الأصغر فى الأرض
ولكنها حكيمة جداً (ام ٣٠:٢٤)

أسمع منكم كثيراً يا أولادى أنكم صغار ولذلك لا يمكن أن تكونوا نافعين أو حكماء .. كلا . لا تفكروا هذا الفكر

هنا أربعة هى الأصغر فى الأرض ولكنها حكيمة جداً — لنلاحظ ماذا كانت وكيف أظهرت حكمتها ! !

أولا . النمل

ونحن نرى حكمة النمل فى تخزينه لأجل المستقبل. «النمل طائفة غير قوية ولكنه يعد طعامه فى الصيف» — يخزن فى الصيف ما يلزمه فى الشتاء . أيها الولد : تعلم كل ما تستطيع فى أى وقت تستطيع ، من أجل هذا تذهب إلى المدرسة وتتعلم . قد لا ترى الآن فائدة للمدرسة ولكنك ستعرف لزوم المدرسة فيما بعد . قرأتم ولاشك قصة النملة والصرصار وكيف ذهب الصرصار يطلب منها طعاماً فسألته، وماذا كنت تعمل فى الصيف ؟ اجاب : «كنت اغنى !» فقالت له : « إن الذى يغنى فى الصيف يحسن به أن يرقص فى الشتاء ! ! »

ثانيا : الوبار

والوبار نوع من الأرانب يقيم على جوانب التلال. وحكمة الوبار فى إعداد مساكن أمينة - « الوبار طائفة ضعيفة ولكنها تضع بيوتها فى الصخر» ترى أين تسكنون ؟ إن الشيطان يهاجمكم بين حين وآخر ولا يوجد إلا ملجأ أمين واحد .. هناك صخر الدهور الذى يمكننا أن نجد فيه اماننا وخلاصنا!!

ثالثاً : الجراد

« والجراد ليس له ملك ولكنه يخرج كله فرقاً فرقاً » فحكمته فى اجتماعه . والعدد قوة . والجراد حشرة ضارة ولكننا نتعلم منه فوائد النظام والتعاون . من الأمور المحزنة الانقسام !!

أظن أنكم تقرأون فى كتب المطالعة قصة الشيخ وأبنائه السبعة وكيف أراد أن يعلمهم فوائد الاتحاد فقدم لهم حزمة عصى لم يستطيعوا أن يكسروها فلما حلها كسروها الواحدة بعد الأخرى

رابعاً : العنكبوت

« العنكبوت تمسك بيديها وهى فى قصور الملوك » - وحكمتها ظاهرة فى أنها دائما تمسك بما هو قوى وتثبت فيه - يجب أن نمسك بالحق وتثبت فيه !!

٧٤

سانتا كلوز

« الله الحى الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع (١ تى ٦ : ١٧) » .

كتب أحد الأولاد الصغار من شمالى انجلترا رسالة لأخيه الأكبر الذى كان فى لندن يقول له فيها : « بعد التحية ... أول أمس ذهبت مع أمى إلى المحطـــه قبل نصف الليل بنصف ساعة لأرى « الأب كرسماس » (عيد الميلاد) وكان جمهور غفير من الصبيان والبنات ينتظرون قدومه فى المحطة مثلى . وإذا بنا نرى عربة أتومبيل فوقها صندوق كبير من الخشب آتية إلى المحطة أيضاً لانتظاره مثلنا . ولما خرج من المحطة وركب العربة كان يطل من المدخنة ويلوح لنا بيده ويبتسم . حقاً أنه رجل عجوز ولطيف جداً » « وفى نفسى » أن أطلب منه أن يعطينى « بندقية » !

هذا فكر وانتظار غلام فى شمالى انجلترا . على أنه يوجد جماهير من الصبيان والبنات فى أغلب انحاء العالم ينتظرون قبل نصف ليلة عيد الميلاد « الأب كرسماس » وكانوا يسمونه « سانتا كلوز » ، أو « الآب نويل » بفروغ صبر . وإذا مررت فى شوارع مخازن البضائع فى أمهات مدن أمصرنا لاسيما القاهرة والاسكندرية تجدها مكتظة بالالعاب التى يقدمها « الآب كرسماس » للأولاد ليلة عيد الميلاد !!

فهل يوجد «سانتا كلوز» واحد ؟

او هو اشخاص كثيرون ؟ ؟

الحقيقة انه يوجد «سانتا كلوز» واحد فقط، اما الكثيرون الذين نسمع عنهم فى عدة بيوت وفى بلدان العالم العديدة فإنهم ليسوا إلا صوراً متعددة لشخصية واحدة و « سانتا » واحد لا غير !!!

فمن هو هذا ؟ ؟

الآن احدثكم عن قصته أو ما يقولونه عنه ، وأنا لا أعرف كم من القصة حقيقى وكم منها وهمى او خيالى !!

يقال إنه فى غابر الزمان كان يسكن فى مدينة « ميرا » بالأناضول أسقف صالح قديس إسمه الأسقف «نقولا». وكان يحب الأولاد حباً جماً كما كان صديقا لجميع تلاميذ المدارس . وكان رجلا غنيا ، ولكنه لم يعتبر الثروة التى بيده لشخصه ليتمتع بها كما يشاء ، إذ قد اعتبرها أمانة فى يده يسد بها حاجات المحتاجين . وكان سروره الأعظم فى أن يقدم هداياه للفقراء ، دون أن يدعهم يرونه . . بل يضع المساعدات فى فتحة القفل أو يدخلها من تحت العتبة، أو يلقيها فى مكان قريب التناول إذا وجد الباب مفتوحا وليس من يراقبه !!

ويحكى عنه أنه كثيراً ما جاء حاملا رزما مملوءة بأشياء تفرح وتدهش . وكان يصعد على سطوح البيوت ويلقيها فى فوهات المداخن على السكان فيعرفون انها من الأسقف المحبوب المحسن فاحبه جميع الناس ودعوه «القديس نقولا » أى « سانت نيكولاز » التى تحورت إلى « سانتا كلوز » أما هو

فكان سروره فى ألا يراه أحد أو يعرف أنه هو الذى جاء بالهدية أو المساعدة وما كان يدرى أحد بزيارته لبيت ما إلا بعد أن يجدوا الهدية بين أيديهم!!

* * *

والآن أريد ان احدثكم عن قصة من قصصه . يقال إنه كان ذات يوم مجتازاً فى شوارع مدينة ، فسمع أصوات حزن وبكاء خارجة من بيت أحد الأشراف الذى فقد ثروته حديثا وصار فى فقر مدقع . وكان للشريف ثلاث بنات ولم يكن له ما يعولهن به فكم بالحرى ما يجهزهن به للزواج ، فما كان أمامهن سوى العار والفقر والخجل ، ولذلك كن يبكين وينتحبن بأصوات عالية يندبن سوء حظهن . وإذ سمع القديس نقولا حديثهن مع أبيهن أسرع إلى بيته ، واخذ من خزينته قضيباً من الذهب الابريز ورجع إلى بيت الرجل ، وإذ وجد طاقة صغيرة مطلة على الشارع طوح منها القضيب ثم جاء فى الليلة الثانية وفعل هكذا ، وفى الليلة الثالثة فعل كذلك إلا أن صاحب البيت رآه فى تلك الليلة فأسرع وخر أمامه ، وقبل قدميه وشكره. فأقامه القديس نقولا وقال له : قدم الشكر لله لأنه هو الذى ارسلنى إليك!!

وبهذه الكلمات يقدمنا «سانتا كلوز» أو القديس نقولا إلى «سانتا كلوز» الحقيقى — الذى علمنا سيدنا ان ندعوه « ابانا الذى فى السموات » !!

٧٥

آداب السلوك فى الكنيسة

« لكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله (١ تى ٣ : ١٥) »

من مضى مئات من السنين كتب بولس الرسول رسالة لصديقه الشاب تيموثاوس وجاءت فى تلك الرسالة أمور أحب أن جميعكم تتذكرونها جيداً ومن هذه الأمور قوله : « لكى تعلم كيف يجب ان تتصرف فى بيت الله »

انتم تتعلمون فى أ المدرسة شياء كثيرة عن آداب التصرف فى البيت وفى المدرسة وعلى المائدة . ولكن مما يؤلمنى أنكم لا تتعلمون كثيراً عن آداب السلوك فى الكنيسة . وعليه فسأنتهز هذه الفرصة لأقدم لكم شيئا عن ذلك وهنا أمور عن بيت الله يجب ألا تنسوها من بالكم

— ١ —

وأنت فى الطريق الى الكنيسة

يقول سليمان الحكيم : « احفظ قدمك حين تذهب إلى بيت الله » ومعنى هذا أنك تمشى بهدوء واحترام . مرة رأيت فتاة تمشى على أطراف قدميها وهى سائرة أمام باب بيت ، واندهشت من هذا ، ولكن لما اقتربت من البيت لاحظت أن فيه جنازة ، فهى رأت أن الله فى ذلك البيت ولذلك يجب أن تمشى بهدوء احتراماً لوجود الله فيه . هكذا نحن لما ندخل باب الكنيسة يجب أن نطأ بكل احترام لأننا داخلون بيتاً فيه الله !!

— ٢ —

وانت داخل الى الكنيسة

يجب عليك حالما تدخل أن تقدم صلاة قصيرة لله . ألا ترى أنك لما تذهب إلى بيت أحد الناس ويأتى هو عند الباب لمقابلتك أنك تكلمه كلمة ما ، لأنه ليس من الادب أن تدخل بيت انسان دون أن تكلمه ؟ الا يعده هذا احتقاراً أو قلة ادب ؟ فكيف وأنت داخل بيت الله لتقابل الله ذاته ، ألا يجب بالأولى جداً ان تكلمه وتصلى إليه ؟ ؟

— ٣ —

وانت فى الكنيسة

يجب عليك وأنت فى بيت الله أن تفكر طول الوقت فى الله وفى ما تسمعه من كلام الله ومن الشرح والوعظ وما أشبه . ماذا تظن فى شخص تكلمه فى أمر يهمك ولكنك تجده طول الوقت مفكراً فى أمر آخر ولا يصغى لشيء مما تقول . ألا تعد هذا فظاظة وغلاظة منه واحتقاراً لك؟ ولكن هذا هو عين ما يفعله بعض الناس وهم فى بيت الله . فهم يزعمون أنهم يعبدون الله بينما أفكارهم تجول كل الوقت فى أمور أخرى خارجة عن دائرة العبادة وبيت العبادة . فهل تتعجبون إن كان الله يغضب لهذه الاساءة والإهانة ؟ لأن الله يريد أننا ، لما نكون فى حضرته فى الكنيسة ، نوجه إليه أفكارنا ولا نفكر فى أمر آخر سواه ! !

وهناك أمر آخر يجب أن نفعله ونحن فى بيت الله وهو أن نطلب منه غفران خطايانا !

جاء فى القصص الموضوعة أن جنية ذهبت إلى ابواب السماء وقرعت

الباب فلم يسمح لها بالدخول، فقرعت وقرعت وظلت تقرع إلى أن خرج اليها الملاك الموكل بحراسة الباب وقال لها :

« إن كنت تحضرين أثمن هدية للسماء حينئذ نقبلك ! ! »

فنزلت سريعاً إلى الأرض ووجدت أزكى وأجمل زهرة على الأرض فاقتطفتها ورجعت بها الى باب السماء بسرعة البرق ، ولكنها وجدت الباب مغلقاً ! !

فطارت ثانية إلى الأرض وفى هذه المرة عادت بنقطة من دم بطل شاب ضحى بحياته لأجل وطنه ورجعت فوجدت الباب أيضا مغلقا ! !

فنزلت مرة ثالثة وبينما كانت تجول هنا وهناك باحثة رأت رجلا عجوزا شريراً واقفا أمام ينبوع ماء يسقى حصانه . وإذا هو يرى غلاما صغيرا راكعا يصلى فتحركت أحشاؤه فيه وثار عليه ضميره ، ووبخه على كل شروره الماضية التى مرت أمام ذاكرته فى سرعة البرق ، فحزن واكتأب وتاب وركع وبكى وصلى طالبا الغفران . وكانت الجنية واقفة تشاهد هذا المنظر المؤثر . فهبطت والتقطت دمعة من دموع التوبة هذه وطارت بها إلى السماء . وإذا هى تجد الأبواب مفتوحة والملائكة ترحب بها وتدخلها معززة مكرمة ! !

نعم إنه لا يوجـــد لدى الله أعز من دموع أولاده التائبين . وهذا ما يجعل المسيح وكتابه عزيزين لدينا لأنهما يريانا كيف يجب أن نتوب حتى يمكن أن تفتح لنا أبواب السماء ! !

٧٦

الطفلة المتروكة

« ان أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى (مز ٢٧ : ١٠) »

كان ثلاثة من المرسلين يتناولون معا طعام الفطور فى إحدى مدن بلاد اليابان ، اثنان منهم هم رجل وزوجته فى ضيافة المرسله غير المتزوجة فى تلك المدينة . وإذا بالطباخة تدخـــل عليهم وبيدها حزمة من الخرق وهى تقول :

« تستى ، تستى (يا معلمتى) قد وجدت هذه على عتبة باب مخزن الفحم فماذا أفعل بها ؟ »

قال الثلاثة بفم واحد : ما هذا ؟ طفلة ؟ وكيف وجدت هناك ؟ هل توجد أدنى علامة على ملابسها تدلنا على من هى ؟ ؟

كلا ! !

وبما أن كل طفل يابانى يلبس حرزاً فى عنقه يوضع فيه اسمه وعنوانه وصورة الإله حارسة أو تعويذة وبعض الأشياء أيضاً فقالت السيدة المرسلة صاحبة البيت لطباختها :

— « مزقى الحرز تجدى اسمها وعنوانها ! ! »

— « إنها لا تلبس حرزاً ! ! »

أما ملابسها فكانت قذرة وقديمة . والطفلة يبلغ عمرها نحو عشرة أيام وهى نحيفة وكانها لم ترضع من مدة ، فقالت السيدة لطباختها :

— «خذيها واسقيها لبناً أول كل شىء ، ثم .. ألا تظنين أن أمها قد تكون وضعتها هنا وسترجع عن قريب لتأخذها ؟ »

وقال المرسل : « ادعى البوليس وأخبريه ليبحث عن أمها »

قالت الطباخة متوسلة : « لا و « اناسان »(اسم الطباخة) لا تفعلى هكذا» ... فإنها كانت تخاف من رجل البوليس وسيفه الطويل المعلق على جانبه ، وخطواته الثقيلة المزعجة » لذلك وضعت الطفلة على الأرض ، وخرت على قدمى المرسل تقبلهما وتقول :

« أرجوك ياسيدى لا تأمرنى بدعوة البوليس ! »

وكانت القهوة أمامه والفطائر أوشكت أن تبرد فقال لها :

« أخاف لئلا تكون هذه حيلة من أحد أعداء الارساليات ليفسد علينا عملنا ؛ فانهم يبذلون الآن كل جهدهم فى منع الأولاد من مدارس الأحد فيخوفونهم بالقول إننا نخطف الأولاد . وأحياناً يقولون لهم إننا «نصلبهم» لذلك أريد ألا نتسرع فى أخذ هذه الطفلة قبل أن نتروى فى الأمر ! »

وقالت زوجته : « أول كل شىء خذيها وأطعميها ونظفيها، ونحن نفكر فى أمرها بينما نتناول فطورنا ! ! ! »

وقالت المضيفة : « أنا أحب أن أقوم بهذه الخدمة . مسكينة ! إنها وسخة

ونحيفة وجوعانة وضعيفة . مسكينة يا بنتي ! تعالى يا « سان » (الطباخة) معى لننظفها ! »

وقال المرسل : « وفى الوقت ذاته احضرى لنا قهوة وفطائر ساخنة لأنى جوعان جداً ... أية ريح سيئة قذفت إلينا بهذه الطفلة اليوم ؟ »

وفى الحال أجريت العمليات الضرورية فى المطبخ لراحة الطفلة وإطعام الضيفين بما يشتهيان ! !

وحينئذ ابتدأ الباعة يفدون كعادتهم، فأولا جاء صياد السمك يحمل عصا طويلة فى كل من طرفيها سلة فيها سمك فاشترت منه « سان » سمكة طازجة ، وقصت عليه قصة الطفلة فضحك وقال لها :

« مسكينة يا « سان» لك أربع بنات وهذه الخامسة . ما أتعس حظك ! عسى أن المرسلة تزيد لك راتبك ! ! »

ثم ذهب وجاء بعده الخباز ، فالبقال ، فالخضرى ، فاللبان ، فبائع الفول المسلوق ، فمصلح القباقيب الخشب . وكانت الطباخة تحكى لكل واحد منهم حكاية عثورها على الطفلة بكيفية مؤثرة . وقصدت بذلك أن تذيع خبرها فى المدينة لأنها تعلم ان كل واحد منهم سيقصها على عملائه فلا ينقضى النهار حتى تكون المدينة كلها قد علمت بالخبر

وقد تم لها ما أرادت . فما كادالعصر يجىء حتى جاء رجل البوليس بحذائه الثقيل وسيفه الطويل ، وقرع باب المطبخ قرعة اهتز لها المكان ففتحت له « سان » وهى تنحنى امامه حتى الأرض احتراما وخوفا ، ثم قدمت له كرسيا

وصنعت له فنجان قهوة ، وقصت عليه قصة الطفلة فقال لها : «يظهر أن امها أرادت أن تتخلص منها ، فلماذا لا تأخذينها إلى ملجأ الأطفال بجوار هيكل «كوالون» (اله الرحمة) فربما ترضى السيدة البيضاء أن تدفع لصاحبة الملجأ ريالين أو ثلاثة فتأخذها منها وتربيها !! »

فأجابته بغضب : «كلا ياسيدى لا أسلمها لتلك المرأة البتة ، بل أنا أعتنى بها لنفسى ! »

قال لها : «ولماذا تتعبين نفسك هكذا ؟ »

فانحنت احتراماً وقالت : «إن صاحبة ذلك الملجأ تاخذ مال الناس وتترك الأطفال يموتون جوعاً . وإذا خلص طفل من الموت وعاش وكبر فإنها تؤجره للشحاذين إن كان صبياً ، أو تبيعها للاشرار إن كانت بنتا . أنا أعرفها جيداً !! »

قال لها : «إذن فخذيها أنت . . . وانت وشأنك !! »

ثم ودع وانصرف وكانت ربة الدار تسمع حديثها مع رجل البوليس. فدخلت المطبخ بعد أن خرج هو وقالت لها : «انظرى «ياسان» دعى ابنتك الكبرى تعتنى بها فى وقت فراغ المدرسة ، وأنا أدفع لها ما يساعدها على مشترى كتبها ولوازمها المدرسية . وأنت تطعمينها ، وأنا أضع لها سريراً فى غرفة نومى . وهكذا نتعاون على تربيتها . ثم دعتها «سيكى» أو «سيكيتان» أى الفحمة

وكبرت «سيكيتان» ودخلت المدرسة ولم تكن نبيهة ولكنها كانت

مجتهدة ومطيعة . ولما بلغت الثامنة عشر خطبها صبي الصباغ وكان هو أيضاً يتيما أخذه الصباغ من ملجأ «كوالون» وكان يقدم له الآلات وينفخ النار وينظف الأتون ويغسل الأقمشة إلى أن كبر فأعتقه . وهذا إذ كان تلميذاً في مدرسة الأحد رأى الفتاة وأحبها وخطبها وتزوجها . وكان بيتهما من أشهر البيوت المسيحية في تلك المدينة — وكانت حياة «سيكيتان» المسيحية خير مثال لأحسن بنات البيوت العالية

وهذا هو عمل الإنجيل وتأثير خدمة رجاله ونسائه العاملين في كرمه

٧٧
ولكن

وكان الرجل جبار بأس أبرص
« (٢ مل ٥ : ١) »

هناك كلمة مستترة بين كلمة جبار بأس وأبرص ، فى الترجمة الانجليزية تقرأها : وكان الرجل جبار بأس ولكن أبرص ، وتحس أثر هذه الكلمة دون ان تجدها فى الترجمة العربية — على اننا نراها تحمل اتجاهين فإذا قرأناها طرداً كان لها معنى وإذا قرأناها عكساً كان لها معنى آخر !!

— ١ —

«لكنه» فى القراءة الطردية
كان نعمان رئيس جيش ملك آرام !
وكان رجلا عظيماً عند سيده !
وكان مرفوع الوجه !
عن يده اعطى الرب خلاصا لآرام !
كان الرجل جبار بأس !
ولكن !!... ولكنه كان أبرص !؟!
كلنا فى العالم نعمان من الناحية المادية ومن الناحية الروحية
جل بين الناس وادرس حالتهم المادية

هذا رجل غني قد توفرت له أسباب المادة ولكنه شقي تعس لأنه مريض ... !!

والآخر ذو صحة جيدة جداً ولكنه فقير !

والثالث غني ، صحيح ... ولكنه بلا أولاد !

وغيره غني ، صحيح ، وله أولاد .... ولكنهم أولاد أردياء !!

لا يمكن ان يخلو شخص من «لكن» . ولو علمتم « لكن» الآخرين مارأيتم « لكنكم» سيئة بهذا المقدار . لقدسمعتم منى قصة الولدالفقير الذى حسد الوالد الراكب العربة لأنه لم يعلم انه كسيح ، وكان الكسيح فى نفس الوقت يحسد الغلام الفقير . قال الأول «لماذا أنا فقير، لماذا ليست لى عربة ؟» وقال الثانى « لماذا لا املك صحة ؟ »

أما من الناحية الروحية فإننا نحقق أنه لا يوجد فى العالم من بلغ حداً فى القداسة والقوة والتقدير إلا ويمكن لأقل من فينا أن يضع أصبعه على جرح فيه ويصيح : « ولكن » .

.... !!

.... !!

مر سائح فى الشرق براعى غنم كان يفتخر أنه يستطيع ان يدعو كل خرافه بأسماء . وإذ ظهرت بعض بوادر الشك على السائح أخذه الراعى إلى الحقل ونادى احد الخراف وأجاب الخروف بمجيئه ، حين ظلت بقية الغنم فى مكانها . ثم دعا الراعى خروفاً آخر فآخر حتى دعى كل الغنم بأسمائها .

غير أن ما ترك اثراً فى ذهن السائح هو مقدرة الراعى على أن يميز بين خروف وخروف . فقد كانت الغنم كلها متشابهة فى نظره . وأجاب الراعى : ان ذلك شيء سهل بل لا يوجد شيء أسهل منه ، ففى هذا الخروف قطعة صوف مقطوعة ، والآخر فيه نقطة سوداء !! هذه فيها جرح ، والأخرى مقطوعة الأذن » .. وهكذا وهكذا . وكان الرجل يعرف كل غنمه بنقصاتها إذ لم يكن فى كل القطيع حيوان كامل !

العل هذه هى الكيفية التى يعرفنا بها راعى الخراف العظيم ؟؟

— ٢ —

«لكن» فى القراءة العكسية

لكن لماذا نقرأ الكلمات طرداً ؟ لماذا لا نقرأها عكساً ؟ كان نعمان أبرصا ... مسكين نعمان . إن مرضه مرض فظيع ... و « لكن » برصه لم يقف حائلا دون تعاظمه . كان نعمان أبرصا و « لكنه » كان جبار بأس . و «لكنه» كان رئيس جيش ملك آرام . وهكذا حول العظماء نقصاتهم وضعفاتهم إلى امتيازات . كان «اديسون» أصم و «لكنه» كان مخترعا كبيراً . كان « بيتهوفن » «اطرش» و «لكنه» كان موسيقياً بارعاً . كان «ملتون» أعمى و «لكنه» كتب أبلغ قصيدة فى الانجليزية . وكذلك كان هوميروس وأبو العلاء المعرى ...

وفى الأمور الروحية ... ضعفاتنا تتحول قوى . حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى . أنا خاطىء كبير ولكنى مفدى . راعى الخراف العظيم

يعرفنا بغلطاتنا ومع ذلك فهو يحبنا . « لأنى فديتك . دعوتك باسمك . أنت لى » .

هناك محبة لا يستطيع عصياننا أن يبليها ، ولا إنكارنا أن يضعفها ولا جحودنا أن يذبلها . . . إنها محبة الله لمن فداهم فى المسيح

وهذه المحبة هى التى قيل فيها إن مياهاً كثيرة لا تقدر أن تطفئها ! ! إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم إلى المنتهى » !!

٧٨

نعمان

« فنزل وغطس فى الأردن سبع مرات حسب قول رجل الله فرجع لحمه كلحم صبى صغير وطهر (٢ مل ٥ : ١٤) » .

كان نعمان رجلا غنياً جداً عنده بيوت وحقول وأموال وعبيد ، وكان كل شيء متوفراً لديه ، ولكنه لم يكن سعيداً ، بل كان دائماً عابس الوجه . وقال بعض من رأوه فى خلواته أنه يبكى كثيراً . وفى الليل لا يستطيع أن ينام . كان مصاباً بمرض خطير جداً اسمه « البرص »

وذهب نعمان إلى أطباء كثيرين واستعمل مختلف الأدوية ولكن بلا فائدة . . . وكان الملك يحبه فاستدعى له الأطباء المهرة وهؤلاء نجحوا فى شيء واحد فقط هو أخذ أموال كثيرة . . . أما المرض فبقى كما هو . . . كلا . بل أخذ يزداد ! ! !

وفى أحد الأيام كانت امرأة نعمان جالسة وحدها تبكى . . وفيما هى كذلك دخلت غرفتها فتاة صغيرة كانت تعزها كثيراً وكانت تسمح لها أن تدخل غرفتها بدون استئذان . كانت الفتاة ، بل بالحق الطفلة ، لأن عمرها كان إثنتى عشرة سنة ، كانت يهودية . وكان جيش آرام قد سباها فيمن سبى من اليهودية . وأنا آسف أننا لا نعرف اسمها . ولكننا

سنعرفه إن شاء الله عندما نقابلها هناك. كانت هذه الطفلة تحب إلهها ولم تتركه فى اليهودية وتذهب بدونه إلى بلاد الغربة كما يفعل الكثيرون.. كلا.. بل أخذت إلهها معها وكانت تنتهز كل فرصة للشهادة له!

فلما لاحظت دموع سيدتها قالت لها: «لماذا تبكين ياسيدتى وفى إمكانك أن تضحكى؟؟»

— «كلا لا أستطيع أن أضحك لأن زوجى مريض»
— «ولكن المريض يشفى؟!»
— «نعم ولكن مرض زوجى عديم الشفاء!»
— «عديم الشفاء؟ هل يوجد مرض عديم الشفاء؟»
— «نعم. مرض البرص. فقد أقر الأطباء بعجزهم ولم تفلح كل محاولاتهم بل آلهتنا نفسها لم تستطع شيئاً مع أننا زرناها كلها وقدمنا على مذابحها الذهب والفضة .. كلا لا رجاء فى الشفاء!!».

— «بل يوجد رجاء ياسيدتى. ليذهب سيدى إلى السامرة وهناك يستطيع نبي «الله يهوه» إله إسرائيل أن يشفيه من برصه!»
— «ماذا تقولين؟ نبي الله؟»
— «نعم. نعم. لقد استطاع نبي الله أن يعمل أشياء كثيرة عجيبة!»
— «حدثيني عن بعض هذه العجائب!»

— هى أكثر من أن أعدها ولكنى أذكر أنه ضرب الأردن برداء إيليا فانفلق الأردن. ووقعت فأس عامل فى الماء فجاء بقطعة خشب وإذا الحديد

يطفو ، ومن عشرين رغيفاً أطعم أكثر من مائة رجل ومات ابن الامرأة الشونمية فأحياه من الموت و ...»

— «كفى .. كفى يجب أن يذهب زوجى فى الحال !!»

وسمع نعمان من زوجته حديث الفتاة الاسرائيلية فقصه على سيده ، وهذا أرسله إلى السامرة برسالة إلى ملكها ، وأرسل معه هدية ملكية مع حاشية كبيرة .

وقرأ ملك اسرائيل رسالة ملك آرام التى يأمره فيها أن يشفى عبده نعمان فاضطرب أيما اضطراب ومزق ثيابه ، وقال : « هل أنا الله لكى أميت وأحيي حتى أن هذا يرسل إلى أن أشفى رجلا من برصه ؟ ؟ »

وحدث هرج فى المدينة وسمع النبي اليشع فأرسل إلى الملك رسالة موبخة يقول فيها :

« لماذا مزقت ثيابك . ليأت إلى فيعلم أنه يوجد نبي فى اسرائيل !! » .

وذهب نعمان بحاشية فى أبهة وكانت كبرياؤه بارزة .. ووقف أمام بيت النبي وهذا تركه مدة طويلة . ثم أرسل خادمه يقول اذهب واغتسل سبع مرات فى الأردن فيرجع لحمك إليك وتطهر

اغتاظ نعمان جداً . لقد أهينت كرامته ، فقد تركه النبي مدة على بابه . إنه لا يعلم ولا شك من هو نعمان ! ثم ها هو لا يأتى بنفسه بل يرسل رسولا امعانا فى احتقاره . والعلاج ؟ ليس هو العلاج الذى كان يدور فى رأسه . لقد كان يظن أن النبي سيأتى ويبسط يديه فى صلاة ويردد يده

على « الأبرص » . كلا . لقد كانت رحلة غير موفقة

وأمر نعمان بحمو غضب أن يعودوا إلى آرام . وفى رأسه كانت تدور مختلف مشروعات الانتقام من السامرة ومن ملك السامرة ونبي السامرة .. وإله السامرة !!!

غير أن عبيده ، وقد أشفقوا عليه ، التمسوا منه أن يجرب طريقة النبي خصوصاً وهي غير مكلفة . وعارض هو فى اول الأمر معارضة شديدة ولكنه ذهب إلى الأردن كارهاً !!

غطس المرة الأولى فاذا « الأبرص » كما هو ، وأشار لعبيده إلى ذلك فرجوه أن يغطس الغطسات السبع . فغطس المرة الثانية والثالثة والرابعة وهو فى كل مرة يرى نفس الجزء الأبرص . وفى المرة السادسة كاد يغضب على عبيده إذ لم يحدث أدنى تغيير . أما كان يتلاشى جزء من الابرص وهل ينتظر الشفاء من المرة السابعة وحدها ؟؟ ونظر إلى الماء المرة السابعة فى شبه تحد ولما صعد من الماء إذا بلحمه كلحم صبي صغير وطهر ...

فلما رأى نعمان ذلك انبطح على وجهه إلى الأرض وسجـــد ليهوه إله إسرائيل وقال تبارك اله السامرة الذى استطاع مالم يستطعه أطباء فارس ومصر وهلاس ! تبارك اله السامرة الذى استطاع ما لم تستطعه آلهة آرام العظيمة .. إننى الآن عبدك يارب .. عبدك دون سواك .

وعاد وهو فائض الدموع من التأثر ، ممتلىء القلب من الابتهـــاج وانطرح عند قدمى النبي باكياً وضاحكاوشاكراً والتمس من اليشع أن يأخذ

منه بركة ولكن أليشع رفض . إن نعمان ما كان يمكنه أن يدفع ثمن البركة التى نالها . إن كل أمواله لاتساوى جزءاً منها . ونفس نعمان يعرف ذلك . ولذلك لا يهين اليشع هذه البركة ببيعها . أنه يمنحها مجاناً . لقد أعطاه الله إياها مجاناً وهو يعطيها مجاناً

وأعلن نعمان لاليشع أنه منذ الآن لا يقرب بعد محرقة ولا ذبيحة لآلهة أخرى بل للرب . وأنت تلاحظ إخلاصه وتواضعه فى حديثه عندما يقول لإليشع عن نفسه « عبدك » وتتأكد أنه قد صار هو وبيته وجميع المحيطين به عبيداً لله . وهكذا صارت « مستعمرة » للاله الحقيقى فى آرام . اننا ولاشك نشكر الله كثيراً لأنه فى آرام أقام حقه ... ولا ننسى أن نذكر أن الفضل فى كل ذلك يعود إلى تلك الفتاة المجهولة الجارية فى بيت نعمان !!

وعاد نعمان إلى بيته فاستقبلته زوجته بعناق امتزجت فيه دموعها بضحكاتها . وكان سرور كبير فى بيت نعمان ولكننا نظن أن أعظم من سر كان تلك الطفلة التى مجدت الهها بالشهادة له .

* * *

كنا نحب أن تنتهى القصة هنا .. ولكن آه .. يظهر أن هذه القصة المفرحة ازداد فيها الفرح فاحتاج إلى مأساة !!

كان جيحزى خادم أليشع يراقب المناقشة بين نعمان وبين سيده بخصوص ما كان نعمان يبغى أن يقدمه . وامتلأ قلبه من الطمع وهو

يرى الذهب والفضة . ولم يقدّر سمو سيده وهو يرفض بإباء عطايا نعمان بل لامه فى سره . .

فلما انصرف القائد الارامى تسلل من مكانه وركض خلفه وظل يركض ويركض حتى أحس نعمان به فأوقف مركبته ونزل للقائه وأحسن الحديث معه — وقال جيحزى أن سيده أرسله لأن غلامين من بنى الأنبياء حلاّ ضيفين عليه وهو لذلك يطلب وزنة فضة وحلتى ثياب . ونحن نرجح أن نعمان أدرك أن جيحزى يكذب ...لا يمكن أن يطلب إليشع هذا الطلب، وأدرك أن جيحزى يطلب لنفسه ورأى أن من اللائق أن يعطيه، فعرض عليه وزنتين . من الفضة وحلتين من الثياب وتمنع جيحزى قليلا ثم قبل تحت إصرار نعمان . وحمل عبيد الرجل عطيته إلى باب جيحزى وأخذها منهم وأودعها بيته مسروراً . . وعاد إلى مكانه فى غرفة النبي الشيخ ! !

وسأل اليشع جيحزى أين كان، وأجاب جيحزى بكل بساطة أنه لم يذهب هنا أو هناك . قال ذلك مطمئنا أن أحداً من البشر لم يره . . وأن الذين رأوه من رجال نعمان قد عادوا الى طريقهم !!

وتكلم اليشع بصوت هادىء ولكن كلماته العميقة رنّت كالرعد فى أرجاء المكان . قال :

« ألم يذهب قلبي حين رجع الرجل من مركبته للقائك ؟ ! . . ياللعجب ! بأى عين استطاع اليشع أن يرى » . كلا . لم يره اليشع ولا أحد من رجال أليشع . . ولكن الله رآه وكشف السر لعبده النبي !!...

ثم استمر اليشع يقول : «أهو وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب وزيتون وكروم وغنم وبقر وعبيد وجواري؟ » ... ماهذا الكلام . لقد رأى اليشع جيحزي يأخذ الفضة والثياب .. وان يكن جيحزي يتساءل كيف أبصر؟؟.. ولكن ما هو الزيتون والكروم والغنم والبقر والعبيد والجواري !؟؟ كانت هذه في فكر جيحزي . . بينما هو راجع مع الغلامين اللذين حملا الفضة والثياب جعل يفكر ماذا يشتري . وقرأ اليشع عن بعد أفكاره المختبئة داخل رأسه نعم فإن كل شيء ... حتى أفكارنا الداخلية - عريان ومكشوف لديه !!

وختم اليشع كلامه بالقول :

« فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك الى الأبد » فخرج من أمامه أبرص كالثلج !!

٧٩
كاك

يوم الأطفال

« وأرسل الغراب .. فخرج (تك ٨ : ٧) »

سأقدم لكم آية غريبة جداً . إنها ليست آية من الكتاب المقدس شأن كل موضوع عظة . إنها مخلوق حي .. بل مخلوق غير مقبول — آيتي هي « غراب » — في خدمات يوم الأطفال كنت أرى العصافير الدورية وطيور الكناري وكنت أسمعها تغني ، وكان يبدو أنها تغني عندما كان الأولاد يرنمون أو يلعبون على الأرغن . لكن آيتي ليست كنارياً سعيداً بل غراباً !!

هل تعرفون لماذا يقول الغراب « كاك كاك » هذا هو السؤال الذي أقدمه . لماذا يقول الغراب « كاك » ؟ — قرأت مرة قصة توضح هذا الأمر أو على الأصح تعطي توضيحاً خيالياً عن سبب قول الغراب « كاك » !!

قيل إن سبعة غربان صغار كانوا يسكنون في عش وكانوا سوداً ، سوداً كالليل الحالك — وكانوا في أول أمرهم يتكلمون معا كثيراً وسأقص عليكم كيف صاروا لا يتكلمون الآن !!

كان عند هؤلاء الغربان عادة رديئة جداً . كانوا يكرهون أن يسألهم أحد سؤالا ما ، فإذا ما سئلوا فإنهم كانوا يجيبون بغاية الفظاظة . في أحد

الأيام وهم فى طريقهم إلى عشهم اقترب منهم طائر «النقار» ووقف على الشجرة وجعل يتحدث معهم قال :

« ليت شعرى لماذا تختلف سيقانكم عن ساقى ؟ قال هذا ومد إحدى ساقيه للغربان — وكان الغربان يعرفون سبب الاختلاف ، لأن أمهم التى كانت حكيمة جداً كانت قد أخبرتهم فى صباح ذلك اليوم وهم يرقبون « النقار » وهو يتسلق الشجرة ، غير أنهم لم يعبأوا بسؤاله وأجابوه بمنتهى الخشونة : « أهو كده »

بعد ذلك جعل « النقار » يحدثهم عن عشه وكيف حفره بمنقاره فى جزع شجرة قديمة ثم سألهم لماذا لا يبنون عشهم كما يبنى هو عشه وكان الجواب : « أهو كده » !! ومن ذلك الوقت أصبحوا يجيبون كل سؤال بهاتين الكلمتين «أهو كده» !!

ومر وقت أحس الغربان بعده أن « أهو كده » كثيرة عليهم فاكتفوا بالقول « كده » ... واعتزلوا الناس وكرهوا الحديث فلم يكن أحد يسمع منهم شيئاً غير الكلمات « كده كده » ... بل أن نفس كلمة « كده» أصبحت ثقيلة عليهم فصاروا يقولون « كه » واشتدت كراهيتهم للجميع فكانوا إذا ما أبصروا أحداً يقترب منهم ظنوا أنه ينوى أن يسألهم سؤالا فطاروا وهم يقولون « كه كه » التى تحولت فيما بعد إلى « كاك كاك » ... وجعلوا يقولون « كاك » كثيراً جداً حتى بحت أصواتهم . ومن ذلك الوقت كفت الطيور الأخرى عن سؤالهم عن أى شىء !

كان هذا من سنين بعيدة وإلى الآن لا يزال الغربان قليلى الأصدقاء .

وأنت إذ ما أصغيت فى الربيع أو فى الصيف فأنا موقن أنك تسمعهم يقولون « كاك كاك »

قرأت هذه القصة فى كتاب « صوفيا براور » وافتكرت أنها تحوى درساً قد يحتاجه البعض منا — درس هام يلزم لنا فى « يوم الأطفال »

إنه تحذير لنا ضد الغضب والحماقة . إنه يحدثنا كيف تنمو فينا هذه الصفات بالتدريج حتى تنتج فينا ما لا نحلم به وإذا ذاك نفقد أصدقاءنا . أنتم تشاهدون الغربان كثيراً على أشجار النخيل هنا . . وأنا أرجو أنكم كلما سمعتموهم أن تفكروا كيف أصبحت أصواتهم خشنة فتعلمون كيف تكونوا لطفاء — حسّاً وكلاماً — إذا فعلتم ذلك تفعلون الحق وتنالون المكافأة !!

٨٠

حريق الحانة

« ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر (ا ش ٢٨ : ٧)

عاد « جيمى روبرت » إلى البيت وهو يصيح : « حريق ! حريق » واندفع الى البيت وقد دفع الباب بشدة كادت تخلعه من مكانه ، فأزعج صوته جدته العجوز التى كان يقيم معها . . . بل بالحقيقة حدث اضطراب ليس بقليل فى كل الجيرة . . .

وقالت الجدة : « أين هذا الحريق ياجيمى ؟ »

فأجاب : « إنه فى دكان الخواجا بول ، كل الأشياء فى الدكان قد اشتبكت النار فيها — أليس شيئاً سيئاً يا جدتى أن تحترق كل هذه الأشياء النافعة الطرابيزات ، والكراسى ، والمخدات . . كل الأثاثات الجميلة التى تباع فى الدكان . . يا خسارة !! » .

وقامت الجدة لترافق حفيدها الى مكان الحريق وقالت وهى فى الطريق « نعم . إنها خسارة كبيرة أن تحترق كل هذه الأشياء الجميلة » . وكان كل الجيران وكل المارين يقولون : « خسارة ، خسارة » .

وبعد أسبوع من حادث احتراق دكان « الأثاث » عاد جيمى أيضاً

يصيح : « حريق ، حريق !! حريق ياجدتى !! الخمارة تحترق ياجدتى . . هلم نذهب !! »

ولمزيد اندهاش « جيمى » قالت الجدة « كلا . لاتذهب . أنا مسرورة إن الحانة تحترق !! »

وصرخ جيمى ، و « تنطط » ، والتمس ، وبكى ولكن بلا فائدة فقد صممت جدته ألا يخرج . لقد كانت جدة محبوبة ظريفة وكانت لها دراية بمعاملة الأولاد ، ولذلك امسكت بيدجيمى بكل رقة واجتذبته نحوها بحنان وقالت : « والآن ياولدى الحبيب أود أن تصغى إلى ما أقوله لك !! انت وأنا — على ماتذكر — حزنا كثيراً عند ما احترق دكان الأثاث ولكن ياجيمى أنا لم أحزن لماعلمت أن الحانة تحترق وسأقول لك السبب : —

لما احترق مخزن الأثاث احترق شيء نافع ، وكانت خسارة كبيرة . ولكن هذا — دكان الخمر — عمل غير نافع وهو يسبب خسائر كثيرة » — ومسحت الجدة دموعها بطرف فوطتها إذ تذكرت مقدار الضرر الذى سببته هذه الحانة لوالد جيمى ، فقد مات سكيراً !!

« والآن ياجيمى فكر كم تكون الخسارة كبيرة جداً لو أن كل دكاكين البقالة والخردوات والمانيفاتورة والمخابز ومخازن الأثاث . . لو أن كل هذه وغيرها احترقت . إنها تكون خسارة هائلة وكل واحد سيحزن ولا شك !

ولكن افرض أن كل الحانات فى المدينة وفى القطر وفى العالم . افرض ان كل هذه احترقت فان الناس كلهم أو على الأقل جلهم يفرحون . .

اعلم ياجيمى أن عمل الحانات عمل غير صالح وأنا مندهشة كيف أن الحكومة تسمح بوجود عمل يفرح بهلاكه غالبية الناس !!! » .

وفى المساء أرسلت الجدة حفيدها إلى البقالة ليشترى شيئاً وهناك أبصر بقايا الحانة المحترقة فغمر قلبه شعور ، قال جيمى على أثره : « ان رأى الجدة صائب وسأكون عدواً شديداً لكل عمل غير صالح !! »

يحسن بكل ولد وكل بنت أن يقرر من الآن أن يكون عدوا لكل عمل غير صالح !!

٨١

الولد الذى لم يكن جبانا

«يا ابنى أن تملقك الخطاة فلا ترض (ام ١ : ١٠) »

سأقص عليكم قصة مؤثرة عن ولد هاجمته التجربة ولأنه لم يخضع لها دعاه رفقاؤه جبانا — كانت « عصرية » ارتفعت درجة حرارتها ارتفاعاً فظيعاً وكان ذلك فى شهر أغسطس . لم تكن هناك ولا نسمة هواء والعصافير بلغ من خمولها أنها لم تستطع أن تفتح فاها لتغنى . وكانت الدنيا مظلمة وعابسة وظهر أنها لا بد أن تمطر بعد قليل . وشمل السكون جميع الخلائق من ناس وحيوانات وطيور ...

ولكن « فرد هاتبورن » ورفيقاه « دك » و « ول هاينس » افتكروا أن الوقت مناسب جداً للصيد ولذلك خرج ثلاثتهم يحملون عصيهم و « سنانيرهم » وبقية عدة الصيد . وقد نجحوا فى صيدهم فاصطاد كل منهم كمية كبيرة . وعندئذ قال « دك »: « أظن أن ما اصطدناه يكفى . هلم نسبح فى الماء فإن الماء سيرطب أجسامنا الملتهبة بعد « مشوارنا » الكبير » وقال « ول » : « أنه اقتراح حسن » ، أما « فرد » فقد صدمهم بالقول : « آسف فانى لا أستطيع »

— « لا تستطيع ؟ لماذا — هل أنت مريض ، ماذا دهاك ؟ إنك لم ترفض السباحة معنا قط !! » .

وأجاب « فرد » : « أنا أعرف ذلك ولكن أمي قصت علىّ أخبار بعض من غرقوا أخيراً ، وقد عاهدتني على ألا أنزل إلى المـــاء أيضا بدون إذنها ! ! »

وهنا قال « دك » كلام فارغ ! إن النهر لم يتغير عن ذى قبل . أن للنساء « تخريفات » كثيرة هذه الأيام . . اليس كذلك يا « ول » ؟ »

وقال « ول » : « نعم أن للنساء « تقاليع » كثيرة ، أما الأم الحكيمة فلا تعاهد ابنها بمثل ما عملت أم « فرد » .. أن السباحة من حاجيات الأولاد هلم يا غلام . دعني أساعدك فى نزع ثيابك » . ولأنه كان كبيراً فى جسمه خلع جاكتة « فرد » ، ولـــكن « فرد » أجاب بحزم : « كلا . لن أنزل . يمكنكما أن تسبحا كما تشاءان ، أما أنا فسأجلس هنا أرقبكما فأنا أقصد أن أتمم وعدى لأمي ! ! »

ولما أبصر « دك » و« ول » علامات التصميم على وجه « فرد » علما أنهما لن يستطيعا تغيير قصده فدعياه « جبان » وشكراً الله كثيراً أنهما من عناصر أشرف وأنبل منه ! !

لقد كانت حماقة منهما أن يظنا أن من الرجولة تجربة ولد آخر أن يعمل عملا خاطئا . يظهر أنهما نسيا أن الولد يبرهن على شرف نفسه ورجولته عند مايكون شجاعا بجانب الحق ويطيع أمه !

واضطجع « فرد » على العشب وانشغل بالفرجة على الفراش حوله . ولكنه بغتة سمع صرخة استغاثة ! لقد أحس « دك » بمرض فجائى فطوح بيديه نحو

«ول» يبغى التعلق به . وكان « ول » أنانيا فحاول أن يتخلص منه وقد قال فيما بعد أنه لو كان قد حاول إنقاذه لغرق معه ... ولم ينتظر « فرد » طويلا بل وثب إلى الماء فى الحال ووصل فى آخر لحظة إلى « دك » وهو على وشك أن يغطس آخر مرة . وبذل مجهودا كبيرا حتى تمكن من الوصول إلى البر ومعه « دك » فى أمان !!

والآن مَن مِن الاثنين كان الجبان ؟ .. « ول » أم « فرد » ؟

إن الولد الذى يطيع أمه لا يمكن أن يكون جباناً . قد يضحك الناس منه وقد يستهزئون به إذا ماوقف ثابتاً فى الأمر ....ولكن الولد المتصف بالرجولة يقف فى وجه الاستهزاء ثابتا كما يقف الجندى أمام النار

ليتكم تصغون إلى وصية الحكيم القديم : « ياابنى إن تملقك الخطاة فلا ترض» . إذا ما اتبعت هذه النصيحة فستنجح نجاحاً كبيرا فى الحياة . اذكر أن أحسن سياسة أن تطيع أمك كل مرة وطول الحياة ...

فهل تفعل ذلك ؟

٨٢

كيف تتخلص

من خطاياه

«أنا أنا هو الماحى ذنوبك (اش ٤٣ : ٢٥) »

قصة هذا الصباح عن غلام صغير أظن أنه لا يزال حياً فى بلاد كوريا .. وقد كان غلاماً فقيرا جدا .. وغير سعيد !!

ولكنه — شكرا لله — وجد السعادة

اسم الغلام «كيم» وعمره اثنتا عشرة سنة . واسم اخته «كوزيكى» — وكان الاثنان فقيرين جدا وليس لهما أب ولا أم، يتيمين لطيمين — لأن والديهما أصيبا بالحصبة وماتا . فكان الولدان لا يحصلان إلا على أكلة واحدة فى اليوم من أرز أو من جـــذور الأعشاب أو حبوبها ، فكانا على الدوام جوعانين . كانت «كوزيكى» كثيرا ما تبكى من فعل الجوع . أما «كيم» فكان يشد حزامه على بطنه من الجوع ويسأل نفسه . «كيف أستطيع أن أحصل على دراهم لمشترى طعام كاف» ؟

وأخيرا خرج فى يوم رأس السنة ليتسول . فصار يقرع على الأبواب ويطلب أن يعطوه «تشيونج» فكان اغلب الناس يجيبونه برضى وسرور مع سبعة «تشيونجات» — ولكن هل تعرفون ماهو «التشيونج» ؟؟

إن أهل كوريا مثل غيرهم في الشرق الأقصى عباد وثن خطاة . ففي ليلة رأس السنة يكتبون قائمة بخطاياهم التي يتذكرون انهم ارتكبوها أثناء السنة الماضية ويخبئون القائمة في تمثال من القش ويخبئون في هذا التمثال بضعة قروش قليلة . فلما يأتي إلى الباب شحاذ يرون أن الفرصة حانت ليتخلصوا من خطاياهم بتقديم هذا التمثال للشحاذ . ومع أنه يكلفهم أحياناً ما هم في أشد الحاجة إليه من النقود ، فإنهم يرون فيه طريقة لمحو كل خطاياهم الماضية !!

وإذ لم يكن « كيم » يعرف القراءة فبالطبع لم يكن عنده فكر البتة عن الخطايا المكتوبة في القوائم التي أعطيت له . ولذلك أخذ القوائم السبع إلى طالب في المدينة وطلب منه أن يقرأ له بصوت عال الخطايا المذكورة فيها !!

فوضع الطالب نظارته على عينيه وابتدأ يقرأ الخطايا ... وما كان أردأها خطايا !!

كان في بعض القوائم خطايا مثل الشراهة والمشاجرة وضرب الأطفال .. فقال الطالب وهو يهز رأسه . هذا ردىء جداً !! » .

ثم قرأ قائمة خطايا تاجر فجاء فيها ذكر الغش في صرف النقود ، والوزن الناقص ، وبيع لحم ردىء . ثم اشتكى نفسه بأنه قال كلاماً ردياً في حق غيره وأنه « قرص » ذراع آخر قرصة مؤلمة . فتنهد الطالب وقال : « هذا ردىء جدا !؟ » فأجاب « كيم » : نعم ردىء للغاية !! »

وبعد هذا قرأ الطالب قوائم أخرى أردأ وأفظع فما وسعه إلا أن يرمى بالقوائم إلى « كـــيم » ويقـول له : « اذهب بهذه القوائم فإنها تملأ بيتى بالشياطين ! ؟ »

فلبس « كيم » حذاءه وعاد إلى بيته فوجد « كوزيـكى » مشغولة فى إعداد شوربة من قشور الخضروات ، وكانت رديئة الطعم حتى أنه لما ذاقها انتهر أخته بشدة فبكت وانهمرت دموعها على خديها اللذين سودهما دخان النار !!

وبقى « كيم » نحو سنة يحمـل خطايا الآخرين مفتكرا أنها خطاياه . ولكن قبل رأس السنة بأسبوع قالت له « كوزيـكى » « يا أخى أربط خطاياك إلى طيارة فى ليلة رأس السنة وطيرها حتى لا تراها البتة . فقام « كيم » وهتف فرحاً قائلا : « نعم . سأفعل هكذا !! »

وابتدأ فى الحال يشتغل بجمع أغصاناً لجوانب الطيارة وأخذ أوراق القوائم السبع التى جمعها السنة الماضية وللجانب الثامن أخذ قائمة الطـالب الذى قرأ له « الخطايا » وقد طلب من « كيم » أن يحملها عنه أجرة قراءته —

وفى نصف الليل خرج « كيم » وسط الدار ليطير الطيارة، فصارت عالية حتى شدت الخيط إلى آخره . : وأفلتها فانطلقت فى الجو وإذا ذاك قال : « الآن ذهبت كـل خطاياى » — وكان فرحه عظيما لما رأى كـل خطاياه الملعونة تطير على سطوح البيوت ، فقال بافتخار :

« الآن لم تبق خطية واحدة !! »

ولكن فى الصباح التالى لم يكد يذوق الشوربة المرّة حتى شدّ أذن أخته وقال لها : انى لم أذق شوربة أردأ من هذه !!

فقالت له أخته : « إنك قد أخطأت يا أخى لأنك شددت أذنى بشدة !! »

فقال : « كلا لم أخطىء !! »

وبكت « كوزيكى » لأنه « قرصها » فى ذراعها فقالت له : « وهـذه خطية أخرى يا « كيم » . إنك لم تفقد كل خطاياك !! »

فقال لها : « كذبت . فإنى قد فقدتها كلها !! »

فحدثت مشاجرة بينهما ، وإذا رجل غريب يقرع على الباب وبيده طيارة كيم — فقال للقادم :

« اذهب ، اذهب ، فإنى قد أضعت كل خطاياى . فخـذ الطيارة واذهب !!

فأجابه : « انظر يا أخى إنى أتيت لأبشرك ببشارة مفرحة . فهـذه الطيارة سقطت الليلة الماضية وأمسكت بشباك بيتى ... وإذ قرأت عليها الإسم والعنوان أتيت مسرعاً لأخبرك أنه يوجد إله قادر أن يغفر لك خطاياك !! »

فاندهش كيم و كوزيكى لهذا الخبر لأنهما لم يسمعا البتة أحداً يتكلم عن أبينا الذى فى السموات .. أو الرب يسوع الذى نزل من السماء ، ومات ليهبنا غفران خطايانا . ولما شرح كيم للرجل كل خطايا المرعبة ، وبيّن

كيف حدثت حتى أنه أصبح يخاف من مجرد ذكرها : لما شرح كيم ذلك قرأ الرجل له ولأخته كلمة الله المطمئنة وأخبارها المفرحة !!

وكم كانت هذه الأخبار الجديدة عظيمة الوقع فى نفسيهما لاسيما ماقرأ لهما عن محبة الرب يسوع للخطاة ورغبته فى غسلهم من خطاياهم مهما كانت رديئة وكثيرة . وأن الروح القدس يقول : «إن المسيح قادر على أن يطهر بدمه الكريم كل من يتقدم به إلى الله» .. ففرح كيم المسكين كثيراً عند سماعه هذه الأخبار المفرحة ، خصوصاً بعد مجهوداته القاسية فى التخلص من خطاياه — وكانت بهجته لاحد لها عندما رأى أن خطاياه التى أتعبته زمناً طويلا يمكن أن تمحى جميعها بدم المسيح المطهر ..

نعم «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة !!»

٨٣
كنيسة قدح الماء

« لأن من سقاكم كأس ماء باسمى ... فالحق أقول
لكم أنه لا يضيع أجره . (مر ٩ : ٤١) »

رجع قس ضيعة سان بدرو — من ضواحى أشبيلية بأسبانيا — إلى منزله فى ساعة متأخرة من إحدى ليالى عام ١٨١٥م ، بعد نهار قائظ كان قد قضاه فى الوعظ والزيارات . وكان يصحبه ساعة أوبته رجل مخيف المنظر مرهب النظرات ، يرتدى اسمالا بالية ، وتبدو على محياه العبوس إمارات الحنق والإجرام . كان القس يعيش فى بساطة ووداعة ، يقتات فى عشائه مما فضل من غدائه . ويلبس فى عامه الجديد ، ما العبث به أيدى البلى فى عامه المنصرم . ولا مؤنس له فى عيشته هذه سوى مربيته العجوز التى حالما رأت ربيبها القس ورفيقه المجهول علاها الخوف والاشمئزاز . فهرع القس وهمس فى أذنها : « معذرة ياسيدتى ... أن ما يكفى لإطعام شخصين يكفى لإطعام ثلاثة ، فلا تجزعى » فهرولت إلى داخل الدار مدمدمة : « يارب ! أن له منظرا قبيحا كقاطعى الطرق ... !! »

وكان الضيف واقفاً على عتبة دار القس فى أثناء حديث الأخير مع مربيته ، وهو رجل طويل القـــامة ، شعره مسترسل فى غير انتظام ،

وعيناه تنبعث منهما نظرات ملتهبة. وكان يعلق على كتفه بندقية فلما انتهى القس من محادثته مع المربية والتفت إلى الضيف فاجأه هذا بقوله : « علام عزمت يا سيد ؟ . أأستطيع أن أبقى أم أغادرك واذهب ؟» فرد القس : « لا . لا تذهب بالطبع . أهلا بك وسهـــلا . . . تفضل اجلس إلى هذه المائدة ، وأرجو أن تصلى قبل أن نتناول الطعام !!! » .

فأسرع الضيف بالدخول ولما جلس إلى المائدة قال : « أشكر لك صنيعك سلفاً ... وأرجو أن تسمح لى بأن أبقى فى وقت العشاء حاملا بندقيتى ، فهى رفيقتى العزيزة وقد قيل : «الصديقان شخص واحد !» .

* * *

لاحظ القس أن ضيفه كان جائعاً جوعاً شديداً ، وأنه التهم ما يكفى لإشباع أكثر من اثنين رغم أنه كان مضطرباً ، حائر النظرات يرسلها ذات اليمين وذات اليسار ، كخائف يتوقع حدوث شر مستطير . وقد انتصب فجأة بقوة وعنف ، وقبض على بندقيته بمهارة وإحكام ، وصوبها نحو الباب عند ما انفتح أحد مصراعيه . ولم يسكن اضطرابه ويهدأ روعه الا عند ما أيقن أن الباب قد فتح من ضغط الهواء !!

ولما انتهى العشاء التفت الضيف إلى القس وقال : « لن أنسى إحسانك هذا ما عشت . وكنت أود الا أكثر عليك بطلباتى . بيد أنى أرانى مضطراً إلى قطعة قماش أربط بها جرح ساقى . فهل لك أن تتكرم على بشىء من

هذا ؟ إنني أتعهد أن أغادرك تواً بعده ! ! » فقال القس : « أرجو ألا تظن ياصديقي أني أتضايق منك أو أستثقل ضيافتك ... بل تأكد أنني جد مسرور لوجودك عندي . وأكون سعيداً لو سمحت لي بتضميد جراحك ، لأن لي بعض الإلمام بفن الجراحة » . .

ثم شمر عن ساعديه ، وفتح دولابه العتيق وأخرج منه صندوقاً صغيراً يحوي كل لوازم الاسعاف والتضميد . ثم رفع ثوب الرجل وبغت لما رأى أن الجرح عميق جداً ، قد اخترقته رصاصة من الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر ، فالدم يسيل منه مدراراً . ولولا شجاعة الرجل وعزمه وجلده ما استطاع أن يخطو خطوة واحدة . فأفرغ كل مهارته في إسعاف المصاب وتضميد جرحه البليغ ، وعقب ذلك بقوله : « إنني لن أدعك تغادر بيتي وأنت هكذا . يجب أن تبيت عندي فإن بضع ساعات تنامها تجدد قواك وتريحك وتبرد من التهاب جرحك وتمنع تورم ساقك ! ! »

فرد الرجل في غلظة تخالطها ابتسامة ، وشدة مشوبة بلطف : «لن يكون هذا يا سيدي ... يجب أن أنطلق الآن ... إن البعض ينتظرني ، والبعض الآخر يطاردني كأني وحش ضار ... آه إن جرحي الآن قد خف قليلا وقواي قد انتعشت ... فخذ هذه الدريهمات القليلة ، نظير صنيعك الجميل ... لك شكري الحار ! ! »

فاختلط وجه القس بعلامات شتى وقال: «لست ياصاح صاحب فندق ولن أبيع ضيافتي» فقال الجريح : « لك ماتريد ... أستودعك الله ! ! » .

وهرول نحو الغابة التي تحيط ببيت القس ، بعد أن دس في ثنايا ملابسه رغيفاً كان القس قد أعطاه أياه .

* * *

بعد أقل من ساعة من انطلاق الجريح سمع من داخل الغـابة صوت طلقات نارية . وبعد لحة فتح باب القس ودخل منه ذلك الضيف المطارد والدم يتدفق من جرح كبير فى صدره . وما كاد يستقر فى رحبة الدار حتى سقط مغشياً عليه . ولما عادت إليه الحركة واستطاع الـكلام أخرج من جيبه بضع دراهم دفعها إلى القس وهو يقول : « هذا لأجل ولدىّ الصغيرين الساكنين فى الـكوخ المنفرد على شاطىء النهر . اعتن بهما يا سيدى » . . واغمى عليه مرة أخرى . فأخذ القس يواسيه ويعزيه ويصنع كل ما يظن فيه راحته وشفاءه ! !

وبينما هما كذلك دخل رجال الشرطة فى أدب ووقار وبعد أن حيوا القس أوثقوا ضيفه الجريح وحملوه إلى عربتهم والقس يحاول عبثاً أن يمنعهم . وقد ذكروا له أن هذا الجريح كان « جوزيف » اللص الشهير الذى أقلق راحة الناس وأدخل الرعب فى قلوبهم ، ولعب بالأمن والقائمين به مراراً ! !

زج « جوزيف » إلى داخل العربة ، وعيناه متحولتان نحو القس ، الذى غمره بحسناته ، تشع منهما نظرات الشكر الحار . ثم أشار إشارة واهنة وقال بصوت خافت : « قدح ماء ! ! » فلبى القس نداءه سريعاً ! !

وانطلقت العربة برجال الشرطه ، المحيطين بذلك الجريح الموثق الجسم المعذب القلب ، وقد توغلت بهم فى وسط الغابة المظلمة. فتبعها القس وبيده قنديل ضعيف ذابل لا يكاد ينير له السبيل . وسار يتعثر فى مشيته حتى أتى إلى آخر الغابة وبلغ شاطىء النهر ، ووصل إلى الكوخ الذى يضم بين جدرانه إبنى « جوزيف » . .. وولج القس الباب غير هياب ولا وجل. فإذا به يواجه الحقيقة المرة والواقع الذى تتقطع له نياط القلوب ... رأى جثة أم أمام طفلين صغيرين . هذا يجذبها من اليمين وذاك يحاول أن يحتضن ثدييها من اليسار .. يصرخ أكبرهما : « أم ...ى أمى .. ق .. ومى .. أمى أمى . قومى » — ولا راد ولا مجيب !!

أى منظر أدمى للفؤاد من هذا ؟ .. إنه لمنظر رهيب وموقف مؤلم وحال محزنة موجعة ...

فلما تمالك القس نفسه وضبط عواطفه حمل الطفلين إلى حيث يأوى ولما أبصرت به مربيته صرخت فى وجهه : « ما هذا ؟؟ من أين جئت بهذين الطفلين ؟ ولم ؟ ... إنك لا تكاد تملك قوت يومك ... أتريد أن تتسول! ان نفسى تحدثنى أنهما ولدا ذلك اللص القاتل الذى حملته الشرطة من هنا منذ ساعة .. وانى لا أشك أنهما لم يتعمدا حتى هذه الساعة !! ».

وعندئذ ارتفع صراخ الطفل الصغير وهو ملتف فى أقمطته الرثة ، فزاد حنق المربية وقالت: «واعجبى... من يرضع لك هذا ؟ أنك لا تملك ما تدفعه أجرة لمرضع ، وأن ليالى الأرق التى سأقضيها بجانب هذين الطفلين ، وبخاصة

من أجل هذا الرضيع لن تقلق عليك راحتك ، أو تزعج نومك الهنىء !!
.. يا يسوع ... يا ابن الله . . . دبرنا . . إن هذا رضيع لا يزيد عمره على
ثمانية شهور ، وأنه لمن حسن الحظ ، أن يكون لدينا قليل من الحليب . .
وأخذتها عاطفة الأنوثة الرقيقة لحمات الطفل بين يديها وضمته إلى صدرها
في حنان وأشبعته قبلات حارة . ثم قامت تشعل النار . وقربت منها وعاء
الحليب . ولما أسقته أضجعته في فراشها ، وذهبت تهيء بعض الثياب القديمة
فراشاً للصبي الآخر . وكانت وهي تقوم بهذا تستمع للقس وهو يقص
عليها كيف أوصاه الجريح بهذين المخلوقين وكيف وجدهما ، ورأى أمهما
وهي مائتة بينهما ، وما نوى أن يفعل بالجميع . . و . . . و فقاطعته العجوز
بقولها : «حسن كل هذا وجميل ... ولكن من أين لك المال اللازم لتربية
هذين الطفلين .. وتشييع جنازة أمهما ؟؟ » فوضع القس يده على الإنجيل
الذي كان موضوعاً فوق المائدة وقال : « تذكرى قول السيد من قبل ولداً
واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني .. لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله ومن
سقا كم كأس ماء باسمي .. فالحق أقول لكم إنه لن يضيع أجره »

وفي الصباح قام القس بكل مراسيم الجنازة لأم الطفلين وصلى عليها
في كنيسته الصغيرة ثم دفنها ، ومن ثم أخذ يوجه عنايته إلى الطفلين فعمدهما
باسم الآب والإبن والروح القدس ... وكان الرزق يأتيـــه من حيث
لا يحسب

***

مرّ اثنا عشر عاماً وها نحن نرى قس ضيعـــة « سان بدرو » قد أثرت عليه الشيخوخة فتدثر فى ملابسه وهرع إلى خارج الدار وجلس على حجر قريب من بابه تحت أشعة الشمس المشرقة ، وحرارتها المنعشة ، يجاوره صبي يافع ، له من العمر إثنتى عشرة سنة ونصف سنة ، يرفع صوته بالقراءة فى كتاب دينى وقد جلست بالقرب منهما « مرغريت » المربية العجوز ، التى كادت أن تعمى عيناها ، نصغى فى إنصات إلى ما يقرأه الصبي . وبين آونة وأخرى نشاهد القس والمربية يوجهان نظرهما نحو شاب قوى العضلات يفلح البستان فى نشاط عظيم . ويظهر للرائى أنه بلغ من العمر نحو السادسة عشرة

وبينما الجميع كذلك سمعوا دوى عربة تقترب من مكانهم على غير العادة وفجأة أبصروا العربة تقف أمام باب دار القس ، وينزل منها خادم يرتدى ثياباً مزركشة تدل على أن سيده رجل شريف . ثم تقدم هذا الخادم من القس وطلب لسيده « قدح ماء » فقال القس : « أميل ! عجل بقدح ماء !! »

وقبل أن يخرج أميل بالقدح ، نزل من العربة رجل فى نحو الخمسين من عمره تبدو عليه علامات النعمة وأمارات الثراء واقترب من القس ورفع قبعته محيياً . ولما رأى الصبيين سأل القس : « أهذان ولداك؟ أم ولدا أحد أقربائك » فقال القس : « بلى ياسيدى ، هما ولداى . تبنيتهما من اثنى عشر عاماً . . . دخل أبوهما بيتى جريحاً فى صدره . . . ثم أتى رجال الشرطة وحملوه إلى دائرتهم بعد أن أوثقوه . . . لا هو بالحى فيرجى ، ولا بالميت فيسجى .

وقبل أن ينطلقوا به وكل الى أمر العناية بهذين الولدين . . وها هما قد كبرا ولا أدرى كيف أدبر مستقبلهما وأنا فقير معدم !! »

فقال الشريف . « أرى أن تبعث بأحدهما الى مدرسة الحرس الملكى ليكون ضابطاً ، وتدخل الثانى مدرسة الطب ليكون طبيباً !! »

فقال القس : « لا تمزح هكذا ياسيدى إنى أريد نصيحتك . . . لا » .

فقاطعه الشريف : « لست أمزح يا جناب القس . ويجب أن تعيد بناء هذه الكنيسة وتزخرفها وتحسنها ، وتبنى بجوارها بيتا أجمل وأفسح وتحيطها ببستان وسور . . وتضم فى حديقته ما ندر وجمل بين الأشجار والزهور . . وأن معى رسما دقيقاً لكل هذا ، قام بتخطيطه مهندس ماهر . ومتى انتهيت من الكنيسة تطلق عليها اسم « كنيسة قدح الماء » الا ترى ذلك ؟ ؟ » .

فقال القس : « لست أفهم يا سيدى معنى ما تقصد بالضبط . وما أظنك إلا هازلا . . ولكن مهلا إنه ليخيل إلى أننى قد رأيتك وسمعت صوتك قبل اليوم !! » : فرد الشريف بسرعة : « أصبت ياجناب القس . أنا « جوزيف » قاطع الطريق سابقا ، أنا الجريح الذى أضفته فى بيتك ، وتعهدته العناية والاكرام منذ إثنى عشر عاماً ! أنا الذى ضمدت جراحه بمهارة مدهشة . . . دار الفلك دورته فإذا أنا خارج السجن وإذا أنا زعيم حزب عظيم . . . وأنت ياأبت البار ، لم تكتف بالإحسان إلى ، أنا المجرم الخاطى ، بل كنت — ولا تزال — خير محسن متفضل ، أبا حنوناً لولدى . . هلم إلى ياولدى العزيزين ، هلم إلى أنا أبوكما الحقيقى » . . ثم ضم « جوزيف » ابنيه إلى صدره واشبعهما قبلات حارة قرنها بالدموع .

ثم وجه كلامه إلى القس : « أما تقبل اقتراحى يا أبت وتبنى كنيسة « قدح الماء ؟ ؟ »

فرد القس ، وقد تهلل وجهه بالبشر : « وكيف لا أقبل ؟» .. ثم التفت إلى مربيته العجوز وقال :

« مرغريت ، مرغريت .. أما تذكرين أننى منذ اثنى عشر عاماً تلوته على مسامعك قول السيد : من يعطى كأس ماء باسمى لا يضيع أجره ؟ — أى أجر نلناه يامرغريت فى هذه الحياة .. والأجر الآخرة خير وأبقى !! » .

ركب الزائر عربته بين ولديه ، وودع القس البطل بعد أن نفحه بكثير من النقود .. وبعد عام حضر هو وإبناه تكريس «كنيسة قدح الماء » التى نرجو أنها لاتزال حتى اليوم قائمة فى ضيعة « سان بدور » والتى تعد أجمل كنائس أسبانيا !!

٨٤

حصاد سريع

« فاذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير (غل ٦ : ١٠) »

شـــد بطرس معطفه القديم نحو أذنيه . ووضع يديه فى جيوبه وهو واقف أمام باب كوخ الجدة كاترين يتطلع بشجاعة إلى الطقس البارد والريح العاصفة التى تهب مع أمطار غزيرة منهمرة كأنها السيول فتحجب كل شيء عن الأنظار . وكان آخر « زرار » فى المعطف قد سقط ، فوضعت الجدة كاترين دبوسا (مشبكا) بدل « الزرار » المقطوع . ولكن عطية الجـدة كانت أهم لأنها أعطته قفازها الصوفى ليغطى به يديه من الصقيع . فقال فى نفسه : « إنها عطية سخية لأنها لا تملك زوجا آخر غيره ، وهى مضطرة بحكم عملها أن تلبسه وهى تلتقط قطع الفحم المتخلفة عن عربات السكة الحديد وتبيعها فى البيوت ومنها تعيش .. أما أنا فإنى أبيع الصحف وليس لى حاجة بالقفاز ، لأنى لا أقدر أن أستلم النقود وأصابعى داخل أكياس من الصوف ، أما هى ففى حاجة إليه أشد منى ، لا سيما وهى طاعنة فى السن والبرد يؤثر عليها بسرعة » .

كان بطرس يحب الجدة حبا جما فقد كانا صديقين منذ عـدة سنوات . وفى كل هذه المدة كانت عزيزة عليه كأم .. ومع أنها لم تكن جدة حقيقية له ،

إلا أنه لم يكن يوجد من يستطيع أن يرى ذلك ، فقد كانت محبتهما المتبادلة محبة جدة وحفيد . . وكان هو دائما يدعوها « الجدة كاترين » .

وكان ذات يوم ينتحل عذراً لزيارتها فى كوخها . وقد كانت تعول نفسها بالتقاط سواقط الفحم وبيعها فى البيوت القريبة منها . ولكن فى ذلك اليوم وصلها مكتوب مزعج جداً من صاحب الكوخ ينذرها فيه بإخلاء البيت حالا وبيع أمتعتها المتواضعة القليلة سداداً للإيجار المتأخر عليها . وأمام هذا الإنذار لم تكن هى ولا « بطرس » قادرين أن يفعلا شيئاً !

وكان اليوم شـــديد البرد وغزير الأمطار وقوى الرياح العاصفة ، فكانت الرياح تعصف فى الشوارع بصوت مخيف فيخفق قلب بطرس خوفاً على جدته المسكينة ويقول فى نفسه : « أين تذهب هذه المسكينة إذا نفذ الرجل تهديده وأخرجها هذا النهار من البيت ، وباع أثاثها القديم ؟.. ينبغى أن أذهب إلى هذا الرجل فلا بد أنه ساكن فى أحد قصور هــذه المدينة العظيمة !! ولا بد أن صاحب البيت لا يدرى شدة حاجـــة الجدة وإلا لما سمح بطردها من بيته !! نعم سأذهب إليه ، ويغلب على ظنى أن الرجل سيعطف عليها !! »

وما انتهى من توزيع آخر صحيفة حتى كان الظلام قد خيم على الكون ، وأطلق ساقيه للريح ليزور الجدة قبل أن يذهب إلى البيت وهو يقول فى نفسه : « ماذا ياترى يصيبها فى هذا البرد القارس إذا كان الرجل قد نفذ وعيده وطردها من البيت ، وأين تذهب المسكينة . قد علمت ماذا أعمل .

إنى أطلب منها أن تذهب معى الى بيتنا . وأنا متأكد أن ماما تقبلها متى علمت بقصتها ! »

وبينما هو يسرع لإتمام تدبيره هـذا ، حدث ما أعاقه وخيب آماله . فإن عربة فخمـة كانت مسرعة فى الطريق فارتطمت فجـأة فى الثلج وفى الوحل الذى أحدثه المطر الغزير والثلج الثقيل . فوقف يتأمل فى نفسه . . وبمـا أنه كشاف والـكشاف من دأبه أن يمد يد المساعدة لمن هو فى حاجة إليها . . لذلك تقدم من صاحب العربة وقال له :

هل أقدر أن أساعدك ياسيدى ؟ »

فأجاب الرجل : « أظن يا ابنى إن هذا فوق طاقتك ، علاوة على أنه ليس لك خبرة فى أمر مثل هذا » .

قال : « هذا حق ولـكنى سأفعل ما أقدر عليه . فاذا وضعت يدك معى ربما نقدر أن نخرج العربة من الوحل » . ثم تعاون الاثنان ، الرجل الغنى ذو الثياب الفاخرة وبائع الصحف الفقير ، ونجحا فى عملهما ..

وقال صاحب العربة شاكراً : « دعنى أوصلك بالعربة الى بيتك ! ثم سأله : « هل لك والدان وأخوة وأخوات » — قال : « لى أم فقط وهى القريبة الوحيدة الباقية فى الحياة ، ثم الجـدة كاترين ولو أنها ليست جـدة حقيقية ! ! »

— « اذن كيف تـكون جدة ؟ ؟ »

— « إنى أدعوها جدة لأنها تعاملنى كجدة وأنا أعزها كذلك »

— « أين تسكن هى؟ »

« هنالك فى التل الذى أمامنا فى شارع جكسون ١٠٥ ، ولها عدة سنين فى هذا البيت ولكن وصلها مؤخراً إنذار بالإخلاء وبيع أثاثها الحقير إن لم تدفع المتأخر عليها ! وأنا ذاهب لآخذها معى إلى أمى . وكنت عازماً أن أذهب إلى صاحب البيت — إذا أمكننى معرفة قصره — وأرجوه أن يتمهل عليها حتى أجمع لها شيئاً من الأجرة لتدفعه ، ولا بد أن الرجل سيقبل منى ذلك » .

فقاطعه الرجل وقال : ولكنى عوقتك ... فخذ هذا المبلغ لتساعد به !! » وأجاب بطرس : كلا ياسيدى ، لأن الكشاف لا يأخذ أجرة على مساعدة غيره . وكان من سرورى أن تتاح لى فرصة اليوم للمساعدة !! » .

قال . « إذن اركب معى لأوصلك الى بيت الجدة » . ثم أخرج بطاقة من جيبه وخط عليها كلمات . وعندما وصلا الى كوخ الجدة أعطاه البطاقة وقال له : « هذا عنوانى ، فاذا احتجت الىّ تعال لزيارتى » . ثم شكره وودعه كما يودع نظيره . . وبعد بضع دقائق كان بطرس والجدة واقفين أمام نور المصباح الضئيل يقرآن البطاقة وإذا فيها ما يأتى : — « وصلنى أنا ، حنا باركر ، أجرة البيت ١٠٥ شارع جكسون عن ستة شهور من الكشاف بطرس » الامضاء

وهذا معناه ، الشهران الماضيان وأربعة شهور مقدماً .. فطوقته الجدة بذراعيها ودموع الشكر والفرح تنسكب على خديها !!

٨٥

معلهش

« ففعل موسى حسب كل ما أمره الرب هكذا فعل (خروج ٤٠: ١٦) »

سأحكى لكم حكايتين فيهما نلاحظ الضرر الكبير الناشىء من كلمة « معلهش » !

— ١ —

يقال إن فتاة صغيرة تركتها أمها فى البيت ذات يوم وذهبت لتشترى بعض اللوازم من السوق، ولكنها أوصت ابنتها أن تمكث فى البيت ولا تفارقه حتى ترجع ، فوعدت مارى الصغيرة أمها أن تفعل حسب أمرها وتنفذ كلمتها.

ولكن كان اليوم صحواً والطقس لطيفاً فى الخارج بينما كان الحر فى البيت شديداً ، ولا توجد تسلية ولا مناظر تتفرج عليها فقالت فى نفسها: لا بأس إذا خرجت وجلست فى الرواق الذى أمام الباب الخارجى .. فإنى أكون أمام البيت وأحرسه أيضاً كما قالت أمى!! ولما تحرك ضميرها سكتته بالقول « معلهش» !!

ثم أسرعت وفتحت قفل الباب الخارجى وسارت نحو الرواق ، فوقع نظرها على الزهور الجميلة فى الحديقة الخارجية ، فصارت تتلهى بقطفها وترتيبها ، وهى تقول فى نفسها : « إن أمى ستسر بها ، وتثنى عليها !! »

وبينما هي على هذه الحال أقبلت امرأة عجوز وبعد أن حيتها قالت لها إن وراء بيتكم زهوراً فى الحقل أجمل بكثير من هذه ، فاذهبي واقطفيها !!

« ولكن أمي امرتني الا أترك البيت حتى ترجع لأنه لايوجد فيه أحد سواى !! » .

« معلهش !! ... ومع ذلك فإنى مستعدة أن أحرس لك البيت حتى ترجعى !! » .

فصدقت الفتاة قولها وذهبت إلى الحقل المجاور للبيت ، وقطفت الزهور وعادت بها ولكنها لم تجد العجوز . ولما دخلت البيت وجدت أنها حملت الأوانى الفضية كلها وثوب أمها الحريرى الجديد وهربت !

ان مارى ظنت أنه «معلهش» إذا خالفت أمها قليلا ، ولكن نتيجة « معلهش » هذه كانت خسارة ووبالا عليها وعلى أمها وعلى البيت كله !!

— ٢ —

أما الحكاية الثانية فحدثت فى جنوب أفريقيا إذ قتل فى الحرب أحد أمراء الفرنسيين وكان سبب قتله كلمة « معلهش » وهاك القصة :

إنه قبل نشوب الحرب بسنين أمر الأمير بصنع سرج لحصانه ، وبينما كان السروجي يشتغل فيه ، نقصه شيء صغير لم يجده لديه فقال فى نفسه: « معلهش » — ... فهذا شيء لايقدم ولا يؤخر .

ثم حمل السرج إلى الأمير فسر به لأن منظره كان جميلا وصنعه متقناً

فأمر له بعطاء جزيـــل . ولما نشبت الحرب بين الفرنسيين والزولو كان الأمير يحارب بنجاح باهر . وكان حصانه من أجود الخيول ، ولكن اتفق أنه أوغل فى مطاردة الأعداء وابتعد عن فرقته . وبينما هو يعمل فيهم بسيفه ، إذ بالسرج ينحل من تحته ، لأن الشيء الصغير الذى أهمله السروجى كان سبباً فى انقطاع الرباط الخارجى ... فانقلب الأمير من حصانه إلى الأرض ، وأسرع الأعداء وقتلوه شر قتلة . وكل هـــذا بسبب إهمال السروجى شيئاً صغيراً فى السرج !!

هذه هى الكيفية التى يبتدىء بها الأولاد بالتدرج فى سبيل الخطية فهم يقولون فى أنفسهم : « معلهش » إذا قلت هذه الكذبة الصغيرة... « معلهش » إذا شربت نفساً من السجارة ... « معلهش » إذا أخذت كأساً صغيراً من الخمر ... ولكن كم من النتائج السيئة تحدث من هذه التساهلات الصغيرة !!

إنكم لو سألتم أى مجرم وهو ذاهب إلى المشنقة عن سبب وصوله إلى هذه النهاية ، لأجابكم أن الأمر ابتدأ معه صغيراً جداً ، ولم يكن يبالى فى بادىء الأمر ، بل تهاون وأطلق لنفسه العنان وبالتدريج وجد نفسه من كبار المجرمين ...

لذلك كونوا أيها الأولاد الصغار محترسين جدا من أقل عصيان أو مخالفة ، فلا يصيبكم فى مستقبل حياتكم تعب من الأمور الكبيرة !!

٨٦

علبة البلح

« وإذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب (أعمال۲: ٤٦) »

كان فوزى يركض وينط حول البيت يوم الجمعة مساء ؛ وهو فى حالة انفعال شديد ... فإن عمه حنا تكلم بالتلفون وقال : غدا صباحا إن شاء الله سنذهب مع جماعة من الرجال للنزهة فى الحدائق القريبة .وسنذهب فى أوتمبيلين . ويوجد محل لفوزى ليتنزه معنا !!

فسرت مريم الصغيرة بالخبر كما سر يوحنا وقالت له : « انك ستتمتع بنزهة جميلة جدا وكنت أتمنى لو كان لى نصيب معك !! ».

فقال متفاخراً : « ولكن هذه جماعة كلها رجال ولا محل للبنات !! ».

ولما نفخ بوق الأتمبيل أمام باب البيت فى صباح السبت مبكراً كان فوزى مستعداً . وقبل أن يخرج من عتبة الباب ألقى أبوه فى يده ربع ريال وقال : « ربما تحتاج أن تشترى شيئاً فى الطريق !! » فشعر فوزى أنه غنى جدا ، وقبض على القطعة الفضية بكل شدة حتى لا تفلت من يده .

وكانت الطريق مملوءة بالمناظر الجميلة الجذابة . وأخيراً وصلوا إلى الحدائق القريبة ورأوا حرش النخل العظيم وعناقيد البلح المدلاة، والقريبة من الأرض وألوان البلح الجذابة !

وإذا برجل يتقدم إليهم بعلب صغيرة وكبيرة قد صف فيها البلح الناضج

الحلو صفوفاً فاشترى الرجال عدة علب منه ووزعوا على بعضهم وأعطوا فوزى حصة طيبة . فذاق البلح واستطاب طعمه اللذيذ وعصيره الحلو فوجده ألذ جميع أنواع الحلوى التى تعود أ كلها فى المدينة !!

وإذ كان الرجال يبتاعون أيضاً علبا أخرى ليأخذوها إلى ذويهم فى بيوتهم خطر ببال فوزى أن يشترى هو أيضاً علبة صغيرة بالخمسة القروش التى معه ويهديها لأخته مريم . لا سيما وهو قد تنزه وأ كل وهى لم تتنزه ولم تأ كل. فأسرع وأخذ علبة ودفع الربع الريال وهو يقول أمام عمه والآخرين « هذه لأختى مريم » — حتى شعر الجميع أنه كريم سخى النفس محب لأخته بإخلاص !

ثم قامت الجماعة بعد أن تناولت طعام الفطور وتفكهت بقليل من البلح وسارت تتنزه هنا وهنالك إلى أن حان وقت الغداء . فتغدوا على مجرى نهر صاف وأ كلوا بلحاً أيضاً . ونحو العصر قال فوزى لنفسه . «وماذا يضر لو أ كلت بلحة واحدة من العلبة ؟ وهل واحدة تقدم أو تؤخر ؟ » ثم فتحها وأخذ واحدة والتهمها ... وبعدئذ اشتدت فيه الرغبة ليأخذ أخرى ثم أخرى وكل مرة يقول : «لا تزال الصفوف كثيرة فى العلبة » ... إلى أن لم يبق إلا تسع بلحات . فخجل من نفسه لأنه لم يكن يقصد أن يأ كل هكذا كثيراً منها !!

ولما وصل إلى البيت وقدم العلبة لأخته قفزت من شدة الفرح وقبلت أخاها وشكرته ، ثم أخرجت بلحة وأ كلتها وهى تقول : « ما ألذ طعم هذا البلح ! أشكرك يا فوزى يا حبيبى » ثم أخذت العلبة وقدمت لأبيها وأمها

فأخذ كل منهما واحدة ونظر الأب إلى الأم نظرة معنوية دون أن يفوها بكلمة . أما فوزى فإنه أخذ يقص عليهم ما رآه من المناظر وأخبار سياحته وما رآه وعمله .

وفى الصباح فتحت مريم العلبة لتنظر إلى الست بلحات الباقية . ولما سألها أخوها : « لماذا لم تأ كليها ؟ » قالت : « سآ كل كل يوم بلحة لأن طعمه لذيذ ولا أريد أن آ كله كله مرة واحدة .

فشعر فوزى بوخز فى ضميره ، وخجلا فى نفسه ووجد أنه من وقت عودته من النزهة إلى اليوم ، وهو يتألم من توبيخ ضميره . فذهب إلى غرفته وأخذ بيده صندوق توفيره وهزه هزة عنيفة . ثم أفرغ كل ما فيه ووضعه فى جيبه. وبعد انتهاء المدرسة عصر ذلك اليوم ذهب رأساً إلى السوق وبحث عن الدكان الذى يبيعون فيه علب بلح مثل البلح الذى اشتراه إلى أن استدل عليه فاشترى علبة كالتى اشتراها يوم النزهة ورجع إلى البيت مسروراً جداً وقدمها لأخته وهو يقول : « أنا أ كلت البلح الذى كان فى العلبة مع أنه كان لأجلك لذلك جئت إليك اليوم بعلبة ملآنة منه

فنظرت مريم إلى صفوف البلح اللامعة الشهية فى العلبة وهتفت قائلة: « فوزى إنك أحسن وأسخى أخ فى العالم كله ! » .

ولم يشعر فوزى فى حياته كلها بمديح وشكر أثر فى نفسه أثراً عميقاً مثل هذا الذى نطقت به أخته على مسامعه !!

٨٧

الحصان والأيل

« فصلبوا هامان على الخشبة التي اعدها لمردخاي (استير ٧ : ١٠) »

تعرفون يا أولادى أن فى الحكايات القديمة كانت الحيوانات تتكلم مع بعضها وتتصرف تماماً كما يتصرف البشر . وكل قصص عيسوب تقريباً فيها حيوانات تتكلم . وقصص عيسوب قصص كتبها مؤلف يونانى قديم منذ أزيد من خمسة وعشرين قرناً . وعظة اليوم هى إحدى هذه القصص وموضوعها الحصان والأيل .. أنتم تعرفون الحصان .. أما الأيل فهو نوع من الغزلان له قرون طويلة متفرعة .. والآن ها أنا أروى القصة :

كان حصان يرعى فى مرج مملوء بالعشب ولم يكن هناك غيره ، فكان المرج فى الحقيقة له وحده — ولكن فى أحد الأيام جاء أيل وقال إن له فى المرج نفس الحق الذى للحصان . . وزاد أنه اختار أفضل الأمكنة وأفضل الطعام لنفسه . واستاء الحصان بالطبع وأراد أن ينتقم من هذا الضيف الثقيل ، فذهب إلى رجل وشكا له من الغزال ورجاء أن يساعده على طرده من المكان . وقبل الرجل الرجاء غير أنه أضاف قوله : « ولكن حتى أقدر على ذلك ينبغى أن أضع لجاما فى فمك وأعلو ظهرك » — ووافق

الحصان على ذلك وتمكن الاثنان معاً من طرد الغزال من المرعى . ولكن الحصان بعد ذلك أدرك أنه قد صار عبداً ، وأنه هو الذى جاء بسيد له ! ! ومغزى هذه الخرافة أن للأنانية عواقبها السيئة . ثم هناك حقيقة أخرى نتعلمها هى أننا إذا ما خضعنا قليلا لعادة ما سنرى قريباً أننا أصبحنا عبيد تلك العادة . عند ما سمح الحصان للرجل أن يضع اللجام فى فمه سلم فى حريته ، لأن الرجل إذ ذاك استطاع أن يدفعه إلى ما يريد هو .

يمكننا أن نجعل « عيافة المسكرات » أحد دروس هذه القصة . والآية المناسبة لذلك هى الآية التى ذكرها سليمان فى سفر الأمثال. الأصحاح الثالث والعشرين، والعدد الحادى والثانى والثلاثين . « لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة . فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان » . أظن أيها الأولاد أنكم لستم فى خطر الخضوع لهذه الخطية ولذلك أعطيكم آية أخرى عن هامان المذكور فى سفر استير : « فصلبوا هامان على الخشبة التى أعدها لمردخاى (استير ٧ : ١٠) » .

« الأنانية تحمل عقابها معها »

٨٨

عندما تخاصم السمان

« انظروا أن لاتتغاضبوا فى الطريق (تك ٤٥ : ٢٤) »

قرأت فى كتاب جمعه القس الدكتور هالوك العظة التى سأقولها لكم الآن قال :

كان الناس فى الهند وخصوصاً فى الأيام القديمة جدشغوفين بالقصص ، وهى قصص ألفوها هم وكانوا يتسامرون بها عند النوم أوفى المجتمعات المناسبة . ليس عند غالبية الهنود كتب ولكنهم يحفظون كثيراً جداً من هذه القصص فى « رؤوسهم » — قال : « لى أخت مرسلة فى الهند منذ سنوات كثيرة ، وقد أرسلت لى كمية كبيرة من هذه الحكايات وهى معروفة هناك باسم حكمة الشعب » .

وأنا أقص لكم ياأولادى هذا الصباح إحدى هذه الحكايات الهندية التى وصلت الينا من الأزمنة القديمة وظلت « تنتقل » من فم إلى آخر ... إلى أن وصلتنا — وموضوعها كما سمعتم « عندما تخاصم السمان » !!

كان فى إحدى الغابات « سمان » كبير كان « زعيماً » لقبيلة عظيمة من السمان تتكون من عدة ألوف منهم !!

وفى ذلك الوقت كان صياد يأتى ويقلد صوت السمان فيجتمع السمان حوله فيرمى شبكته عليهم ويصطادهم . وكان هو وعائلته يعيشون من هذا الصيد !!

وفى أحد الأيام قال زعيم قبيلة السمان .« إن هذا الصياد يبغى أن يلاشى عشيرتنا ، ولكنى عرفت طريقة ننتصر بها عليه .. عندما يطرح الشبكة علينا دعنا نطير كلنا معا حاملين الشبكة حتى إذا خرجنا من منطقة الخطر طرحنا الشبكة على أية عليقه وتركناها هناك !! » .

وهكذا كان .. اتفق السمان جميعه على ذلك فلما طرح الصياد شبكته حملوها وعاد الصياد بيدين فارغتين ... وتكرر هذا أياما كثيرة !!

فلما تكررت عودة الصياد بدون صيد قالت لهزوجته : «هاإنك تعود كل يوم بيدين فارغتين ماالخبر ؟ .. هل تعطى صيدك لآخرين ؟؟ »

وأجاب الصياد : « كلا . ياعزيزتى أنا لاأعطى السمان لأحد . إنما السبب أن السمان يعيش معا بدون مخاصمة ، ولذلك عندما أطرح شبكتى يحملونها معا ويطرحونها على عليقة هناك .. غير أنه سيأتى اليوم الذى يتخاصمون فيه وعند ذلك سأصطادهم جميعا ... وأنا واثق أن هذا سيرسم على وجهك إذ ذاك ابتسامة عريضة !! »

ولم تمض أيام كثيرة قبل أن حدثت المخاصمة . ذلك أن « سمانة داست بالرغم منها على رأس سمانة أخرى ... فقالت الأخيرة « من داس على ؟ »

واجابت الأولى : « أنا .. ولكن « غصبا عنى » .. سامحينى » . ولكن السمانة غضبت غضبا عظيما جدا واستمرت المشاحنة بينهما فقالت :

« إنت تدوسى على .. مين أنت ؟ أظن إنك اللى بتشيلى الشبكة » ؟ ؟
وأجابت الأخرى بتهكم : « لا . أظن أنت وحدك بدليل أن ريشك سقط ؟ ! »

— « حضرتك بتهزأى بى؟ »

— « العفو ؟ هه ! »

— «طيب لما أوريك !! »

— «أوه دانا لازم أرتعب !! »

وظلت السمانتان فى مناقشة حادة مدة طويلة ولم تنقطعا عن الكلام إلى ان احستا بشبكة الصياد تغطيها مع غيرهما فقالت احدى السمانتين :

— « هية . ورينا قوتك . أرفعى الشبكة ! »

— « ارفعيها أنت حتى ترينا شطارتك ! »

— « أرفعها أنا ؟ .. أين لسانك الطويل ؟؟ »

وبينما كانتا تتكلمان جاء الصياد ورفع الشبكة وأفرغ السمان فى كيسه وحمله الى زوجته وكان العدد كبيراً فارتسمت ابتسامة عريضة جداً على وجهها

* * *

والآن يا أولادى أظنكم لستم فى حاجة الى شرح . هذا مايعمله

الغضب والخصام . إنه يقسم الناس على بعضهم .. بل يقسم الأولاد والبنات ويصيرهم ضعفاء فلا يحسنون لعبهم ولا يحسنون شغلهم . فى الاتحاد قوة وفى عدم الاتحاد ضعف . والخصام يصير الناس — سواء كانوا كباراً أو صغاراً — تعساء.

لنأخـــذ لنا دروساً من نجاح السمان طالما كانوا يعملون معا ، ومن خرابهم عندما تخاصموا وانقسموا !!

وأظن أنكم الآن تطلبون آية لهذه العظة . يرى البعض أنه يجب أن تكون آية لكل عظة — يقول البعض إن الآية يجب أن تكون فى أول الموعظة بينما يكتفى البعض أن يروا الآية فى الآخر . وأنا أقدم لكم آية هـــذه العظة فى الآخر . وتجدونها فى سفر التكوين الإصحاح الخامس والأربعين والعدد الرابع والعشرين .

« لا تتغاضبوا فى الطريق » .

عندما تعودون وتذهبون إلى بيوتكم افتحوا كتابكم واقرأوا قصة يوسف حيث توجد هذه الآية !!

٨٩

حصان ينضم الى الكنيسة

« اعزلوا الآلهة الغريبة التى بينكم وتطهروا (تك ٣٥ : ٢) »

« حصان ينضم إلى الكنيسة » ؟ ! أليس هذا موضوعاً عجيباً للعظة ؟ ليكن عجيباً . أو غير عجيب .. فأنا سأقص عليكم يا أولادى قصة حقيقية عن حصان . إنها ليست خرافة . كذلك ليست هى قصة من قصص الحيوانات التى أقولها لكم أحياناً . إنها قصة عن رجل اسمه « حصان » —

من منكم سمع عن رجل اسمه حصان . أنا سمعت عن رجل اسمه «السبع» وآخر اسمه « الديب » وآخر اسمه « الضبع » وآخر اسمه « الجمل » وآخر اسمه « القط » وآخر اسمه « الفار » وسمعت عن سيدة اسمها « دبانه » — أما اسم حصان فغريب علينا . على أن الأمر فى الصين غير ذلك ، فإن كثيرين جداً من الصينيين اسمهم « حصان » . ولو جاء إلى بلادنا فإننا نناديه « السيد حصان » أو « الخواجا حصان » .

وأنا سأقص عليكم حكاية حقيقية عن رجل اسمه السيد حصان لم يكن صغير السن ولكنه كان فوق الخمسين وسأخبركم كيف دخل إلى الكنيسة . لا أقول كيف هجم على بناء الكنيسة بل كيف انضم إلى الكنيسة .

والقصة كما قلت حقيقية فقد رواها المرسل الصالح فى الصين الدكتور القس « مورسر بلاين » .

يقول الدكتور بلاين إن السيد حصان كان مزارعاً يقيم على مسافة ميل من المدينة الصغيرة حيث كانت توجد كنيسة ومدرسة صغيرة . وقد حضر إلى الكنيسة من سنين طويلة وكان يطلب من القسيس والشيوخ أن يقبلوه عضواً .

غير أنه كان يوجد شيء واحد يمنع من قبول طلب السيد حصان . كان له ابن وحيد مات فى الثانية عشرة من عمره لحزن هو وزوجته كثيراً جداً وأحضرا اللوحة المعروفة فى الصين باسم « لوحة الروح » وهى تصنع من الخشب عادة على ارتفاع متر . وكان اسم الولد مكتوباً عليها.والصينيون يعتبرون أن روح الآلهة تحل فى قطعة الخشب هذه ، ولذلك كانوا يعبدونها وبالطبع امتنع المسيحيون من عبادة اللوحات . أما السيد حصان فكانت لوحة ابنه معلقة فى مكانها المعتاد وكان الزوجان يقدمان للوحة تقدمات من طعام شهى ، بالفكر أن هذا يسر روح الولد الصغير — فلما آمن السيد حصان بالمسيح كف عن عبادة اللوحة ولكنه خشى أن ينزلها من مكانها لئلا يسمع جيرانه بالأمر فيهزأون به ويتهمونه أنه سبب المصائب التى تحل بهم .

وفى أحد الأيام اجتمع مجلس الكنيسة ليفحص طالبي العماد ..وكان السيد حصان أحدهم وهاك الحديث :

قال الراعى :

« ياعم حصان هل تؤمن بالمسيح ؟ »

— « نعم ! »

— « ياعم حصان هل تصلى لله وتعبده وحده دون غيره من الأصنام ؟ »

— « نعم ! »

— « ياعم حصان.. أنت تعلم أنه طالما كان الناس ينظرون « لوحة الروح » فى بيتك فيظنون أنك لا تزال تعبد الأصنام لا الله الذى عرفته فى المسيح ؟! »

— « أنا لا أعبد اللوحة ، وأنا مستعد أن أنزلها ، ولكن ماذا أعمل وزوجتى العجوز ترفض ذلك ؟ »

— « اسمع ياعم حصان . نحن نعتقد أنك تعبد الإله الحقيقى حقاً وأنك ترغب أن تعمل ما هو حق ، ونحن مستعدون أن نعمدك ونقبلك عضواً فى الكنيسة حالما تنزل اللوحة .! »

وقال عم حصان أن هذا طلب عسير جداً جداً وهو لا يعرف كيف يقنع زوجته بذلك !

كان الفحص يوم السبت وفى يوم الأحد فى الصباح الباكر قبل أن يحين ميعاد الكنيسة جاء السيد حصان باسماً وأخبر أنه استيقظ مبكراً جداً وانتهز فرصة نوم زوجته وأحرق « اللوحة » فلما استيقظت وعلمت

بالأمر أعولت وولولت ، ولكنه أخبرها أنه إنما عمل ذاك لأنه يرغب أن يكون مسيحياً — ويريد أن ينضم إلى الكنيسة .

ونحن لا نلوم مدام حصان على بكائها لأنها لم تكن تعرف كيفيـــة أخرى تكرم بها ذكرى ولدها !

وعمد القسيس السيد حصان فى ذلك الصباح أمام كل جمهور الكنيسة .

وبعـــد عشرة أيام جاء المرسل ووعظ ، وكان بين الحاضرين السيد حصان ... وفى جانب السيدات كانت مدام حصان . لا . أعلم ما إذا كانت الزوجة قد قبلت المسيح « على طول » أم لا . لنرج أنها فعلت ذلك . ولنصل من أجل الكثيرين فى الصين . . وفى مصر ، الذين لا يعرفون عن الله إلا أنه يحل فى الخشب والحجر ...

ولنصل من أجل الذين يعرفون فى الصين الاله الحقيقى ابانا السماوى حتى يأتوا إليه ، ويعطوا الشجاعة ليعترفوا باسمه !

٩٠

كبرياء القوة

« ... كان يتقدم فى الحكمة والقامة (لو ٢ : ٥٢) »

— ١ —

أولادى الأعزاء ... قصة هذا الصباح لازمة جداً لجميعكم ، وخصوصاً لمن تسول له نفسه منكم أن ينتفخ لأنه أصبح كبيراً فيحتقر الأصغر منه و « يتمريس » عليه — وهى قصة « الأخ أرنب » وكيف « ضحك » على الحوت والفيل « وهزأ » بهما — بالطبع أنا لا أقول إن مسلك الأرنب صحيح ، وإنما أحدثكم عن حماقة كبرياء الفيل والحوت ..

كان الأخ أرنب الصغير يسير متمخطراً ومتبخطراً على رمل الشاطىء عندما أبصر الحوت والفيل يتكلمان معا ، ولذلك تسلل بالقرب منهما واختفى وراء حجر كبير وأصغى إلى ما يقولان فسمع الحديث التالى :

السيد حوت : « أيها الأخ « فيل » أنت أكبر ما دب على الغبراء ، وأنا أكبر ما سبح فى الماء فإذا ما اجتمعنا أنت وأنا على وفاق نستطيع أن نتسلط على كل العالم على الإطلاق !! » .

السيد فيل : « هذا كلام جميل ، وأنا موافق عليه بدون قال أو قيل !! »

فتمتم « الأخ أرنب » الصغير : « لن يمكنهم أن يتسلطوا علىَّ » وركض إلى مكان حصل منه على حبال قوية جداً وطويلة جداً ثم أخذ طبلته الكبيرة

وخبأها على مسافة بعيدة بين الأشجار . . ثم أخذ طريقه إلى الشاطىء حيث تقابل مع الحوت

وقال له : « مولاى العظيم السيد حوت ... أرجو من لطفك وإحسانك أن تصنع معى معروفاً . لقد غاصت بقرتى فى الوحل على مسافة ربع ميل من هنا وقد عجزت عن إخراجها . . . أما أنت فقوى وكريم، وأنا واثق أنك ستساعدنى ولا شك على إنقاذها !؟! »

وسر الحوت من الثناء كثيراً وقال : « نعم نعم !! »

عندئذ قال الأرنب: « سأربط طرف هذا الحبل الطويل فيك وأركض لأربط الطرف الآخر بالبقرة ، ثم أدق لك الطبلة فتجذبها بكل قوة لأن البقرة ثقيلة جداً !! »

وقال الحوت : « سأجذبها ولو كانت غائصة فى الوحل إلى قرونها !! »

— ٣ —

وربط الأرنب طرف الحبل إلى ذنب الحوت وركض وثباً وثباً إلى أن جاء إلى حيث الفيل وقال بعد أن انحنى مرات متوالية :

« أيها الفيل القوى . . قد جئتك أبغى منك فضلا !! »

وأجاب الفيل : « ماهو ؟ »

وقال الأرنب : « لقد غاصت بقرتى فى الوحل على مسافة ربع ميل من هنا وقد عجزت كل العجز عن إخراجها ، أما أنت فلأنك قوى تستطيع إذا رضيت أن تساعدنى »

وقاطعه الفيل قائلا : « أنا مستعد بكل تأكيد ! »

وقال الأرنب : « إذن دعنى أربط طرف هذا الحبل الطويل فى خرطومك ثم أذهب وأربط الطرف الآخر فى البقرة . وحالما أنتهى من ربطها تماماً سأدق طبلتى، فإذا ماسمعت صوتها فتفضل بجذبها، وإنما بكل قوة لأن بقرتى ثقيلة جداً ! »

وأجاب الفيل : «لا تخف . أنا أستطيع أن أجذب عشر بقرات ! »

وقال الأرنب : « أنا متأكد من ذلك ، إنما يستحسن أن تبدأ بدون عنف فإذا مارأيتها ثقيلة فاستخدم قوتك !! »

وربط طرف الحبل فى خرطوم الفيل ربطا محكما ، وركض إلى أشجار العليق حيث كانت طبلته وابتدأ يدق عليها

ابتدأ الحوت يسحب ... وابتدأ الفيل يسحب وتمكنت عقدة الرباط من كليهما وهما يسحبان

وقال الفيل: «هى بقرة ثقيلة ولكنى سأخرجها، وثبت قدميه الأماميتين فى الأرض وجذب الحبل جذبة هائلة ! ! »

وقال الحوت : «ياللعجب لا بد أن تكون البقرة غائصة إلى رأسها فى الوحل ، ثم غطس فى الماء وجذب الحبل جذبة قوية !! وسحب الحوت سحبة أشد وسحب الفيل سحبة أشد . وبعد قليل وجد الحوت نفسه يقترب من البر ولا بد أن السبب كان أنه لا يجد تحت قدميه شيئا صلباً يستطيع أن يستند عليه ويجذب !

واغتاظ الحوت من ذلك كثيراً وغطس برأسه فى الماء وجذب الحبل

جذبة شديدة جداً جعلت الفيل يندفع نحو الماء — وهذا جعله يغضب غضباً مخيفا فثبت قدميه فى الأرض وجذب الحبل جذبة أخرجت الحوت من الماء !!

وصاح الحوت : « من الذى يسحبنى ؟ »
وصاح الفيل : « من الذى يسحبنى ؟ »
وعند ذاك أبصر كل منهما طرف الحبل مربوطا فى الآخر !!
وزمجر الفيل : « سأعلمك كيف تلعب لعبة البقرة !! » .
وأزبد الحوت : « سأريك كيف تسخر منى !! »
وعادا إلى سحب الحبل مرة أخرى ولكن الحبل لم يحتمل أكثر فانقطع وإذا بالحوت « يتشقلب » فى الماء والفيل يقع وقعة هائلة على الغبراء !

وعند هذا امتلأ كل منها بالخجل فلم يتكلم أحدهما كلمة إلى الآخر وبذلك انقطع ذلك العهد الذى أبرما أن يتسلطا على العالم !!
وجلس الأرنب الصغير وسط أشجار العليق، وجعل يضحك ويضحك ويضحك !!!

٩١

قرد يعلم ملكا

« ولا يتعلمون الحرب فى مابعد (اش ٢ : ٤) »

كان فى سالف العصر والأوان ملك عظيم يحكم بلاداً واسعة غنية . وكان يمكن أن يعيش فى منتهى السعادة ، ولكنه رأى أن يضم إلى مملكته مملكة صغيرة على مسافة بعيدة منه ... كانت مملكة صغيرة جداً بالنسبة لمملكته الكبيرة ولكنه أراد أن يضمها على ملكه .

سار الملك ورجاله كل الصباح وعند ذلك عسكروا فى الغابة وأطعم الرجال خيولهم وقدموا لها الحمص علفاً . ورأى أحد قرود الغابة ذلك الطعام الشهى فنزل من شجرته وملأ فمه وكلتا يديه بالحمص ثم صعد إلى الشجرة وجلس مستعداً أن يأكل . ولكنه قبل أن يبدأ سقطت واحدة من الحمص الكثير الذى معه . سقطت من يده إلى الأرض وفى الحال أسقط ذلك القرد الطماع كل الحمص الموجود معه ونزل يبحث عن حبة الحمص الضائعة وبالطبع لم يجدها . وفى أثناء بحثه جاءت القرود الأخرى وأكلت كل الحمص الذى أسقطه من يديه ساعة بحثه ... وعاد القرد الطماع أخيراً وقد فقد كل شىء ... عاد وجلس على الشجرة بحمو غضب

وكان الملك يلاحظ القرد فقال لنفسه : « لن أكون نظير ذلك القرد الأحمق الذى فقد الكثير من محاولته أن يحصل على القليل . سأعود إلى

مملكتى واتمتع بما عندى » .. وهكذا رجع إلى بيته !

الحرب غلطة كبيرة . إنها جريمة عظيمة . يضاف إلى ذلك أنها جريمة بدون فائدة . إنها خسارة الكثير من أجل ربح القليل ، كالقرد الأحمق الذى فقد كل ما معه فى سبيل البحث عن « حمصة » واحدة .

ياأولادى وبناتى الأعزاء . كونوا محبين للسلام، أولا لأنه حق وفوق ذلك لأنه من الحكمة أن تكونوا كذلك ، لا يمكن أن تكون أى حرب هجوم حقاً أو نافعة — كونوا طالبى سلام ، محبى سلام ! منشئى ومشجعى السلام . استعملوا نفوذكم كل أيام حياتكم لجانب الأشياء التى توجد السلام بين جماعاتكم وامتكم .. والعالم .

٩٢

الخدم الصغيرة

«فلمس يدها ، فتركتها الحمى . فقامت وخدمتهم (مت ٨ : ١٥)»

جاء فى القصص الموضوعة ان فتاة حضرت مرة مؤتمر صلاة للشابات فتنبهت عواطفها واستيقظ ضميرها وشعرت بالواجب الذى عليها نحو غيرها من بنى البشر وعزمت على أن تقوم بخدمة الآخرين ، ورأت ألا سعادة ولا سلام إلا فى خدمة الغير . وبينما كانت عائدة إلى بلدتها بقطار السكة الحديد جعلت تتأمل وتفكر فيما يجب عليها أن تقوم به من الخدم ، .وإذ ذاك غلبها النعاس فخلت أنها تسمع صوتاً خفيفاً يوشوش فى أذنها ، فأصغت إليه بكل انتباه ، وإذا هى ترى « جنية » جالسة على كتفها .. وهى تشير إلى شعاعة الشمس الذهبية المشرقة من النافذة وتقول : «هل ترين قضيب الذهب هذا ؟ ... إنه لك وبه تقدرين أن تصنعى أموراً كثيرة مما يدور فى خلدك اليوم ، ولكن أحذرك من اختزانه وعدم استعماله ، فانك إن لم تستعمليه زال أو تحول إلى معدن بلا قيمة !! » .

ثم أن الجنية ذهبت ، واستيقظت الفتاة مسرورة بالحلم الذى رأته . وزاد سرورها إذ وجدت قضيباً حقيقاً من الذهب بجانبها ، فقالت فى نفسها:

«كم من الخير أقدر أن أعمل فى بلاد اليابان بين الوثنيين المقيمين فى ظلام الجهل والغباوة ، أو فى أواسط أفريقيا حيث الناس فى حالة توحش» — وظلت تفكر وتدبر حتى وقف بها القطار فى المحطة التى تقصداليها . فأخفت قضيب الذهب بين ملابسها ووثبت من العربة وهى تكاد تطير فرحاً !!

ولما وصلت إلى البيت وجدت أمها فى حالة تعب شديد لأن أخويها كانا مريضين بالحمى ، وقد رضيت أمها أن تقوم بنفقات سفر الفتاة الى المؤتمر فلم تستطع أن تستعين بممرضة تعتنى بالولدين ، بل قامت هى على خدمتهما والعناية حتى أضناها التعب

ومع أن الفتاة رأت التعب الكلى بادياً على وجـــه أمها التى ضحت بصحتها لتمتعها باجتماع كهذا فانها لم تبال بهـا ، بل صعدت حالا الى غرفتها وفتحت درج ملابسها وأخفت قضيب الذهب حتى لا يكتشف أمره أحد الى أن يحين وقت سفرها الى اليابان أو أفريقيا لتقوم بخدمة المحتاجين فى تلك البلاد . لأنها حفظت ذلك سراً عميقاً فى نفسها !

وفى الصباح التالى رأت الجيران يحملون ابنتهم المقعدة على كرسى بعجلات الى الخلاء لتستنشق الهواء النقى لأن أباها كان قد مات ، ولم يكن لهم ما يستطيعون به أن يرسلوها إلى مستشفى أو مصحة لتتعالج وتشفى . ولـكنها كانت قد تعودت على رؤية الكرسى كل صباح منذ عدة شهور ، فصار منظراً اعتياديا عندها . زد على ذلك أن أفكارها كانت متجهة فى ذلك الصباح نحو المستشفى الذى تقدر أن تساعد على تشييده فى الشرق ، وتخيلته

مملوءاً بالأولاد المرضى ... وكيف ينالون الصحة الواحد بعد الآخر ويخرجون فرحين متهللين !!

وفى أثناء النهار جاء خبر بواسطة أحد الجيران أن راعى الكنيسة العجوز الصالح قد وقع فانكسرت ساقه وأخذ إلى المستشفى . ومع أن الرجل لم يكن قادراً على دفع نفقات المستشفى إلا أن الأطباء بذلوا كل جهدهم ليجعلوه مرتاحا كأنه فى بيته . أما الفتاة فلما سمعت حزنت وتأسفت ولكنها بعد قليل نسيت الحادثة لأن كثيرين يصابون كل يوم مثله ويشفون أو يموتون كما حدث للذين يصابون بالحصبة والحمى وما أشبه !!

ونحو غروب الشمس كانت جالسة فى غرفتها وقد أرخت الستائر ولم تبق الا فتحة صغيرة نفذت منها شعاعة شمس ذهبية وألقت نورها على وجهها وهى تتأمل فى ماذا ستعمل . فغلبها النعاس وإذا بالجنية التى ظهرت لها فى القطار قد ظهرت لها ثانية بصوتها الخفيف ووجهها اللطيف ، وقالت لها بصوت ملؤه الحزن :

« وهكذا اخفيت قضيب الذهب . لماذا فعلت هكذا يابنتى ؟؟ »

وأجابت الفتاة : « إنه فى مأمن تام وحرز مكين محفوظ ليوم سفرى لأنى أريد أن أستعمله لسعادتى العظمى !! » .

فضحكت الجنية ضحكة برود أغضبت الفتاة حتى أنها قامت فى الحال الى درج ملابسها وأخرجت الثياب المكومة فوق القضيب الثمين وأخرجته بلهفة ، ولكن لشدة دهشتها وجدت لونه قد صار أسود قاتما !!

ضحكت الجنية ثانية وقالت: «وهل انتظرت أن تجديه ذهباً يا ابنتي؟ إنه كان ذهبا بالأمس ولكنه اليوم حديد يهزأ بك. بالأمس كان ذهبا لما كنت قادرة أن تساعدي أمك المتعبة أو تأتي لهـا بخادمة تعاونها. كان ذهبا في الصباح لما كنت قادرة أن تساعدي الفتاة المريضة ابنة جاركم، وكان ذهبا بعد ظهر اليوم لما أخذوا راعيك إلى المستشفى وكنت قادرة أن تشتري لبيته ما يجعله مرتاحا ... ولكنه صار الليلة حديداً بارداً أصدئاً عديم القيمة لما احتقرت الخدم الصغيرة التي سنحت لك، وكان يمكن أن تجلب لك السعادة المشتهاة فرفضتها، فكنت غير مستحقة لتحقيق الآمال العظيمة التي كانت تدور في خلدك!!».

ثم أن الجنيـة ذهبت والشمس غابت والفتاة جلست في غرفتها المظلمة تراجع الماضي فترى أنها احتقرت الفرص الصغيرة التي تقدم لها فيها اختبار السعادة ففارقتها، فتعلمت أن السعادة تقوم بعمل الخدم الصغيرة اللازمة للذين هم بالقرب منا في البيت وما حوله. ومن هذا الفتات يكون الشبع التام!!

٩٣

استيقظ

« قم يا باراق (قض ٥ : ١٢) »

عندما يدعى اسمك لتستيقظ فى الصباح هل تقوم فى الحال ؟ أرجو ألا تكذب ؟ ألا يحدث معك غالبا كما يأتى ؟ تنادى الأم « بطرس » !! وبطرس يهمهم ويدمدم ولكنه لا يتحرك كثيرا . تنادى الأم ثانية : « بطرس! يا بطرس استيقظ . لقد أزف الميعاد »! — وفى هذه المرة يتحرك بطرس بعنف فيسقط حذاؤه من مكانه إلى الأرض يقصد أن أمه تسكت.. ولكنه لا يقوم!

وأخيرا تنادى الأم بشدة «بطرس» !! . . ثم تتركه وتذهب . عندئذ يثب بطرس من فراشه ويغسل وجهه ويلبس ثيابه . هذه هى الكيفية التى كانت تحدث فى بيتنا . لماذا تصر ماما على أن تستيقظ ؟ أليس لأنه توجد مهمات ينبغى أن تتم فى كل يوم . . ولكل يوم مسئولياته الخاصة !؟!

والآن هنا شىء هام جدا وخطير . افرضوا فى أحد الأيام — وهو فرض قد حدث فى بعض البيوت — افرضوا أن أحدهم دعى ودعى ولكنه لم يقم . . يقترب المنادى إلى الفراش ويحاول أن يوقظ النائم ولكن كل المحاولات لم تستطع ان تحركه ، وإذ ذاك يصغى إلى ضربات قلبه فيجدها واقفة ! . ماذا حدث ؟ لاشك أنه مات، وماذا نفعل بالناس بعد أن يموتوا ؟.

نعم نحن نأخذهم إلى المدافن . على أننا نفعل ذلك لا لأننا نكرههم ولا لأنهم ليسوا أعزاء لنا . كلا .. وإنما لأن أجسامهم صارت عديمة الحياة !

وهل تعلمون أنى أظن أن الله يعامل أرواحنا بهذه الكيفية ؟ هو يأتى ويدعونا ليرسلنا فى المهمات التى ينبغى أن تتم . بعض الأرواح لا تستيقظ بسرعة وبعضها لا تستيقظ إلا بكل مشقة ولكنه يبذل جهده لإيقاظها . على أنه يصل إلى بعض الأرواح ، وهـــذه يحركها بقوة ولكن الحركة العنيفة لا توقظها . فلما لا يسمع حساً يفحص القلب فإذا لم يجد فيه حياة فسيعمل بهذه الأرواح ما نعمله نحن مع الموتى . يأخذ هذه النفس إلى «مقبرته» ويتركها هناك ! وهو يفعل ذلك لا لأنه يكره تلك النفس ولا لأنها ليست عزيزة لديه ، ولكن لعدم وجود حياة فى القلب !!

إن النفس التى تسمع نداء الله وتجيب ، لا تموت أبدا . هل تسمع دعوة الله أن تكون نظيفاً وصادقا ونشيطاً ؟؟ أرجو أنك تسمع وأرجو أنك تجيب : « أنا مستعد يا يسوع .. ماذا تريد يارب أن أفعل ؟ »

٩٤

الولد الذى كان بطلا

«ليقل الضعيف بطل أنا (يوئيل ٣ : ١٠) »

اننا لا نجد كل أبطالنا فى كتب القصص ! كلا فاننا نجد بعضهم فى من يحيطون بنا من الأحياء وكثيرا ما نجهل حقيقتهم لأن البطل الحقيقى لا يخبر عن أعماله العظيمة .. البطل الحقيقى كما تعلمون يحفظ بطولته فى نفسه ويمكنكم أن تحكموا عن الولد الذى يحدثكم عن الأعمال العظيمة التى أتاها أنه «كذاب» . لا يتكلم البطل قط عن نفسه .

وها أنذا أقص عليكم قصة حقيقية عن بطل . إنها قصة ولد كان يشتغل «غلام مصعد» فى بناء قديم «دايب» فى فيلادلفيا . والذين عرفوا الغلام كانوا ينادونه « بلى » كان غلاماً نحيفاً ووجهه مملوء « بالنمش » وشعره أحمر ولم يخطر ببال انسان أن هذا الغلام يمكن أن يكون بطلا ولكنه كان بطلا والقصة التى سأقولها لكم الآن ستبين صحة ما أقول !

حدث فى أحد الأيام أن بدأ البيت يهتز ويضطرب ومن ثم سقطت أحدى الجدران فاجتمع خلق كثير أمام المكان ورفعوا أعينهم إلى نوافذ البناء حيث كان عدد كبير من الرجال والنساء والأطفال يتطلعون بذعر إلى الخارج . وتساءل الجمهور كيف يتسنى لأولئك الخلاص من هذا المأزق المحرج :

ولكن « بلى » لم يقف معهم ليسأل كيف ! بل ارتفع بالمصعد إلى الدور العلوى وعاد به ممتلئاً بالنساء والأطفال المضطربين . ثم عاد مرة أخرى وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة . وظل يصعد وينزل تسع مرات حتى لم يبق فى البناء إلا جدار واحد وأصبح بدن المصعد عارياً يتأرجح هنا وهناك كشجرة .

حاول رجل البوليس أن يسحب الولد بعيداً عن مكانه وصرخ الجمهور كله طالبين منه أن يقف ولكنه أدار المفتاح وصعد إلى الدور الأعلى وهو يقول : « لا يزال يوجد رجلان » ، صعد إلى قمة المكان مواجهاً الموت فى كل دقيقة ولكنه لم يقف لحظة ليفكر فى ذلك ... ورؤى المصعد ينزل وسط سحب من الغبار ووصل أخيرا وفيه الأشخاص الثلاثة . وحالما لمس الأرض سقط الجدار الأخير ولكن الرجلان وبلى خرجوا سالمين .

وبالطبع تعرفون أن الجمهور الموجود هتف بصوت عال يحيى « بلى » لقد عرفوا إذ ذاك أنه بطل وأرادوا أن يمسكوه ليحملوه على أكتافهم ويطلبوا منه أن يتكلم ثم يجمعون له تقدمة مناسبة . ولكن « بلى » كان « فص ملح وداب » . فقد انسحب من المكان دون أن يلمحه أحد إذ كان وقت العشاء قد أزف وأمه كانت تنتظره .

هل تحتاج هذه القصة إلى موعظة ؟ إن كان ولا بد من عظة فإن القصة تقول لنا : اعملوا ولا تتكلموا . قوموا بأعمال شجاعةوشفقةوبطولة لا لكى يراكم الناس لكن لأنكم أبطال فى قلوبكم ولأن الله يراكم .

٩٥

هانس والجبابرة الأربعة

« أرأيت رجلا مجتهداً فى عمله ، أمام الملوك يقف (أم ٢٢ : ٢٩) »

كان ولد صغير يدعى هانس يقيم فى قرية جميلة حيث الأشجار العالية تغطى العشب الأخضر الذى كان ينمو بكثرة حول كل بيت . وقد أحب هانس بيته كثيراً وكان مغرما بسماع شدو العصافير وكثيراً ما كان يطرح لها بعض الفتات لتأكل . أما محبته للزهور الحمراء والصفراء والبيضاء والخضراء فلم تكن فى حاجة إلى شرح ، وكانت بهجته بروائحها العطرة لا تفوقها بهجة ولذلك كان يسرع بكل سرور ويرويها كلما عطشت . وقد علمته أمه كيف يضع العصى الجامدة المستقيمة بجانب النباتات الضعيفة سيما بجانب أشجار العنب لكى يمكنها من الصعود عليها حتى يمكن أن تتمتع بحرارة الشمس . وأحب هانس أيضا الفراخ العزيزة الكبيرة وكتاكيتها الصغيرة التى كانت تقترب منه بدون خوف وتلتقط الحبوب من يديه . وفى الحق إنّ هانس أحب كل شىء وكل شخص يحيط به من الدودة الصغيرة العادية التى تزحف حوله فى التراب إلى النجوم الجميلة والقريبة التى تضىء على ارتفاع كبير فوق رأسه !!!

كان غلاما سعيدا .. وكان دائم العمل يجد باستمرار شيئاً يعمله لآخرين!!

مرت الأيام وطالت قامته وتقوت عضلاته فذهب مع أبيه إلى الغابة وكان يساعده فى قطع الأشجار ، وهكذا ساعد فى الحصول على مال دفع ثمناً لطعام وثياب لأمه وأخوته الثلاثة الصغار ، فإن والد هانس كان فقيراً وكانت النقود قليلة فى العائلة .. تكاد تكون معدومة ...

وبعد وقت عند ما طالت قامة هانس بدرجة أنك أنت وأنا يمكن أن ندعوه شاباً قال أبوه له : « هانس .. ياولدى .. لقد جاء أوان خروجك للبحث عن عمل خاص بك ... أخوك الذى يليك يمكن أن يساعدنى فى قطع الأخشاب وفى الأعمال الصغيره فى دائرة البيت . أما أنت فعليك أن تخرج إلى العالم لتتعلم كيف تهتم بنفسك . وربما يجيء اليوم الذى يمكنك أن تهتم فيه بأبيك وأمك لما يطعنان فى السن !! » .

وجمعت أم هانس ثيابه ووضعتها فى صرة صغيرة وقالت له وهى تقبله : « يا هانس يا ابنى العزيز كن على الدوام شجاعا وأمينا وصالحا والله سيعتنى بك » . وبعد ذلك ودع هانس أباه وإخواته الثلاثة وبدأ رحلته !!

ومشى هانس ومشى حتى وصل إلى مدينة عظيمة حيث كانت البيوت سوداء من الدخان . وحركة العجلات باستمرار سببت ضوضاء عالية دائمة .

وقد عثر على عمل فى دكان حداد . ومع أن العمل كان غير مستحب وغاية فى الصعوبة إلا أن هانس كان يبتهج كثيراً برؤية الشرر يتطاير من الحديد المحمى وهو يطرقه . وكان يحس نوعا من الزهو عند ما ينتهى من صنع حدوة حصان مضبوطة تقريبا مثل التى يصنعها الحداد نفسه .

وبغير أن يدرى هانس ساعد عمله فى تقوية ذراعيه وصدره فأصبح شابا مكتمل القوة .

وقد اعتاد هانس كل يوم أن يرى أميرة جميلة تسير فى عربتها أمام دكان الحداد . كانت أجمل أميرة فى العالم. ومع أن الناس جميعا كانوا يعجبون بعينيها الزرقاوين وشعرها الذهبي الجميل، إلا أن أكبر إعجابهم كان بابتسامتها الحلوة — وكان هانس كثيراً ما يقول فى نفسه : « آه من لى بمن يجعلنى أخدم هذه الأميرة الشابة الجميلة !؟ » وملأت هذه الأمنية صدره حتى لم يستطع أخيرا أن يمنع نفسه من القيام والذهاب إلى القصر وهناك سأل ما إذا كان يوجد أى عمل له ؟؟

وسأله حارس الباب : « وأى عمل تستطيع أن تقوم به ؟ »

فاجاب هانس : « أنا مستعد أن أقوم بأية خدمة يطلبها الملك ! »

فأدخله حارس الباب إلى حافظ القصر وهذا سأله مرة أخرى : « أى عمل تستطيع أن تقوم به ؟ »

وأجاب هانس : « أنا مستعد أن أقوم بأية خدمة يطلبها الملك !! »

وأخبر حافظ القصر الملك أن شابا قويا طويلا واقف عند الباب يطلب أن يخدم صاحب الجلالة ! وأمر الملك بإحضاره، فلما مثل بين يديه نظر إليه الملك نظرات صارمة ثم قال :

« أى عمل تستطيع أن تقوم به أيها الشاب ؟ »

ومرة أخرى أجاب هانس : « أنا مستعد أن أقوم بأية خدمة يطلبها جلالة الملك . أنا أرغب كثيراً أن أخدم الأميرة الجميلة ! ! »

فصاح الملك : « هل ترغب حقاً ؟ إذن دعنى امتحنك ، يوجد فى البحر الشمالى عقد لآلىء مسحورة ، فاذا استطعت أن تحصل على هذا العقد سمحت لك بخدمة الأميرة . ومن يعلم فربما عينتك لإحدى المقاطعات التابعة لى »..
قال الملك هذا وضحك فى نفسه .

وكان سرور هانس فائقا حد العظمة ، ولذلك أسرع بالخروج من القصر وفى اليوم التالى بكر فى سيره نحو البحر الشمالى . وجعل يمشى ويمشى ويمشى حتى كلّ من المشى ، وبينما هو يسير أبصر جباراً عظيما جداً يثب نحوه بوثبات سريعة بكيفية غريبة فقال له هانس : « صباح الخير . . يا لك من جبار كبير هائل ! ! »

وأجاب الجبار وهو ينظر نحو هانس : « إنه يلزم أن اكون كبيراً وقوياً . . إلى أين أنت ذاهب أيها الشاب ؟ »

فقال هانس : « أنا ذاهب إلى بحر الشمال أحاول أن أحصل على عقد اللآلى المسحورة الموجودة فى قاع البحر ! ! »

وتمتم الجبار : « هه . . سيمر وقت طويل قبل أن تصل الى هناك ، فلو كنت تستطيع أن تسير بالسرعة التى أسير بها لهان عليك الأمر ! ! »
— « بأية سرعة تستطيع أن تسير ؟ »

— « أنا أسير أسرع من أى كلب صيد . فاذا ماركضت فان النهر الجارى لا يستطيع أن يلحقنى !! »

وهنا قال هانس « هل تستطيع حقاً ؟ يا لك من شخص عجيب . أود كثيراً لو أنك ترافقنى ، فإنى بعد عثورى على اللآلى أرغب كثيرا أن أعود بأوفر سرعة فانى أنوى أن أخدم الأميرة الجميلة !! »

وأجاب الجبار : « بما أن الأمر كذلك فأنا أظن أنه يحسن بى أن أرافقك »

وسار الاثنان يتحادثان معا إلى أن أبصرا ما ظنه هانس فى أول الأمر كتلة كبيرة من حجر موضوع على جانب الطريق . على انهما عندما اقتربا منه علم هانس أنه جبار آخر كبير الحجم وهو مستغرق فى نوم عميق . وكانت الشمس ترسل على وجهه أشعتها الملتهبة — وقال هانس لرفيقه : « انتظرنى هنا حتى أقطع فرع شجرة أظلل به وجه ذلك المسكين فإن الشمس ستشويه عما قليل ! » وعندما سمع زميله الجبار هذه الكلمات ضحك بصوت عال وصاح : « هو . . هو . . ألا تعرف من هذا ؟ أنه جارى وله عينان قويتان جدا يستطيع أن يرى بهما الذبابة الجاثمة على فرع شجرة على مسافة ميل من هنا !! »

ونبهت الضحكة العالية الجبار من نومه فقام وفتح عينيه وتطلع إلى هانس ثم هتف : « ماذا تعمل أيها الشاب ؟ »

وأجاب هانس « : لا شىء . . لا شىء . . انى كنت أجمع بعض فروع الأشجار أحاول بها أن أمنع الشمس عن عينيك !! »

فصاح الجبار العظيم وهو يعتدل فى جلسته : « بوه . . ألم تعلم أن عينى

قويتان جداً حتى أستطيع أن افتحهما فى الشمس وقت الظهيرة ؟؟ »

وقال هانس : « يالك من جبار عجيب وددت لو أنك تأتى معى ، قد أحتاج إلى عينيك القويتين ، فانى ذاهب إلى بحر الشمال لأبحث عن اللآلىء المسحورة التى فى قاع البحر !! »

فصاح الجبار : « أو . هو لئن كان الأمر كذلك فانى سأذهب معك ! »
وهكذا سار هانس والجباران معاً فلما قطعا نحو ثلاثة أو أربعة أميال أبصرا جبارا ثالثاً جالساً تحت شجرة عالية . فلما اقتربوا منه أطارت الريح قبعته فصاح هانس : « أنا أذهب وأحضرها لك » . وركض خلفها فلما اقترب منها أطارها الريح من مكانها جملة مرات وهو يركض خلفها .. وعند ذاك مد الجبار العظيم يده الطويلة والتقط البرنيطة ووضعها على رأسه ، وضحك الجبابرة الثلاثة طويلا !!

وقال الجبار ذو الأقدام الطويلة : « ألم تعلم أن هذا الجبار يستطيع أن يصل بيده إلى مسافة ٥٠٠ ياردة ؟ »
وهتف هانس وهو يصفق بيديه : « كلا .. إذن أنت الجبار الذى أنا فى شديد الحاجة إليه فانى عندما أصل إلى بحر الشمال تستطيع أنت أن تصل بيدك إلى قاع البحر وتلتقط عقد اللآلىء المسحورة !! ألا تأتى لمعاونتى ؟»

وفكر الجبار لحظـــة ثم قال : « سأذهب معك إن كنت ترانى ذا فائدة لك !! »

وهكذا سار هانس برفقة الجبابرة الثلاثة . ولم يبتعدوا كثيراً حين

أبصروا جباراً رابعاً مستنداً على صخرة هائلة . ويظهر انه كان مستغرقاً في تأملاته فلم يحس بوجود هانس ومن معه حتى وصلوا إليه . ولاحظ هانس أن أذنيه مسدودتان بقطن . فسأله : « هل تؤلمك أذناك .. ربما أستطيع أن أعمل ما يخفف الألم عنهما !! »

فقال الجبار : « لا . لا إنى وضعت القطن لأحجز عنهما الضوضاء المريعة التى تحيط بى . إن أذنى حادتا السمع بدرجة أنى أسمع ما يقوله الناس على مسافة مائة ميل !! »

وقال هانس بتعجب . « يالك من جبار عظيم القيمة !! هل تأتى معى حتى إذا حصلت على اللآلىء المسحورة تستطيع أن تخبرنى ماإذا كان أخذها إلى قصر الملك آمناً !! »

وإذ كان الجبار طيب القلب جداً قال : « أنت تظن أنى سأكون ذا فائدة لك ؟ حسناً .. سأذهب معك ! »

وسار هانس والجبابرة الأربعة حتى وصلوا إلى بحر الشمال ونزلوا فى قارب هناك وجذفوا إلى العمق عندئذ سلط الجبار «ذو النظر البعيد» عينيه فابصر العقد فى مكانه ، وإذ ذاك مد الجبار « ذو اليد الطويلة » يده فتناوله . وعاد هانس ومن معه .

فلما وصلوا إلى البر أخرج الجبار «ذو السمع البعيد» القطن من أذنيه وأصغى إلى الحديث فى قصر الملك فسمع حديث رجال السراى عن الحفلة العظيمة التى ستقام فى الغد تكريما للأميرة بمناسبة عيد ميلادها وأخبر هانس بما سمع

واذ ذاك حمل الجبار «ذو المشى السريع» هانس على كتفيه القويتين وركض أسرع من الطير ووصلا الى القصر فى الوقت المناسب . فقدم هانس العقد للملك فى اللحظة التى كان تجلس الأميرة على عرش بجانب عرشه .

وقد سر الملك من هانس فعينه فى وظيفة فى خدمة الأميرة الجميلة . وقد خدمها بأمانة جعلتها تحبه كثيراً وفى الوقت المناسب تزوجته . ولما مات الملك العجوز صار هانس ملكا والأميرة الجميلة ملكة .. ولم ينس هانس والديه العجوزين . وكان هو والملكة يبذلان الجهد فى توفير أسباب الراحة واليسر والسعادة لشعبهما

وأقنع هانس أصدقاءه الجبابرة الأربعة ليأتوا ويقيموا فى مملكته . وقد صارت البلاد بواسطة جهودهم أغنى بلاد فى العالم وأكثرها فلاحا، حتى جاء السياح من كافة أنحاء الأرض ليتفرجوا عليها .

٩٦

الـكلب والتمساح

« المساير الحكماء يصير حكيما ورفيق الجهال يضر (أم ١٣ : ٢٠) »

أعتقد ياأولادى أن أردأ خطر تتعرضون له هو خطر المعاشرات الردية — أنتم تعرفون قصة الطاووس الذى فقد ريشه عندما صفر للكلب، ولما عادت العائلة الى البيت ورأت الطاووس « منتوف » الريش الجميل سألوه باستغراب عمن ارتكب هـــذه الفعلة فأجاب : « فعلته المعاشرات الردية». لا أعرف مقدار صدق هذه القصة ولكن أعرف أنه يوجد خطر كبير من المعاشرات الردية للأولاد والبنات بل الكبار أيضا .

وسأقص عليكم هذا الصباح قصة توضح هذا الفكر — عن شر المعاشرات الردية والحكمة فى اتقائها . وهى إحـــدى قصص ذلك الكاتب اليونانى القديم « عيسوب» . وعيسوب -كما تعلمون- هو مؤلف كثير من « الاساطير » التى سمعتموها منى ؛ وقد قيل أن عيسوب هذا كان عبداً ولد فى فريجية . ولد حوالى سنة ٦٠٠ ق . م وقد حرره سيده ايادمان . وقد كتب قصصا جميلة وقد وصلتنا من خلال هذه القرون الخمسة والعشرين . ألا ترون أنها لابد وأن تكون قصصا جميلة فإنها بالرغم من قدمها لاتزال محتفظة بجدتها . وأظن انها حكايات مضمونة البقاء لأن فى كل قصة مغزى يسهل تذكره . فيه

فكر حكيم للناس كباراً وصغاراً . وأنا أؤكد لكم يا أولادى أن الكبار هنا يصغون إلى قصتكم باهتمام ، ودعونى أهمس فى أذنكم أنهم يتذكرونها أكثر مما يتذكرون العظة التى تلقى لهم ؟؟

والقصة التى اعددتها لكم هى عن كلب وتمساح . قيل إن كلبا كان يركض على شاطىء نهر النيل حتى أحس بعطش شديد ولكن لخوفه من وحوش البحر فى النيل لم يقف ليشرب على مهله بل كان يلغ بلسانه هنا وهناك . وإذ ذاك رفع التمساح رأسه فوق الماء وسأل الكلب لماذا هو مستعجل وقال أنه جد مشوق الى التعرف به وأنه يسره انتهاز هذه الفرصة للترحيب به

وأجاب الكلب : « أنك تنيلنى شرفا كبيراً بهذا ولكنى اتقاء لمثل هذا « التعرف والترحيب » اركض بكل قوتى !؟ »

وإذا عدتم إلى أول الموضوع وجدتم الآية التى قلتها لكم والتى تنطبق على القصة « المساير الحكماء يصير حكيما ورفيق الجهال يضر »

٩٧

الأصل والتقليد

«حكمة الذكى فهم طريقه ، وغباوة الجهال غش (أم ١٤ : ٨) »

مرة أخرى سأقص عليكم يا أبنائى احدى خرافات الكاتب اليونانى القديم «عيسوب» . على أنى قبل ذلك سأروى لكم حكاية مماثلة ولكنها حديثة — وهى « قصة المصبراتى » وبومته . و « المصبراتى » كما تعلمون هو الشخص الذى يحنط الطيور والحيوانات والأسماك حتى تحفظ أشكالها فى المتاحف أو فى البيوت . وعند « المصبراتى » رف صغير فى نافذة دكانه يضع عليها بعض ما «يصبره» ولكى تجتذب «الزبائن» وكان على ذلك الرف شكل بومة جميلة كبيرة وكان الناس يقفون أمامها معجبين . وحدث أن رجلين مرا بالمكان ونظرا إلى النافذة فقال أحدهما : «إن صاحب الدكان «مصبراتى» غشيم . . . أنظر كيف شوه الأجنحة وعوج رأس هذه البومة . لا توجد بومة قط بهذه الصورة ! ! »

وفى تلك اللحظة تحركت رموش عينها ! فقد كانت بومة حية

أنتم تقولون إن البومة الحية لا تنتقد أليس كذلك ؟ ؟

على أن هذه ليست قصة عم عيسوب . هذه قصة مصرية يدعى الأمريكان انها لهم . . ولكنها مصرية تماما خصوصا وان التحنيط والتصبير

فى مصر قبل أن تعرفه امريكا، أما القصة العيسوية فهاك هى: —

حدث فى إحدى حفلات أحد النبلاء الرومان أن أحد المهرجين أضحك القوم كثيرا بألعابه وخصوصا فى لعبة تقليد صوت الحلوف . وقد كان التقليد متقنا إلى حد بعيد حتى استعاده القوم مرات كثيرة . على أن أحد الحضور وهو من الأرياف ظن أن التقليد غير مضبوط ، وتقدم إلى المسرح وقال إنهم إذا سمحوا له فإنه ينتصر على المهرج فى تقليد الحلوف وذلك فى حفلة الغد على أن يكون بينهما رهان يأخذه المنتصر من الآخر . وقبل اللاعب الأول الرهان وكذلك قبل الجمهور أن يحضر فى الغد وأبدوا قبولهم بهتاف عال .

وفى اليوم التالى جاء الجمهور وتقدم المهرج الأول وجعل يقلد صوت الحلوف بإتقان سر منه الجمهور كثيرا فصفقوا له كثيرا وهتفوا عاليا وضج المكان بأصوات الاستحسان والأعجاب .

فلما جاء دور اللاعب الثانى تقدم وكان قد أخفى « خنزيرة » تحت ردائه الواسع .. وقد أخفاها بأحكام فلم يلاحظها أحد، وجعل «يقرص» أذنيها بأظافره الحادة وهى تزعق زعقات عالية ولكن الجمهور صاح : « كلا . كلا . هذا تقليد ضعيف . الأول أحسن » ... وبدأوا يصفرون له

وعندئذ تقدم الرجل إلى الأمام وسحب الخنزيرة من تحت ردائه وقال :

« أيها القضاة العدول هوذا « الممثل » الذى تنتقدونه ! ! »

ما أكثر ما يهتف الناس « للتقليد » ويصفرون استهجاناً للأصل !!؟

إن قطعة زجاج كبيرة موضوعة فى « فص » خاتم هى تقليد. الماسة الصغيرة هى « الأصل ». الوجه المنقوش تقليد بينما الجمال الطبيعى هو الشىء الحقيقى. التظاهر بأنك « حافظ » الدرس تقليد. أما بذل الجهد إلى أن تحفظ الدرس تماماً فهو الحقيقة. التظاهر بغير حقيقتك رياء — أما أن تكون صالحاً — فهذا هو الحقيقة — نعم ياأولادى الأعزاء أرجو أن تتعلموا الفضيلة الحقيقية فى الفن والدرس والخلق. اياكم والاستهزاء بالحق الأصلى.

ولاشك أنكم تقولون إن كل موعظة ينبغى أن تكون لها آية. على أن الحصول على آية مناسبة ليس أمراً سهلا. ولكنى أظن ان عندى آية مناسبة إنها إحدى أقوال الحكيم وهاك هى :

« حكمة الذكى فهم طريقه. وغباوة الجهال غش »

٩٨

إعلان ثمين

«وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو ٣ : ١٤ و ١٥) »

من منكم يذكر لى قصة الحية النحاسية ؟؟ .. كلكم تعرفون القصة .. فانه لما لدغت الحيات بنى اسرائيل فى البرية وصرخوا .. أمر الله موسى أن يصنع حية من نحاس ويرفعها على عمود وكان كل من نظر إليها يشفى من سم الحيات ..

والمسيح يخبر نيقوديموس أنه كما رفعت الحية كذلك سيرفع هو على الصليب . وكل من آمن بالمسيح المصلوب خلص من خطاياه وبالتالى من جهنم !!

كرروا معى الآية : « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » الظاهر انكم «حافظينها تمام» ! ولكن هل تعرفون عظم قيمة هذه الكلمات ؟. أنا آسف أن كثيراً من آيات الكتاب فقدت عمق قيمتها وعظم بهائها - وحتى أبين لكم شيئاً من قيمتها سأذكر لكم قصة : قال أحد الامريكان لا أعرف بالضبط من هو ربما كان «صديقنا» مودى ، وربما كان غيره قال:

بعد موقعة « مرفريسبورو » فى الحرب الأهلية كنت أقيم فى مستشفى ولم أستطع أن أستريح لحظة واحدة مدة ليلتين كاملتين .

وفى الليلة الثالثة كنت على آخر رمق بسبب التعب ، ولذلك استغرقت فى نوم عميق . وحول نصف الليل أيقظونى لأرى جندياً جريحاً كانت حالته سيئة جداً . وقد حاولت فى أول الامر أن أرد الرسول ، ولكنه أفهمنى أنى إذا تأخرت إلى الصباح فربما لا تكون هناك فائدة من ذهابى . ولذلك ذهبت ووجدت الرجل ...

لا يمكننى أن أنسى الصورة التى رأيتها ، وقد كشفت أشعة الشمعة الباهتة عن وجهه . سألت ماذا يمكن أن أعمل له ؟ فأجاب أنه يرغب أن أعينه فى موته . وقلت له : « إنه لو كان الأمر بيدى لحملته بين ذراعى إلى ملكوت السموات ، ولكن الامر ليس كذلك ، ومن ثم بدأت أكرز له بالإنجيل فهز رأسه وقال :

— « إنه لا يستطيع أن يخلصنى . لقد اخطأت ضده كل حياتى !! »

عادت أفكارى إلى أهله فى الشمال وفكرت أنه ربما كانت أمه فى تلك الليلة بالذات تصلى من أجل ولدها . قلت له وعداً بعد آخر وصليت مع الرجل المائت ، ولكن لم يكن شىء — على ما يظهر — ذا فائدة له !!

عندئذ قلت : « إنى أقرأ لك محادثة قامت بين مخلصنا لما كان على الأرض وبين انسان كان قلقاً على مصيره الأبدى » وبدأت اقرأ فى يوحنا الإصحاح الثالث كيف أتى نيقوديموس إلى السيد ، وإذ واصلت القراءة ثبت نظراته

نحوى ، وبدا كانه يود ان يلتهم الكلام التهاماً . فلما وصلت إلى الكلمات :
« وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » ، قاطعنى بالقول :

— « هل توجد هذه الكلمات عندك ؟»

— « نعم ! »

— «آه .. أنا لم أعرف أن شيئا مثل هذا يوجد فى الكتاب...اقرأ أيضا» واتكأ على كوعه .. ثم ضم يديه معاً بقوة وعندما انتهيت قال :

— « هذا بديع .. ألا يمكن أن تقرأ أيضاً ؟ »

وقرأت الآيات للمرة الثالثة ، فلما انتهيت رأيت عينيه مغمضتين ، وزال الاضطراب من وجهه ، وحل مكانه ابتسامة سلام .

تحركت شفتاه فانحنيت لأسمع ما يقول فسمعت همساً خافتا (وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع بن الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية »

وفتح عينيه ثم قال : «يكفى لا تقرأ أكثر! »

وفى صباح اليوم التالى أتيت إلى سريره فوجدته خاليا . وقال لى الملاحظ المنوط بالمراقبة ان ذلك الشاب قد انطلق بسلام . وقال إنه عقب زيارتى استراح بهدوء ، وكان يتمتم بين حين وآخر ذلك الإعلان المجيد .. «لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية !! »

٩٩
ستة أقدام

«انظروا وتحفظوا من الطمع. فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله (لو ١٢: ١٥)»
«فقال له الله ياغبي هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون (لو ١٢: ٢٠)»

مقدمة

من منكم يعرف شيئا عن تولستوى، ذلك الفيلسوف الروسى الكبير؟ أنتم تذكرون، ولا شك بعض القصص التي كتبها وقد حدثتكم ببعضها. فأنتم لم تنسوا قصة الله موجود حيث الحب موجود - وقصة الحاجان أما قصة هذا الصباح فتفسر لنا قول المسيح: متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله — ويستحق بطلها أن يقال له: يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي اعددتها لمن تكون»

— ١ —

شقيقتان

فى قرية صغيرة من قرى بلاد الروس كنت ترى فى أحد أكواخها ذات صباح سيدتين جالستين تتناولان الشاى معا وكانتا منهمكتين فى الحديث كالعادة. كانتا شقيقتين فرقت الأيام بينهما فتبعت الكبرى زوجها إلى المدينة وبقيت الصغرى فى القرية مع زوجها المزارع — وكان حديثهما يدور حول حياة المدينة وحياة القرية وكل منهما تدافع عن وجهة نظرها

فذكرت الكبرى بهجة حياة المدينة وما فيها من تنوع وأبواب تسلية لا توجد فى القرية ، وذكرت أماكن اللهو ودور السينما والتمثيل والمتنزهات العامة . ولم تنس أن تتغنى بمودات اللبس وما تحس به المرأة فى المدينة من البهجة عند ما تلبس فستانا جديداً أو تشترى برنيطة جديدة

وقالت الأخت الصغرى: أما أنا فقانعة بمعيشتى البسيطة هذه ولو خيرت لما اخترت غيرها .. بالأمس جاءتنا من المدينة عائلة كانت غنية جداً . فضارب الرجل وقامر بكل الثروة حتى أصبحوا لا يجدون قوت يومهم . أما نحن هنا فقانعون ، لذلك لا تجدين بيننا من يعدم قوت يومه ، علاوة على أننا بعيدون عن مفاسد المدينة وانحطاط أخلاق ساكنيها ، والأمراض الخبيثة التى تصيبهم من جراء سوء تصرفهم ، والشقاق العائلى الذى يقع بينهم » . وهكذا صارتا تتطارحان الحديث ، وكل منهما تعزز رأيها بالبراهين وسرد الحوادث ..

— ٢ —

بذور ابليس

أما رب المنزل القروى واسمه «باهوم» فكان جالسا بقرب السيدتين ، يستمع لهما دون أن يقول كلمة ، ولكنه تأثر من كلام شقيقة زوجه وقال فى نفسه : « آه لو كنت أملك قطعة من الأرض لكنت أهنأ بالا وأسعد حالا ، ولا أخاف من رئيس الأبالسة نفسه !! » وسمع ابليس حديثه الصامت ، وكان على مقربة منه فضحك وعزم أن ينيله بغيته !!

أصبح باهوم ولا هم له إلا شهوة امتلاك قطعة أرض يزرعها لنفسه .

وفى إبان انشغاله بهذا الموضوع ، بلغه أن السيدة صاحبة المزرعة ، تريد أن تبيعها قطعاً على أن تأخذ ثمنها أقساطاً . فذهب إليها واشترى منها عشرين فداناً ودفع لها كل ما كان بيده . وصار يزرعها ويسدد جزءا من أقساطها إلى أن أخصبت كورته ذات سنة فسددت كل ما عليه واشترى أيضاً ماشية فاتسعت دائرته

ثم بلغه أن جاره يريد أن يبيع القطعة التى اشتراها لنفسه ليرحل عن تلك الجهة ، فاستغل حاجته هذه واشتراها منه بثمن بخس فصار له خمسون فدانا بعد أن كان لا يملك شبر أرض !!

— ٣ —

فرصة

كان «باهوم» فى بيته يحسب رصيد العام عند ما طرق بابه ضيف قادم من بلاد بعيدة ورحب «باهوم» بضيفه إذ كان صديقاً قديماً ، وهنأ الضيف «باهوم» بنجاحه وسعادته فقال الأخير : «أما النجاح فلا بأس به لأنى أمتلك الآن عزبة فيها خمسون فداناً تعطى محصولا جيدا ... أما السعادة فأنى أخبرك بالأسف إنى لست سعيدا، لأنى أحس أن أرضى ضيقة وأنا أتمنى لو أنها صارت مائة ، فكنت أوسع على نفسى واشترى بقرا وخيلا أكثر . واقتنى عربة للركوب ، وأبنى لى بيتا أحسن من هذا ... ولكن أصحاب الأراضى حولى لا يريدون التنازل عن كثير من أراضيهم ! »

وأجاب الضيف : « انى عائد الآن من بلاد الشاليم على نهر الفولجا ، حيث أراضى فسيحة خصبة وأصحابها بسطاء جدا يسهل عليك أن تضحك

عليهم وتأخذ ما تشاء من أرضهم بهدايا بسيطة مثل غلب الشاى وبعض الملابس وعقود الخرز وما أشبه !!

فقال «باهوم» فى نفسه : «وماذا يمنعنى من هجر هذه البقعة والذهاب إلى تلك الجهة ، فأستطيع أن أمتلك مئات الأفدنة بكل سهولة» ثم إنه باع مزرعته ، وشطب حساباته ، ورحل ومعه هدايا كثيرة من الشاى والحلوى والملابس ، والعقود ، والأسورة . . . وذهب مع خادم له إلى أن وصلا إلى ذلك الإقليم . وهناك قدم لمشايخ القبائل هداياه فرحبوا به كل الترحيب ، وأحسنوا ضيافته . ثم قال له رئيسهم الأكبر : قل لنا ماذا تطلب فنفعله لك فى الحال! فأجاب «بلغنى أن عندكم أرضا خصبة لا تنتفعون بها ، وأنا رجل مزارع ، فإذا شئتم فبيعوا لى منها ما تشاؤون بالثمن الذى ترغبونه !!»

قال الرئيس مرحباً « وألف أهلا وسهلا . . . وكل الثمن الذى نطلبه منك هو ألف روبل عن اليوم الكامل .»

وسأل باهوم : « ماهو المقصود باليوم الكامل وكم فداناً يكون؟» فأجاب الرئيس : «نحن لا نستعمل المقاييس مثلكم وإنما نقدر الأرض بالسير فيها يوماً كاملا ، ثمن الأرض التى يقطعها المرء مشياً على قدميه يوما كاملا هو ألف روبل ، بحيث تبتدىء السير عند شروق الشمس وترجع إلى النقطة التى ابتدأت منها قبل أن تغرب الشمس ولو بدقيقة . فالأرض التى تدور حولها فى يومك هى لك بألف روبل . أما إذا تأخرت وغابت الشمس قبل وصولك ولو بدقيقة فيضيع عليك كل شىء » .

وسر «باهوم» بهذا الكلام . كان كل ماله ألف روبل وهو مستعد أن ينزل عنها كلها نظير الأرض الفسيحة التى سيقطعها فى يومه — وبات الرجل طول ليله يحدث نفسه بما سيمتلك ، وعند الفجر غلبه النعاس فحلم أنه يرى الضيف الذى أخبره عن هذه الأرض والرئيس الذى رحب به ، ثم رأى بجانبه ابليس بوجه بشع مخيف . ورأى بجانبه رجلاً ممدداً على الأرض فتفرسه فإذا هو شخصه !

وفى الصباح باكراً وصل إلى المكان الذى عينوه للمقابلة ، وهو يشرف على سهل فسيح الأرجاء ، جيد التربة . فقال له الرئيس : «أنظر كل هذا السهل الفسيح هو ملك لنا ، ولك أن تسير فيه قدر ما تشاء فيكون لك فقط حافظ على الشروط ، وضع ألف روبل فى هذه القبعة التى سنبقيها فى هذا المكان بحراسة رجلين منا وخادمك إلى أن تعود ، فإما يصير لنا المال ولك الأرض أو بالعكس !!!»

وقام الرجل برحلته وهو يركض بمنتهى قوته وكان كلما قطع مرحلة كبيرة وأراد الوقوف عندها تغريه خصوبة الأرض التى أمامه فيركض أيضاً ، وظل يركض ويركض ، كما لو كانت هناك قوة سحرية تجذبه ، إلى أن انتصف النهار . واشتد به التعب فجلس وتناول قليلاً من الطعام ثم قام كارهاً ليدور راجعاً فأخذ يسير إلى الناحية الثانية ولما رأى الوقت يسرع به انفلت إلى الناحية الثالثة وكان العصر قد أقبل ففكر أن يعود إلى النقطة

التى ابتدأ منها. أحس صاحبنا بالتعب المتزايد وبدأ يخلع ثيابه قطعة قطعة حتى لم يبق على جسده شيء وحذاؤه لم يطق أن يبقيه فخلعه وجعل يركض وقدماه تمزقهما الأشواك والأحجار الحادة ، ويناله من ذلك فوق آلامه الأخرى آلام مبرحة — ولما برح به التعب فكر أن يجلس ليستريح ولكنه أبصر الشمس تنحدر نحو المغيب فاستمد من ضعفه قوة وجعل يركض ويركض ، وأنفاسه تخرج متدافعة لا يكاد يرسل احداها حتى تلاحقه أخرى — وقبل أن يصل الى سفح الجبل غابت الشمس عن عينيه فاضطرب اضطرابا عنيفا ، ولكنه عاد فذكر أن الشمس تغيب فى السفح قبل القمة، وإذ ذاك كافح مرة أخرى وأخذ يعدو بكل ما فيه من عزم ومن قوة ... ولما وصل استقبلته الجماعة بهتاف عظيم وقال الرئيس : « هنيئا لك القطعة الكبيرة جدا التى أصبتها » . ولكنه ما وصل حتى سقط على الأرض ، وسال الدم من فمه . فاقترب منه خادمه ليسعفه وإذا هو جثة باردة !!!

فقام خادمه وحفر له قبرا طوله ستة أقدام وكان هذا كل نصيبه من الأرض !!؟

١٠٠

مطلوب

أغنية جديدة

« وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف (رؤ ١٥ : ٣) »

كان فى انجلترا واعظ يـــدعى بطرس ما كنيزى ـ وكان كثير الفكاهة ، ولكنه كان كذلك مملوءاً بالتقوى .

كان يعظ يوماً عن الآية :

« وهم يترنمون بترنيمة جديدة » ...

فقال : « نعم سيكون ترتيل فى السماء . وعنـــد ما أذهب الى هناك سألتمس من داود بقيثارته وبولس وبطرس وبعض القديسين الآخرين أن يجتمعوا لنرتل معاً . وإذا ذاك سأطلب منهم أن يرتلوا ترنيمة من كتاب الترانيم .

فأقول لنرتل من نمرة ٧٤٩

« يا الهى يا أبى عند ما أضل ... »

ولكن أحدهم سيقول لى : « هذه لا تصلح هنا . أنت الآن فى السماء يا بطرس « لا يوجد ضلال هنا »

وإذ ذاك أقول : « حسنا لنرتل إذن نمرة ٦٥١ »

إذا الموج والعاصف غطيا رأسى
«إذا تركنى أصدقائى وضاعت آمالى»
ولكن قديساً سيقاطعنى قائلا:
«بطرس ، يظهر أنك نسيت أنك الآن فى السماء . لا توجد عواصف هنا !!»

حسنا : لنرتل اذن نمرة ٥٣٦
«إلى عالم اثم وأئمة أرسل»
وإذ ذاك . يحتد أحدهم ويقول :
«بطرس . بطرس . سنخرجك من السماء ان كنت لا تكف عن طلب مثل هذه الترانيم غير المناسبة !! »
«وعند ذاك أسأل : اذن ماذا نستطيع أن نرتل ؟؟ »
فيجب جميعهم :
«نرتل ترنيمة موسى والخروف !!»

